قراءة ممتعة ومفيدة ..علي مولا

هدية لمشرفينا الكرام

WWW.LILAS.COM

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
ReganBooks
An Imprint of HarperCollinsPublishers

مايكل موور
رجال بيض أغبياء

... وأعذارٌ مؤسفةٌ أخرى حول وضع الأمة!

المخرج مايكل موور في حفل الأوسكار: عار عليك يا سيد بوش!

خيمت أجواء التأثر بالحرب والتعبير عن رفضها ، حتى على حفل الأوسكار، والتي سرعان ما اقتحمت الحفل على شكل إدانات وتصريحات تندد بالحرب و قائدها.
المنتقد الأكبر للحرب كان المخرج الأميركي مايكل موور الذي فاز بأوسكار أفضل فيلم وثائقي عن فيلمه Bowling for Columbine حيث أدان الرئيس الأميركي جورج بوش "لانه يقود حرباً لأسباب زائفة".
وعند استلامه الجائزة قال مايكل موور "نحن نعيش في عالمٍ زائفٍ انتخب رئيساً زائفاً يقودنا لحرب ذات أسباب زائفة"
مضيفاً "نحن ضد الحرب يا سيد بوش... عار عليك... عار عليك".
تصريحات مايكل موور هذه قوبلت بصرخات بعضها كانت تحييه وتشجعه وأخرى كانت صيحات استهجان. المخرج لم يلتفت إلى استهجان بعض الجمهور الكبير والذي ضم نخبة من أكبر نجوم هوليوود وقال "أنا أميركي ولا أستطيع أن أتخلى عن مواطنيتي عندما أقف على هذا المسرح... ما العظيم في كوني أميركياً سوى أنني أستطيع أن أعبر عن أي شيء أفكر به".

مايكل موور يعدُ فيلماً عن علاقة خفية تجمع بوش الأب وبن لادن!

يعمل المخرج الاميركي مايكل موور حالياً على تجهيز فيلم وثائقي يتحدث عن وجود علاقات غريبة تجمع بين الرئيس الاميركي السابق جورج بوش الاب وأسرة أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة.
وقد قال موور أن الفيلم الجديد، والذي سيحمل عنوان "فهرنهايت 911"، سيكشف كيف استخدمت إدارة الرئيس الاميركي الحالية هجمات 11سبتمبر/أيلول لإعطاء دوافع أو مبررات لبرامجها وسياساتها الراهنة. ويزعم موور أن بوش الاب كانت لديه علاقات تجارية مع والد أسامة بن لادن. وستمول الفيلم الجديد شركة الإنتاج التي يملكها النجم ميل جيبسون. وقد بدأ موور العمل في "فهرنهايت 911" في مطلع العام الحالي ويقول إنه سينتهي منه في ربيع عام 2004.

مايك يضرب ثانية!

في شركات الطيران...

يبلغ راتب الطيار المبتدئ في شركة American Eagle مبلغ 16.800 دولاراً في السنة. لا تسلم روحك أبداً إلى طيار يضعك بين السماء والأرض ويتقاضى راتباً أقل من ذلك الذي يتقاضاه نادل في مطعم TacoBell للوجبات السريعة

في النظام التعليمي...

باعت 240 إدارة تعليمية في 31 ولاية أميركية حقوقاً حصرية لأحد شركات المشروبات الغازية لبيع منتجاتها في مدارسها. مياهٌ محلاةٌ ومكربنة ومنكهة اصطناعياً – مشروب الأبطال.

في السياسة...

ما الفرق بين الديموقراطيين والجمهوريين؟
الديموقراطيون يقولون شيئاً ("أنقذوا كوكب الأرض")، ثم يفعلون عكسه – متضامنين بالكفاء مع هؤلاء السفلة الذين يجعلون من العالم مكاناً بائساً. أما الجمهوريون، فإنهم وبكل بساطة يوظفون هؤلاء السفلة في البيت الأبيض.

ISBN 9953-29-724-X
9789953297248
ReganBooks
An Imprint of HarperCollinsPublishers
الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت في
نيل وفرات.كوم NeelwaFurat.com

المحتويات

مقدمـــة 9

الفصل الأول: انقلاب أميركي بحت 21

الفصل الثاني: عزيزي جورج 51

الفصل الثالث: داو وو وو 71

الفصل الرابع: اقتل البيض 83

الفصل الخامس: الأمة الغبية 115

الفصل السادس: يا له من كوكب جميل، موطن ليس لأحد 151

الفصل السابع: نهاية الرجال 175

الفصل الثامن: نحن رقم واحد! 193

الفصل التاسع: سجن سعيد واحد كبير 223

الفصل العاشر: الديمقراطيون 239

الفصل الحادي عشر: صلاة الشعب 261

الخاتمة: تالاهاسي 266

7

أنا مندهش، لقد ربحت.

كنت أسير عكس السلام، والرفاه، والمسؤولية.

جورج. دبليو. بوش. 14، حزيران، 2001،

وهو يتحدث إلى رئيس الوزراء السويدي غوران بيرسون،
غير منتبه إلى أن كاميرا تلفزيون حية كانت ما تزال تدور.

مقدمـــة

هناك من يقول بأن الأمر كله بدأ بالظهور في ليلة 7 تشرين الثاني 2000، حينما قدم جيب بوش إلى أخيه جورج الابن هدية عيد ميلاد مبكرة – ولاية فلوريدا.

بالنسبة للآخرين، والذين ابتسم الحظ لهم كما لم يفعل منذ عقد من الزمن، فقد حلّت لحظة الانعطاف عندما أظهر مؤشر داو جونز أكبر خسارة له منذ ما يقارب العشرين عاماً.

بالنسبة لمعظم الناس، على أي حال، ففي اليوم الذي ماتت فيه الموسيقى حلّت الليلة التي أُخبرنا فيها بأن بلوتو لم يعد كوكباً، وأن الحياة التي كنا نعرفها كانت بعيدة كالنظرة في عيني "الرئيس" الجديد.

لا تهم أبداً اللحظة التي تختارها، مهما كانت، لتكون النقطة التي بدأ عندها كل شيء بالتقوض أمام عينيك، فالشيء الوحيد الذي يهم هو أننا، جملة كأميركيين، كلنا نعلم بأن شخصاً ما قد أوقف حفلتنا الليلية المستمرة. القرن الأميركي؟ لقد انتهى. أهلاً بك إلى كابوس القرن الواحد والعشرين.

رجل لم ينتخبه أحد يقبع في البيت الأبيض.

لا تجد كاليفورنيا ما يكفي من الكهرباء لتشغيل عصارات فاكهتها، أو لإعدام محكوميها.

وقعت روسيا والصين معاهدة جديدة – في نفس الوقت الذي فككنا فيه آخر واقياتنا من الغبار الذري المتساقط.

لقد تحولت مواقع الإنترنت إلى مواقع خالية، جاعلة من المراهنة في بورصة ناسداك آمنة، تماماً كلعبة القمار في مدينة رينو.

10

لقد شهدت السنتان المنصرمتان أكبر تسريح للعمال منذ السنوات الأسوأ في عهد الرئيس ريغان التي دمّرت البلاد.

إن فرصتك في الحصول على لقاء مع كاثرين هاريس أو توم ديلاي أكبر من فرصتك في الانتقال إلى الجهة الشمالية الغربية من ديترويت في يوم مشمس.

ما الذي تقوله؟ تريد أن تتكلم إلى إنسان آدمي حقيقي في "خدمة الزبون"؟ ها ها ها! اضغط "4" وقل وداعاً لبقية يومك.

أوه، أنت لست محظوظاً! أنت تعمل في وظيفتين، وكذلك زوجتك، ولديك جيمي الصغير يعمل هو الآخر في مطعم ماكدونالد، وذلك حتى تستطيع تأمين ثمن شراء ذلك البيت الجديد على الشارع المصفوف بالأشجار مع المروج الخضراء المشذبة بدقة والأسيجة البيضاء الصغيرة، و- انظر، هناك مكان لتحية جدك وهو يقود سيارته إلى الطريق الفرعي الخاص بالمبنى!- وفي الشهر القادم ستدفع آخر قسط لك من ذلك القرض الذي أخذته عندما كنت طالباً، منذ عشرين سنة، ولكن، بعد ذلك... فجأة، تعلن شركتك بأنها ستنتقل إلى مكسيكو، بدونك! والمستخدِم الذي تعمل زوجتك عنده يقرر بأن لا حاجة إليها بعد الآن لأن مستشار "شؤون الموظفين" الجديد يعتقد بأن شخصاً واحداً بإمكانه بسهولة القيام بأعمال ثلاثة أشخاص، ويعود جيمي الصغير متوعكاً من مرض غير معروف من جراء أكله شيئاً ما من مقلاة McNugget، وتقول منظمة الحفاظ على الصحة HMO بأنها لن تغطي مصاريف عملية جيمي الصغير ولكنهم سيكونون سعداء بمعالجته كمريض خارجي (غير مقيم) إذا كنت راغباً في السفر إلى مدينة تيجوانا مرتين في الأسبوع، لأنهم، حسناً، بنوا عيادة جديدة للمرضى الخارجيين قريباً من الحدود، وذلك بفضل التجارة الحرة، التي قد تكون أو لا تكون مسؤولة عن الدودة التي وُجدت في McNugget جيمي نصف المأكولة - أوه، عذراً، فقد اتصلت للتو بوكالة تحصيل الأموال وهم يريدون

استرجاع سيارتك الجديدة "سيليكا" لأنك تأخرت عن دفع قسط من أقساطها! ربما عندما ستذهب إلى تيجوانا وتنزل جيمي هناك، يمكنك أن تعود أدراجك وتتقدم بطلب للعمل ثانية في عملك القديم، حيث يُعطى "زملاؤك" جميعهم مراحيض خاصة بهم ويُقدَّم لهم وجبة إفطار مجانية حالما يصلون إلى العمل في الخامسة صباحاً من كل يوم.

اعذرني إذا كنت أحلم، ولكن ألم تكن الأمور أفضل منذ سنة فقط أو أكثر بقليل؟ ألم يكن من المفترض بأننا نعيش الآن في "أكبر توسع اقتصادي في التاريخ"؟ ألم تنهي الحكومة خمسة وعشرين عاماً من العمل في الديون إلى أن تفاخرت أخيراً "بفائض مالي" ضخم بما يكفي لإصلاح كل شارع، وجسر ومن في أميركا؟ كان تلوث الهواء والماء في أدنى مستوياته منذ عقود، والجريمة سجلت رقماً منخفضاً، وظاهرة حمل المراهقات اختفت عن الأنظار، وازداد عدد الأولاد المتخرجين من المدارس الثانوية والكليات أكثر من أي وقت مضى. وعاش المسنون عمراً أطول، وكان بإمكانك الاتصال بمدينة كاتماندو (عاصمة نيبال) مقابل 12 سنتاً في الدقيقة الواحدة، والإنترنت ربطت العالم كله (باستثناء الملياريين تقريباً من البشر الذين يعيشون بدون كهرباء) مع بعضه البعض. وتقاسم الكاثوليكيون الخبز مع البروتستانتيين في إيرلندا الشمالية. نعم، لقد بدأت الحياة تصبح أفضل بكثير – وكلنا شعرنا بذلك. كان الناس ودودين أكثر، والغرباء في الطريق كانوا سيعطونك كل الوقت الذي تطلبه، كما سهّل ريغيز الأسئلة كثيراً حتى نحصل على المزيد من أصحاب الملايين.

ثم حصل شيء ما.

خسر المستثمرون الملايين في سوق البورصة. ارتفعت الجريمة لأول مرة منذ عشر سنوات. قفزت معدلات فقدان العمل إلى السماء. اختفت شركات أميركية كانت تعتبر مثالاً لأميركا مثل مونتغومري وارد وTWA. وفجأة، أصبح ينقصنا 2.5 مليون برميل من النفط – كل يوم! مع منتصف العام 2001،

كان هناك 37 بلداً تعاني من الحروب في العالم. وأصبحت الصين عدونا الجديد – مرة أخرى. وطردتنا الأمم المتحدة من لجنة حقوق الإنسان، وهاجمنا الاتحاد الأوروبي لانتهاكنا معاهدة ABM للحد من الصواريخ البالستية وذلك لإعادة إطلاق "حروب النجوم." كان من الصعب، من الصعب تماماً، أن تجد فيلماً جيداً، وتوقف الملايين عن مشاهدة شبكات التلفزيون، وكل المحطات الإذاعية كانت تبدو متشابهة – هراء.

بالمختصر، كل شيء أصبح وبشكل مفاجئ مزرياً. وسواء كان الاقتصاد المرتعش هو المسؤول، أو مخزون الطاقة المستنزَف، أو السلم العالمي المحيِّر، أو عدم وجود تأمين للعمل، أو افتقاد الرعاية الصحية أو عدم استخدام بطاقة الاقتراع البسيطة التي يُعطوننا إياها لكي ننتقي رئيساً، فقد أصبح من الواضح للأميركيين بشكل يدعو إلى الجنون بأن لا شيء ينفع، على ما يبدو. إطارات فايرستون Firestone لا تنفع، وسيارات فورد إكسبلورر التي تقبع فوقها لا تنفع أيضاً – وهذا يعني بأنك أنت لا تنفع أبداً وبأنك ميت ومقطوع الرأس وملقى في مصرف للمياه خارج مطعم دنكين دونتس Dunkin' Donuts.

911 لا يعمل، 411 لا يعمل. التلفونات الخليوية لا تعمل، وعندما تعمل، فسيكون أحد السفلة وهو يتحدث مع سمساره على الطاولة التي تقع بجوارك بينما تحاول تناول طعام العشاء.

لقد أصبحت مسألة حرية الخيارات شيئاً من الماضي، فهناك ست شركات إعلامية، وست شركات جوية، وشركتان ونصف لصناعة السيارات وإذاعة واحدة مختلطة. وكل ما تحتاجه ستجده في سلسلة مخازن والمارت WolMart. يمكنك الاختيار بين حزبين سياسيين يبدوان متشابهين، ويقترعان بشكل متشابه ويموّلان بشكل متشابه من نفس الواهبين الأثرياء بالضبط. يمكنك أن تختار ارتداء قمصان ملونة لا تصوِّر أحداً وتبقي فمك مغلقاً، أو أن تلبس قميص ماريلين مانسون (مغنٍ ملحد) وتُطرَد من المدرسة. بريتني أو كريستينا

(مغنيتان)، WP أو UPN (شبكتان تلفزيونيتان)، فلوريدا أو تكساس – لا يوجد أي اختلاف مهم، كل شيء متشابه، كل شيء متشابه، كل شيء متشابه...

كيف حدث كل ذلك؟ ثلاث كلمات صغيرة:

رجال بيض أغبياء.

فكّر في ذلك: فتيان بوش، الذين ورثوا الذهن السياسي "الرفيع" لبوش الأب (بدون ذكر الجاذبية) ونشروه بشكل أرفع من ذلك فيما بينهم، ديك تشيني، دونالد رامسفيلد، سبنسر أبراهام والشركاء القدماء الآخرون الذين أحياهم بوش من أجل مساندته، كبار المدراء التنفيذيين لشركات Fortune 500، العرّافون الذين يقفون وراء هوليود والتلفزيون ذي الخمسمائة قناة، تباً، الشخص العادي الذي يرى 15 mpg (15 ميلاً للغالون الواحد) على الملصقة الموجودة على سيارته الجديدة ويعتقد بأن ذلك "ليس سيئاً!" في الوقت الذي تتباعد فيه غيوم الأوزون فوق رأسه.

ذلك صحيح، فالكوكب بأكمله يتعرض للاجتياح – وأنا أعتقد بأنه (الكوكب) قد بدأ بالرد على العدوان. ذات يوم من شباط الماضي في شيكاغو وصلت درجة الحرارة إلى 21 درجة، وماذا حدث؟ كان الجميع يبدون وكأنهم يقولون، واو، ذلك رائع! كان الناس يتجولون بالسراويل القصيرة، وكان الشاطئ على طول لايك ميتشيغان يعج بهواة الحمامات الشمسية. "يا للروعة، أنا أحب هذا الطقس،" قالت إحدى النساء لي في الشارع.

هل تحب ذلك؟ دعني أسألك – إذا بزغت الشمس فجأة في منتصف الليل هذه الليلة، هل ستقول "أوه، واو، هذا رائع، أنا أحب ذلك! المزيد من ضوء النهار!"

لا، بالتأكيد، لن تقول ذلك. وسترتعد من الخوف كما لم تفعل من قبل. وستصرخ من الرعب قائلاً بأن الأرض تدور وقد فقدت السيطرة، متوجهة نحو الشمس بسرعة مليون ميل في الثانية. أشك بأن أحداً سيهرع إلى الشاطئ

14

لالتقاط المزيد من الأشعة الإضافية. وربما ليس الأمر سيئاً إلى هذه الدرجة، فربما يكون مجرد شخص ما قد أطلق ألف صاروخ محمل برؤوس مدمرة على مدينة ميلووكي، وذلك الضوء الساطع الذي تراه إلى الشمال ليس سوى الانشطارات النووية وهي تتفاعل مع مصانع الجعة الخشبية الفارغة. في كلتي الحالتين، ستكون حينئذ منهمكاً في ترديد صلواتك علّك تنقص عشر سنوات من الحكم عليك بالعذاب.

إذاً، لماذا بحق السماء نعتقد بأن يوماً بلغت درجة حرارته 21 في أبرد شهر في السنة، في واحدة من أبرد المدن في أميركا هو شيء يدعو للبهجة؟ ينبغي علينا أن نطالب ممثّلينا بالتصرف، وأن نطالب بمعاقبة أولئك المسؤولين عن هذه التغيرات في المناخ. ذلك ليس صحيحاً، يا قوم، هناك خطب فظيع يحدث.

ولكن، دعونا لا نقلق بشأن أمنا الأرض – لقد مرت بظروف أسوأ من ذلك بكثير. دعوا أولئك الذين يكرسون أنفسهم للشجرة يسهرون فوقها – نحن مشغولون جداً بجمع المال!

آها، المال. الرائحة النتنة المحببة للنجاح. قبل سنتين كنت أتحدث إلى رجل في مقهى تصادف أنه كان سمساراً في البورصة. سألني عن "استثماراتي،" فأخبرته بأنني لا أملك شيئاً منها، أي أنني لا أملك حتى سهماً واحداً. لقد صُعق مذهولاً.

"تعني بأنك لا تملك سنداً من المكان الذي تحتفظ فيه بمالك؟"

"أنا لا أعتقد بأن الاحتفاظ بمالك في سندات هي فكرة جيدة،" أجبت، "أو في حقيبة، أو حتى تحت الفراش. أنا أحفظ كل ما أستطيع في مكان يدعى 'البنك' حيث أمتلك ما يدعونه القدماء 'حساب التوفير.'"

لم يرق له كلامي. "أنت تخدع نفسك ليس إلا،" قال لي. "وأنت غير مسؤول. أذكر أنني قرأت ذات يوم بأنك جنيت الكثير من المال من فيلمك

الأول، صحيح؟ هل تعلم كم كان سيكون لديك الآن لو أنك استثمرته في سوق البورصة منذ عشر سنوات؟ ربما حوالى ثلاثين مليوناً."

ثلاثون مليوناً؟ دولار؟ هل كانوا سيصبحون لي؟ آآآآآه!!! بماذا كنت أفكر؟

فجأة أحسست بالغثيان وشعرت كما لو أن كل مبادئي ومعتقداتي على وشك أن تنتهي على قدمي، فغفرت لنفسي وخرجت.

بعد وقت من هذه الحادثة، حصل سمسار البورصة ذاك على عنواني وبدأ بإرسال "أحدث منشورات السوق" الأسبوعية ودعايات أخرى على أمل أن أعطيه المبلغ الذي رصدته لجامعة ابني من أجل المقامرة فيه في ذلك الحي الذي يدعى وال ستريت.

حسناً، لقد توقفت تلك المنشورات الإعلانية حول "فرص الاستثمار" عن المجيء. في الثمانية عشر شهراً الماضية، نزلت مايكروسوفت من 120 إلى 40 دولاراً، دل من 50 إلى 16 دولاراً وبيتس دوت كوم هي ودميتها الظريفة الناجحة انتقلتا إلى السماء. لقد خسرت بورصة ناسداك ما يقارب 40 بالمائة من قيمتها، والأميركيون المتوسطون، الذين انجروا للعب في السوق بواسطة أقل مدخراتهم، خسروا المليارات. وأي أفكار "بالتقاعد المبكر" ربما نكون قد فكرنا بها أصبحت خارج النافذة؛ سنكون محظوظين لو دعونا ننزل إلى أربعين ساعة في الأسبوع عندما نبلغ الثانية والثمانين، أو عندما نصاب بسلس البول، أيهما يصل أولاً.

في الواقع، ليس كلنا. هناك تقريباً خمسة وستين مليونيراً جديداً في البلاد – ولقد جمعوها كاللصوص. لقد جمعوا أموالهم لأنهم كانوا يملكون مسبقاً مبلغاً محترماً من المال لكي يبدؤوا به ومن ثم استثمروه في شركات أصبحت ثرية عن طريق طرد الناس من العمل، واستغلال الأطفال والفقراء في بلدان أخرى، وحصولهم على حسومات كبيرة على ضرائبهم. بالنسبة إليهم لم يكن الجشع أمراً جيداً، بل كان إلزامياً. في الواقع، لقد كانوا بارعين جداً في إحداث جو من

الجشع بحيث أصبحت الكلمة نفسها قديمة وبالية. إنها تدعى الآن النجاح! نعم، تأتي مع علامات الترقيم الخاصة بها. وفي نهاية الأمر لم يعد أحد يفكر في هذا الشره على أنه أمر خاطئ أو قذر، فقد أصبح جزءاً من حياتنا اليومية لدرجة أنه عندما أصبح هذا الرجل من تكساس جشعاً ورشح نفسه إلى الانتخاب، لم يفز، ولكننا نحن من أيده وأعطيناها – هو لم يكن جشعاً، مع ذلك، بل كان فقط ذكياً. تماماً كما المخططات الخطيرة للزراعة المشتركة من أجل إفساد التركيبة الوراثية لرقائق الذرة ليست مجنونة أو جشعة – بل إنه التطور. وكالرجل الذي يقطن بجوارك ويريد أكبر سيارة SUV صُنعت على الإطلاق فهو ليس جشعاً أبداً – إنه فقط يريد المزيد من عزم التدوير، يا حبيبي!

هذا الفيروس الأبيض الغبي من القوة بحيث أنه أصاب أشخاص مثل وزير الخارجية كولن باول، ووزيرة الداخلية جايل نورتون، ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس. لقد أحدث هذا الفيروس ذعراً عميقاً – ذعراً قومياً كبيراً يمكنك الشعور به أينما ذهبت. لقد خرقنا بعمق إلى درجة أنني أشك إذا كنا سنتعافى منه.

بالتأكيد، نحن نحاول بكل جهدنا أن ننسى اللحظة التي ضرب فيها هذا التحول الثقافي البشع عدداً كبيراً من مجتمعنا واستولت قوى الشر بفعل ذلك على السلطة. أنا أعرف كل القصة، وأنت تعرفها أيضاً، حتى بريت هيوم الغبي يعرف كل القصة. إنه ذلك الانتخاب اللعين المسروق. مسروق، ومختطَف، ومسلوب من أيدي وقلوب الشعب الأميركي. لا يوجد قطعاً أي جدال حول من حصل على معظم الأصوات، وهناك القليل من الشك حول الخدع التي حصلت في فلوريدا؛ وحتى الشخص الذي فاز ليس هو ذات الرجل الذي سنراه يلعب كرة الويفل Wiffle ball على المرج الجنوبي عصر هذا اليوم.

نعم، نحن كلنا نقول لأنفسنا بأنه لم يحدث شيء سيئ إلى هذه الدرجة أبداً – تخلَّص من ذلك، فلقد علمنا بكل شيء – ولكن أحداث تلك الأيام الستة

والثلاثين صدمتنا بشدة، وأخرجت الهواء من داخلنا، وضربت إسفيناً عميقاً في أحشاء قوميتنا. وليس هناك من طريقة لإنقاذنا الآن سوى طريقة هيملخ (تطبيق ضغط مفاجئ على أعلى البطن لإخراج جسم غريب من القصبة الهوائية). نحن نتخبّط الآن وقد تحوّل لون وجهنا إلى الأزرق، متسائلين إذا كنا سنُسعف في الوقت المناسب. هل سأحصل على عمل في السنة القادمة؟ ماذا سيحصل للمبلغ المخصص لتقاعدي؟ هل يمكننا أن نعتبر مكعبات الثلج على أنها مجموعة غذائية؟

أنت لا تهم! إنه درس صعب لكي تتعلمه. والأصعب هو ما ستكتشفه، وهو أن كل الأشياء التي طُلب منك دائما القيام بها – صوّت، أطع القانون، أعد تدوير زجاجات المشروبات – ليس لها أي أهمية في الواقع. ويمكنك أيضاً حتى أن تنزع عنك الحزن وتحرر نفسك من المسؤولية، لأنك أنت ومواطنيك من الأميركيين قد أُعلنتم للتو بأنكم غير مهمين. وخدماتك كمواطن، نأسف أن نعلمك بذلك، لا حاجة لها من الآن فصاعداً.

وهكذا تسود الفوضى، والارتعاشات الزلزالية للإحباط القومي بدأت بالاهتزاز من تحت أقدامنا. والتذمر لا يخفت أو يهمد، بل إنه يكبر يوماً بعد يوم. بعد ثمانية أشهر من الانتخابات، أعلن استفتاء أجرته محطة فوكس نيوز بأن حوالى 60 بالمائة من الشعب الأميركي لم يستوعبوا كيف استولى بوش على البيت الأبيض – أي أننا ما نزال "غاضبين." إنه وقت طويل لنضمر فيه مثل هذا النية العدوانية السيئة إلى قائدنا. مثل هذا المزاج الخارج عن السيطرة – بدون تحريض من السكر المكرر – وأوبرا (مذيعة تلفزيونية مشهورة) – يمكن أن يغير التاريخ. ملايين الأميركيين، من مختلف اتجاهات الطيف السياسي، يشعرون بفقدان التوازن، وعدم الثقة، والغضب. والبقية في السجن.

المنظر العام في قلب الأمة هو أن سفينة الدولة تسير في الضباب، ولا أحد على عجلة القيادة؛ على أي حال، إن السائق الذي أُوكلت له مهمة القيادة لم

18

يوكله أحد – وهو نفسه باعترافه شخصياً سائق سكّير.

يأمل الجمهوريون العتيدون بشدة في هذه الأيام بأن ديك تشيني العظيم سيتمكن من البقاء على قيد الحياة حتى بعد نصف دزينة أو أكثر من النوبات القلبية وسيعيش لمدة طويلة بما يكفي ليشهد نهب وسلب كل شيء يقع غرب مدينة ويتشيتا. وما لم يدركوه هو أنه قد وضع مسبقاً بقية البلاد في حالة من الرقاد القلبي. في هذه الأثناء، هو وعصابته يضاعفون من سرعتهم من أجل تجريد أكبر قدر ممكن من البيئة، والدستور، والدلائل في تالاهاسي قبل أن تصل انتخابات 2002.

وإذا كان هناك من شيء أنا متيقن منه، فهو أن الشعب الأميركي سيطفئ جهاز الإنعاش عن هذه الإدارة بأسرع من قول "جاك سبلات كيفوركيان" (طبيب أميركي حُكم عليه بالسجن لمساعدته المرضى على الانتحار).

إذاً، ارحلي من هنا آنسة نورتون – أخيراً سمعت بأن الأشجار تصغر! اغربا عن وجهنا سيد رامسفيلد وجنرال باول – كلنا سنخرج من الرقيب ماكفاي (مسؤول عن تفجير بناء حكومي فدرالي في العام 1995) من أجلكم لكي نعلق الأوسمة! وابتعد أنت أيضاً سيد أبراهام – سنجعلك تجمع كل تلك السيارات الكبيرة المنسقة في نادي كروس بوينت لليخوت قبل أن تدرك ماذا يجري!

قريباً، كالقديس الطيب جيفوردس في ولاية فيرمونت، ستقفز الفيلة من السفينة الغارقة. وسيجلس البقية منا ويستمتعون بالعرض بينما يفكرون كيف سيتدبرون أمر قسط البيت للشهر القادم، وأين سيحتمون عندما تتساقط علينا بقايا أمطار أنتونين سكاليا (قاضٍ) كالدش البارد في كانون الثاني. هاي، اللعنة، انتظر! ليس من المفترض أن تمطر في كانون الثاني!

وهكذا يستفحل الذعر. بإمكان وسائل الإعلام أن تدور وتنظر في الاتجاه الآخر إذا أرادت، وبإمكان النقاد الاستمرار بمحاولة بيع أكاذيبهم عن طريق تكرارها دائماً حتى أنها بدأت تبدو وكأنها الحقيقة. ولكننا نحن ملايين

الأميركيين لن نقع في شباك الخداع. وسوق البورصة لا يمر في مجرد "دورة طبيعية." ولا يوجد شيء مفيد في "لحم البقر المعالج وراثياً" والبنك لا يريد أن "يعمل معك" ليساعدك على التعويض. وأن رجل الكابل لن يأتي "بين 8 صباحاً و5 مساء" – أو في أي وقت آخر، في هذا الخصوص. ليس كل ذلك سوى مجموعة من السخافات، من أعلاها إلى أسفلها، وحالما يدركون بأننا وراءهم، سنكون قاب قوسين أو أدنى من استرجاع بلادنا ثانية.

اليوم أخذت سيارتي وعمرها سنة، قطعت أقل من 4,000 ميل، إلى محل الإصلاح في الوكالة التي اشتريت السيارة منها. لماذا؟ لأنه في كل مرة أحاول فيها تشغيل السيارة، لا تشتغل. استبدلت المقلع، والبطارية، والصمام الكهربائي (الفيوز)، ورقاقة الكمبيوتر، ولكن ولا واحدة من كل تلك الأشياء حلّت المشكلة.

عندما أخبرت مدير الخدمة كل هذا، حدّق إلي بنظرة فارغة قاتلة. "أوه، هذه الخنفساءات – هذه السيارات لا تعمل إذا لم تقودها يومياً".

ظننت بأنني ولابد قد سمعته بشكل خاطئ – رغم أنه كان يتكلم الإنكليزية بطلاقة. لذا، سألته ثانية ماذا كانت المشكلة.

"أنت تعرف،" قال، وهو يهز رأسه دلالة على الإشفاق، "سيارات الفولسفاغن هذه تُدار بواسطة نظام كمبيوتر، وإذا لم يقرأ الكمبيوتر أي نشاط – كأن تشغلها وتقودها كل يوم – عندها سيفترض بأن البطارية قد انتهت أو ما إلى ذلك، ويطفئ السيارة بأكملها. هل تستطيع أنت أو أي شخص تعرفه أن تنزل إلى المرآب وتشغلها مرة واحدة في اليوم؟

لم أعرف ماذا أقول. "إذا لم تشغل السيارة يومياً، فإنها ستموت" – ما هذا، 1901؟ هل أكون متكبراً إذا توقعت بأن السيارة التي أنفقت عليها 20,000 دولار من المفترض بأن تعمل كلما وضعت المفتاح في المحرك؟ لم يعد هناك الكثير من الأشياء الموثوقة في العالم هذه الأيام: مازالت الشمس تغرب من الغرب، والبابا ما زال يتلو قداس منتصف الليل عشية عيد الميلاد، ومازال ستروم

20

ثورموند يعود إلى الحياة كلما وُجدت سيدة أولى سابقة تحاول أن تتلمس طريقها. لقد اعتقدت بأن بإمكاني التشبث ببند واحد على الأقل من شيء مؤكد: السيارة الجديدة تقلع دائماً – نقطة انتهى!

كالخمسة وتسعين بالمائة من الزبائن الذين بعتوهم هذه الخنافس،" قلت له، "أنا أعيش في مانهاتن. هل تعرف أحداً في مانهاتن يقود سيارته كل يوم؟"

"نعم يا سيدي، نحن نفهم. لا أحد في المدينة يقود السيارة يومياً. إنهم يستخدمون الأنفاق! لا أعلم حتى لماذا يبيعون هذه السيارات في تلك المدينة. إنه أمر يدعو للخجل فعلاً. هل سئمت من الكتابة إلى شركة فلزفاغن؟ هل يوجد طفل في حيك تستطيع الاتفاق معه لكي يشغلها بضع دقائق كل يوم تقريباً؟

وهكذا أنا عالق بسيارة لا تعمل، في بلد لا شيء فيه يعمل، كل شيء يعلق. وهذه هي الحالة بالنسبة لكل رجل، وامرأة وطفل مختبر من قبل الولاية. البقاء للأغنى – لا يوجد المزيد من قوارب النجاة لك، ولك، ولك!

لا بد من وجود طريقة أفضل...

الفصل الأول

انقلاب أميركي بحت

أوقفت الرسالة التالية بواسطة قوات الأمم المتحدة في 2001/1/9، في الساعة 6 صباحاً، من مكان ما في القارة الأميركية الشمالية:

أنا مواطن من الولايات المتحدة الأميركية. حكومتنا أُطيحت. رئيسنا المنتخب نُفي. رجال بيض كهول يستخدمون المارتيني ويرتدون صدريات احتلوا عاصمة أمتنا.

نحن تحت الحصار. نحن حكومة الولايات المتحدة في المنفى.

أعدادنا ليست قليلة. هناك ما يزيد عن 154 مليون راشد بيننا، و80 مليون طفل. يوجد 234 مليون لم يصوتوا للحكومة التي نصبّت نفسها بالقوة والتي لا تمثّلهم.

آل غور هو الرئيس المنتخَب للولايات المتحدة. لقد حصل على 539,898 صوتاً أكثر من جورج. دبليو. بوش. ولكنه لا يجلس الليلة في المكتب البيضوي. بدلاً من ذلك يطوف رئيسنا المنتخب البلاد بدون هدف أو مهمة، يظهر فقط لإلقاء محاضرات لطلاب الجامعات وتزويد مخبئه بكعك ديبي الصغيرة.

لقد فاز آل غور. الرئيس في المنفى. يعيش الرئيس ألبيرتووووووو غورررررررر!

إذاً، من هو الرجل الذي يحتل 1600 جادة بنسلفانيا الآن؟ سأقول لك من:

إنه جورج. دبليو. بوش، "رئيس" الولايات المتحدة. حاميها حراميها (Thief-in-Chief).

اعتدنا أن ينتظر السياسيون حتى يصلوا إلى مكاتبهم قبل أن يصبحوا لصوصاً. ولكن هذا أتى جاهزاً مسبقاً. والآن هو ينتهك أرضاً فدرالية لا حق له فيها، ويحتل المكتب البيضوي. لو قلت لك أن هذا الأمر حصل في غواتيمالا، فستصدق ذلك على الفور، مهما كان خطك السياسي. ولكن، لأن هذا الانقلاب ملفوف بالعلم الأميركي، ومقدم بالأحمر، والأبيض والأزرق، فهم يعتقدون بأنهم سينجون بفعلتهم.

ولهذا السبب، طلبت من حلف الناتو، باسم 234 مليون أميركي محتجزين كرهائن، أن يفعل ما فعله في البوسنة وكوسوفو، ما فعلته أميركا في هاييتي، ما فعله لي مارفن في "الرجال الاثنا عشر القذرون":

أرسل قوات البحرية! أطلق صواريخ سكود! انتنا برأس أنتونين سكاليا!

لقد أرسلت طلباً شخصياً إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان ليسمع التماسنا. نحن لم نعد قادرين على إدارة شؤوننا أو على إقامة انتخابات حرة ونزيهة. نحن بحاجة لمراقبين من الأمم المتحدة، قوات من الأمم المتحدة، قرارات من الأمم المتحدة!

اللعنة، نحن بحاجة لجيمي كارتر!

أخيراً أصبحنا الآن لسنا أفضل من جمهورية موز متخلفة. نحن نسأل أنفسنا الآن لماذا يجب علينا أن نزعج أنفسنا بالنهوض في الصباح الباكر لكي نعمل وننتج الأطعمة والخدمات التي لن تفيد سوى في جعل حكومة الانقلاب هذه وعصبتها في الولايات المندمجة إقطاعية منفصلة، مستقلة ذاتياً ضمن الولايات المتحدة سُمح لها بالحكم لبعض الوقت) بأن تزداد ثراء. لماذا يجب علينا أن ندفع ضرائبنا حتى يمولوا انقلابهم؟ لماذا يجب علينا أن نرسل أولادنا إلى المعركة لكي يدفعوا حياتهم ثمناً للدفاع عن "طريقتنا في الحياة" – عندما كل ما يهم فعلاً هو نمط حياة الرجال الكهول ذوي الشعر الأشيب الذين يقطنون في مركز القيادة الذي استولوا عليه وبجوار نهر بوتوماك؟

أوه، يا سيدي عيسى (ع) ومريم العذراء ويوسف، لا يمكنني أن أحتمل هذا! أنا بحاجة للانتقال إلى الحكاية الخرافية التي تقول بأنني مواطن في دولة ديمقراطية مع حق شخصي غير قابل للتحويل في الحياة، والحرية والسعي وراء الوجبات السعيدة. القصة التي قيلت لي عندما كنت طفلاً تقول بأني مهم، وبأني مساوٍ لكل فرد من المواطنين - وبأن أحداً منا لا يجب أن يُعامل بطريقة مختلفة أو غير عادلة، وبأن أحداً منا لا يجب أن يسيطر على الآخرين بدون رضاهم. إرادة الشعب. أميركا الجميلة. الأرض التي أحب. إن الفجر... أخيراً... يومض. أوه، قل، هل يمكنك أن ترى - هل صانعو السلام البلجيكيون هم في طريقهم إلينا؟ قل لهم أن يسرعوا!

بدأ الانقلاب قبل وقت طويل من عمليات الخداع التي جرت في يوم الانتخاب من العام 2000. في صيف 1999 دفعت كاثرين هاريس، بيضاء غبية كانت رئيسة الحملة الرئاسية لجورج. دبليو. بوش وأمينة سر ولاية فلوريدا والمسؤولة عن الانتخابات، 4 ملايين دولار لشركة داتابايز تكنولوجيز من أجل اختراق سجلات المنتخبين في فلوريدا وإزالة أي شخص "يُشتبه" بكونه مجرماً سابقاً. لقد فعلت ذلك مع مباركة حاكم فلوريدا، شقيق جورج. دبليو. بوش. جيب بوش - الذي قُبض على زوجته من قبل ضباط الهجرة لمحاولتها التسلل بمجوهرات قيمتها 19,000 دولار إلى البلاد بدون تصريح أو دفع الضرائب المستحقة عليها... جناية بذاتها. ولكن، هاي، هذه أميركا. نحن لا نقاضي المجرمين إذا كانوا أثرياء أو متزوجين من عائلة بوش الحاكمة.

يشدد القانون على أن المجرمين السابقين لا يمكنهم التصويت في فلوريدا. وما يحزن (رغم أنني واثق من أن نظام القضاء في فلوريدا كان على الدوام عادلاً بدون أدنى شك) أن ذلك يعني أن 31 بالمائة من الرجال السود في فلوريدا ممنوعين من التصويت لأن لهم جناية في سجلهم. وكان بوش وهاريس يعرفان بأن إزالة أسماء المجرمين السابقين من سجلات المنتخبين سيبقي آلاف المواطنين السود خارج حجرة الانتخاب.

والسود في فلوريدا هم ديمقراطيون بنسبة ساحقة – ومن المؤكد بأن آل غور قد حصل على 90 بالمائة من أصواتهم في السابع من تشرين الثاني من العام 2000.

أي 90 بالمائة من أولئك المسموح لهم بالانتخاب.

والاحتيال الكبير الذي ارتكبته فلوريدا، وبوش، وهاريس، وجماعتهم لم يكن فقط بإزالة الآلاف من المجرمين السود من سجلات الانتخاب، وإنما بإزالة الآلاف من المواطنين السود الذين لم يرتكبوا أي جريمة في حياتهم – إلى جانب الآلاف من المصوتين المؤهلين للانتخاب الذين لم يقترفوا سوى جنح بسيطة.

كيف حصل ذلك؟ أخبر مكتب هاريس داتابايز – شركة لها علاقات وثيقة مع الجمهوريين – بأن تنظم أوسع شبكة ممكنة للتخلص من أولئك المصوتين. أعلم موظفو الشركة بأن تشمل حتى الأشخاص الذين يملكون أسماء "مشابهة" لأولئك المجرمين الحقيقيين. كما أكدوا على الشركة بأن تتحقق من الأشخاص الذين يشتركون مع المجرمين المعروفين بتواريخ ميلاد متشابهة، أو أرقام تأمين متشابهة؛ كما شدد مكتب هاريس على أنه إذا تمت مطابقة 80 بالمئة من المعلومات ذات الصلة فهذا كاف للشركة حتى تضيف اسم الناخب إلى قائمة غير المؤهلين للانتخاب.

كانت هذه الأوامر تدعو للاشمئزاز، حتى بالنسبة لشركة داتابايز التي ترتبط بعلاقة ودية مع بوش، فهي تعني بأن الآلاف من المصوتين المؤهلين قد يُمنعوا من التصويت يوم الانتخاب لمجرد أنهم يملكون اسماً يبدو مشابهاً لشخص آخر، أو يتشاركون يوم ميلاد واحد مع لص بنوك مجهول. أرسلت ماريلين ثوروغود، مديرة برنامج داتابايز، بريداً إلكترونياً E-mail إلى إيميت "باكي" ميتشيل، محامي قسم الانتخاب التابع لكاثرين هاريس، محذرة إياه، "لسوء الحظ، إن البرمجة بهذه الطريقة قد تزودك بوقائع مزيفة،" أو هويات غير متطابقة.

قال باكي المطيع، لا تأبهي لذلك، وكان جوابه: "من الواضح أننا نريد الحصول على المزيد من الأسماء التي يُحتمل بأن تكون غير متطابقة ودعوا المشرفين على [انتخاب المقاطعة] أن يجرون تقييماً نهائياً بدلاً من استبعاد حالات معينة متطابقة".

وقامت داتابايز بما طُلب منها. وقبل انقضاء وقت طويل، مُسح 137,000 مصوتاً مسجلاً في فلوريدا من سجلات الانتخاب. في ميامي مايد، أكبر مقاطعة في فلوريدا، 66 بالمائة من المصوتين الذين أُزيلوا كانوا من السود. وفي مقاطعة تامبا، 54 بالمائة من الذي أُنكر عليهم حقهم في التصويت في السابع من تشرين الثاني من العام 2001 كانوا من السود أيضاً.

ولكن إزالة الأسماء من سجلات فلوريدا وحدها لم يكن كافياً بالنسبة لهاريس وإدارتها، فقد أُخرج ثمانية آلاف فلوريدي إضافيين من سجلات التصويت لأن شركة داتابايز استخدمت قائمة مزيفة زودتها بها ولاية أخرى، ولاية ادعت بأن كل الأسماء في اللائحة كانت لمجرمين مدانين سابقين كانوا قد انتقلوا حينئذ إلى فلوريدا.

لقد تبيّن بأن المجرمين في اللائحة كانوا قد نفذوا مدة أحكامهم واسترجعوا كل حقوقهم بالتصويت إلى ما كانت عليه في السابق. وكان يوجد في اللائحة آخرون ممن ارتكبوا مجرد جنح صغيرة – مثل انتهاكات ركن السيارة أو بعثرة القمامة. أي ولاية تلك التي قدمت يد المساعدة إلى جيب وجورج عن طريق إرسال هذه القائمة المزيفة إلى فلوريدا؟

إنها تكساس.

كان من الممكن أن تفوح رائحة هذه الحادثة المنتنة عالياً، ولكن وسائل الإعلام الأميركية تجاهلتها. لقد تطلّب الأمر من المؤسسة البريطانية للإرسال (BBC) أن تنبش وتبحث عميقاً داخل خبايا هذه القصة، بأنّة فواصل مدة كل منها خمس عشرة دقيقة في برنامجها الإخباري الرئيسي للكشف عن كل

التفاصيل القذرة، وواضعة مسؤولية الاحتيال مباشرة على عتبة باب الحاكم جيب بوش. يا له من يوم محزن، اليوم الذي نضطر فيه للنظر إلى بلد يبعد عنا 5,000 ميل من أجل أن نكشف حقيقة انتخاباتنا نحن. (في نهاية الأمر، التقطت لوس أنجلوس تايمز وواشنطن بوست القصة، ولكنها لم تلقَ اهتماماً كبيراً).

هذا الاعتداء على حقوق التصويت للأقليات كان منتشراً في فلوريدا لدرجة أنه أصاب أشخاصاً مثل ليندا هاول. تلقّت ليندا رسالة تبلغها بأنها كانت مجرمة – ولهذا، تنصحها الرسالة بأن لا تزعج نفسها بالظهور في يوم الانتخاب، لأنها ستُمنع من الانتخاب. وكانت المشكلة الوحيدة – أن ليندا هاول ليست مجرمة – في الواقع، كانت ليندا هي المشرفة على الانتخابات في مقاطعة ماديسون، فلوريدا!. حاولت هي ومسؤولين آخرين عن الانتخابات حمل الولاية على تصحيح المشكلة، ولكن التماساتهم أصابت آذاناً صماء. قيل لهم بأن كل شخص اشتكى من منعه عن الانتخاب سيخضع لعملية أخذ البصمات – وعندها، دعوا الولاية تقرر سواء كانوا مجرمين أم لا.

في 7 تشرين الثاني 2000، عندما اندفعت أفواج الفلوريديين السود إلى حجرات الانتخاب بأرقام قياسية، قوبل العديد منهم عند صناديق الاقتراع بتوبيخ فظ: "لا يمكنك أن تصوت". وفي عدة دوائر انتخابية في المدن الداخلية لفلوريدا، كانت مواقع التصويت معززة بأعداد كثيفة من الشرطة لمنع أي شخص موجود على "قائمة المجرمين" الخاصة بكاثرين وجيب من التصويت. أُبعد العديد من المواطنين الملتزمين بالقانون المتطلعين للقيام بحقهم الدستوري في التصويت، أغلبيتهم من الجاليات السوداء واللاتينية – وهُددوا بالاعتقال إذا احتجوا على ذلك.

رسمياً، حصل جورج. دبليو. بوش على 537 صوتاً أكثر من آل غور في فلوريدا. هل يمكننا الافتراض بأن الآلاف من المصوّتين السود والأميركيين الجنوبيين المسجّلين الذين مُنعوا من الاقتراع كانوا سيغيرون من الوضع فيما لو

سُمح لهم بالتصويت – ويكلفون بوش الانتخاب؟ بدون شك.

في ليلة الانتخاب، بعد إغلاق صناديق الاقتراع، حصل لغط كبير بشأن ما كان يحصل في مسألة عد الأصوات في فلوريدا. وأخيراً، أخذ قرار بواسطة الرجل المسؤول عن قسم الاقتراع التابع لقناة فوكس نيوز. قرر ذلك الرجل بأن على قناة فوكس أن تظهر على الهواء وتعلن بأن بوش قد فاز في فلوريد، وبذلك في الانتخاب. وهذا ما حصل بالفعل. أعلنت فوكس رسمياً فوز بوش.

ولكن في تالاهاسي، لم يكن قد انتهى عد الأصوات بعد. في الواقع، لقد أكدت أسوشييتد بريس بأن الأرقام كانت قريبة جداً من بعضها ومن الصعب إعلان النتيجة، ورفضت اتباع قناة فوكس.

ولكن، لم تكن تلك هي حال كل الشبكات، فقد هرعوا كالجرذان بعد إعلان فوكس، خائفين من أن يظهروا بأنهم بطيئون أو خارج دائرة الحدث – رغم أن مراسلي الأخبار لديهم على الأرض كانوا يصرون على أن الوقت مبكر جداً على إعلان نتيجة الانتخاب. ولكن، من يحتاج إلى المراسلين عندما تلعب لعبة اتبع القائد – القائد، في هذه الحالة، هو جون إليس، الرجل المسؤول عن تغطية الانتخاب في قناة فوكس. لكن من هو جون إليس هذا؟

إنه ابن خال جورج وجيب بوش.

ما إن أعلن إليس النتيجة ولحقه الجميع، حتى أصبح من الصعب الرجوع – ولم يكن هناك تحطيم نفسي لفرص غور بالفوز أكثر من الإدراك المفاجئ بأنه هو من أفسد المسألة بطلبه إعادة الإحصاء، وسحبه اعترافه بالهزيمة، ولجوئه إلى المحاكم مع المحامين والدعاوى القضائية. والحقيقة أن آل غور كان متقدماً، فقد حصل على معظم الأصوات، ولكن، لم تكن تلك أبداً اللعبة التي لعبتها وسائل الإعلام.

اللحظة الوحيدة التي لن أنساها أبداً من ليلة الانتخاب جاءت في وقت مبكر من ذلك المساء، بعد إظهار الشبكات أول مرة – بشكل صحيح – ولاية فلوريدا

لصالح غور. انتقلت الكاميرات إلى غرفة فندق في تكساس. وهناك جلس جورج. دبليو. بوش مع أبيه، الرئيس السابق، وأمه باربرة. بدا الرجل العجوز بأن هادئ كخيارة. سأل المراسل بوش الشاب عن اعتقاده بشأن النتيجة.

"أنا لا... أسلّم بأي شيء في فلوريدا،" تكلم الابن بصوت عالٍ، وبشبه تماسك. "أنا أعلم بأنكم تملكون كل التصورات، ولكن الناس في الواقع مازالوا يعدون الأصوات... لقد أعلنت الشبكات التلفزيونية هذا الشيء في وقت أبكر من موعده على نحو شنيع والناس الذين يعدون الأصوات لديهم وجهة نظر أخرى ..." كانت لحظة غريبة في تلك الليلة المجنونة من تغطية نتيجة الانتخاب. أما آل بوش، مع ابتساماتهم المسترخية، فقد بدوا كعائلة من القطط فرغت للتو من التهام مجموعة من طيور الكناري – كأنهم كانوا يعرفون شيئاً لم نكن نعلمه.

ذلك صحيح، فقد كانوا يعلمون بأن جيب وكاثرين قد قاما بعملهما قبل أشهر من ذلك الوقت. وكانوا يعلمون بأن قريبهم جون كان يمسك بالحصن في مركز انتخاب فوكس. وإذا فشل هذا وذاك، فهناك دائماً شيء يستطيع ذلك الفريق الاعتماد عليه: المحكمة العليا في الولايات المتحدة.

كما نعلم جميعاً، هذا بالضبط ما حصل في الستة وثلاثين يوماً التالية، فقد ردت قوات الإمبراطورية الهجوم، وفعلت ذلك بلا رحمة. وبينما راح غور يركز على إعادة الإحصاء في عدة مقاطعات، كان فريق بوش يبحث عن الكأس المقدسة – أصوات الأميركيين في الخارج. والعديد من هذه الأصوات ستأتي من الجيش، أي أنها أصوات جمهورية في معظمها، وستضع بوش في المقدمة بعد إنكار حق التصويت للآلاف من السود.

عرف غور ذلك، وحاول التأكد من خضوع هذه الأصوات لأقصى حد ممكن من التدقيق قبل عدّها. ومن المؤكد بأن هذا الأمر كان معاكساً لطلبه بإعادة الإحصاء. ولكن، كان هناك أيضاً قانون فلوريدا، الذي كان واضحاً تماماً في هذه المسألة، من هذا الجانب. ينص قانون فلوريدا على أن أصوات الاقتراع

الغيابي يمكن أن تُحصى فقط إذا جُمعت ووُقّعت في أو قبل يوم الانتخاب، وأُرسلت ومُهرت بختم البريد من بلد آخر في يوم الانتخاب.

ولكن، بينما كان جيم بايكر ينشد ابتهاله – "من غير المنصف تغيير القوانين والمعايير التي تحكم إحصاء أو إعادة إحصاء الأصوات بعد أن يتبيّن بأن أحد الجانبين قد استنتج بأنها الطريقة الوحيدة للحصول على الأصوات التي يحتاجها" – ولم يكن هو أو عملاؤه السريون يفعلون سوى ذلك.

أظهر تحقيق أجرته صحيفة نيويورك تايمز في تموز من العام 2001 بأنه من بين 2,490 صوتاً من الخارج، التي شُملت في نهاية الأمر في نتائج الانتخاب المصدّقة رسمياً، 680 منها اعتُبرت خاطئة ومشكوك بأمرها. فاز بوش بالتصويت الغيابي بنسبة 4 إلى 5. إن 544 من الأصوات التي ذهبت إلى بوش كان يجب أن تُرمى وتُهمل. هل فهمت العملية الحسابية؟ إذاً، يصبح "هامش الفوز" الذي حصل عليه بوش، وهو 537، فجأة ناقص 7.

إذاً، كيف حُسبت كل هذه الأصوات لصالح بوش؟ خلال ساعات الانتخاب، أطلقت حملة بوش هجومها. وتمثلت الخطوة الأولى في التأكد من الحصول على أكبر قدر ممكن من الأصوات، فأرسل العملاء السريون الجمهوريون رسائل إلكترونية مسعورة إلى سفن القوات البحرية تطلب منها نبش أي أصوات يمكن إيجادها. حتى أنهم وجهوا نداءً إلى وزير دفاع كلينتون، ويليام كوهين (جمهوري)، يطلبون منه الضغط على القواعد العسكرية. لقد رفض ذلك، ولكن هذا لا يهم، فقد تدفقت الآلاف من الأصوات – حتى أن بعضها وُقّعت بعد يوم الانتخاب.

الآن، كل ما كان عليهم فعله هو التأكد من ذهاب أكبر عدد ممكن من هذه الأصوات إلى بوش، وهنا بدأت عملية السرقة الحقيقية.

وفقاً لنيويورك تايمز، خططت كاثرين هاريس لإرسال مذكرة إلى لجان تدقيق أصوات المنتخبين التابعة لها موضحة لها طريقة إحصاء الأصوات

القادمة من الخارج. تضمنت هذه المذكرة تذكيراً بأن قانون الولاية ينص على أن تكون كل الأصوات "مختومة بختم البريد أو موقّعة ومؤرّخة" في يوم الانتخاب. وعندما تبيّن بأن تقدم جورج كان يتقلص بسرعة كبيرة، قررت عدم إرسال المذكرة. وبدلاً من ذلك، أرسلت ملاحظة تقول بأن الأصوات "لا يجب أن تكون مختومة في أو قبل" يوم الانتخاب.

ما الذي دعاها لتغيير رأيها – والقانون؟ ربما لن نعرف أبداً، بما أن سجلات الكمبيوتر التي تبيّن ما حصل قد مُحيت بطريقة غامضة – انتهاك محتمل للقوانين البهيجة لفلوريدا. والآن، بعد وقت طويل من مغادرة الحصان للحظيرة، كشفت هاريس أقراصها الصلبة إلى وسائل الإعلام للفحص – ولكن فقط بعد "تفحصها" من قبل مستشارها الاختصاصي في الكمبيوتر. هذه المرأة تخطط الآن للذهاب إلى الكونغرس. ألا يخجل هؤلاء الناس؟

تسلح الجمهوريون بمباركة وزير الخارجية، وأطلقوا حملتهم ووضعوا فيها كل جهودهم من أجل التأكد من استخدام معايير فضفاضة قدر الإمكان في إحصاء هذه الأصوات الغيابية. "التمثيل المتساوي"، حسب نموذج فلوريدا، كان يعني أن القوانين التي تحكم قبول أو رفض صوتك الغيابي تعتمد على المقاطعة التي أنت منها. وربما هذا يفسر لماذا أُحصي فقط 2 من كل 10 أصوات غيابية مع أختام بريدية غير واضحة في المقاطعات التي فاز فيها غور؛ بينما سلكت 6 من 10 أصوات غيابية، وذلك أمر يمكن التنبؤ به، طريقها إلى السجلات النهائية في المقاطعات التي فاز بها بوش.

عندما اشتكى الديمقراطيون بأن الأصوات التي لم تتبع القوانين يجب عدم إحصائها، أطلق الجمهوريون حملة علاقات عامة ضارية ليجعلوا الأمر يبدو وكأن الديمقراطيين كانوا يحاولون تشويه صورة الرجال والنساء الذين يخاطرون بحياتهم من أجل الوطن. وكان أحد الأعضاء الجمهوريين في مجلس مدينة نابلز نموذجياً في غلوّه: "إذا أُصيبوا بطلقة، أو شظية من قنبلة إرهابي،

فتلك الشظية لا تحمل أي ختم أو وثيقة من أي نوع". حتى أن النائب الجمهوري ستيف بايز حصل على (من المحتمل بطريقة غير شرعية) أرقام هواتف وعناوين البريد الإلكتروني لموظفين عسكريين مكّنته من جمع قصص محزنة عن أصوات مرفوضة، وذلك حتى يكسب تعاطف الناس مع "المحاربين من رجالنا ونسائنا". وكذلك فعل نورمان شوارزكوف عندما أوقع الكآبة في نفوسنا بقوله من العار الذي يحصل، "إنه ليوم حزين جداً في أمتنا" عندما يبدأ الديمقراطيون بإزعاج أصواتنا العسكرية بمضايقاتهم المستمرة.

نجح الضغط الذي مورس على الديمقراطيين الضعفاء عديمي الفعّالية. لقد صُدموا. عند ظهوره في برنامج Meet the Press (قابل الصحافة)، أكد المرشح لمنصب نائب الرئيس جو ليبرمان بأن الديمقراطيين يجب أن يتوقفوا عن إثارة المشاكل وعدم إزعاج أنفسهم لإحصاء المئات من الأصوات العسكرية، لمجرد أنها لم تكن "مختومة".

كان ينبغي على ليبرمان، كالعديد من هذا النسل الجديد من الديمقراطيين، أن يدافع عن المبدأ بدلاً من القلق بشأن الصورة الخارجية. لماذا؟ حسناً، كما اكتشفت النيويورك تايمز:

* 344 ورقة اقتراع لم يكن ثابتاً أنها أُرسلت في أو قبل يوم الانتخاب.
* 183 ورقة اقتراع خُتمت في الولايات المتحدة.
* 169 ورقة اقتراع جاءت من مصوتين غير مسجّلين، أو لم تكن مغلفاتها موقّعة بشكل صحيح، أو جاءت من أشخاص لم يطلبوا ورقة اقتراع.
* 5 أوراق اقتراع جاءت بعد الموعد النهائي أي في 17 تشرين الثاني.
* 19 ورقة اقتراع من خارج الولايات المتحدة صوّتت على ورقتي اقتراع - وأُحصيت كلتاهما.

كل هذه الأوراق خرقت قانون فلوريدا، ومع ذلك فقد أُحصيت كلها. هل يمكنني قول ذلك بصوت أعلى؟ بوش لم يفز! غور هو الذي فاز. وليس للأمر

علاقة بالبطاقات، أو حتى بالقمع الصارخ للمجتمع الأفريقي الأميركي في فلوريدا وحقه في التصويت. إنها بكل بساطة مسألة انتهاك للقانون، كل الدلائل التي تقبع هناك في تالاهاسي من الواضح بأنها سُجلت بدون أي استطلاع أو تدقيق- وكل ذلك حصل عن عمد لإعطاء الانتخاب لبوش.

في صباح يوم السبت 9 كانون الأول 2000، أعلنت المحكمة العليا بأن عمليات إعادة الإحصاء في فلوريدا، رغم كل ما فعله معسكر بوش لتثبيت الانتخابات، كانت تسير في صالح آل غور. وبحلول الساعة الثانية من بعض الظهر، أظهرت النتائج غير الرسمية بأن غور كان يبتعد عن بوش بـــ 66 صوتاً فقط، وهو في ازدياد!" كما قالت إحدى الصحف اللاهثة. ولكن، بالنسبة لبوش كان من الضروري أن لا تُسمع عبارة "آل غور في المقدمة" أبداً على التلفزيون الأميركي، وفي اللحظات المتبقية فقط لهم، قاموا بما عليهم القيام به. في الساعة 2:45 من بعض الظهر، أوقفت المحكمة العليا إعادة الإحصاء.

في المحكمة، جلس كل من القاضية المعيَّنة من قبل ريغان، ساندرا داي أوكونو، والمعيَّن من قبل نيكسون، كبير القضاة ويليام رينكويست. كلاهما في السبعينيات، كانا يأملان في التقاعد تحت إدارة جمهورية، وذلك حتى يكون بديلاهما يشاطرانهما ذات الإيديولوجية المحافظة. في ليلة الانتخاب، سُمعت أوكونور تندب حظها لأنها لم تستطع البقاء لأربع – أو ثمانية- سنوات أخرى. كان بوش الابن أملهما الوحيد في تأمين تقاعد مرضٍ في موطنهما أريزونا.

في هذه الأثناء، وجد قاضيان آخران يملكان آراء يمينية متطرفة نفسيهما مع مصالح متضاربة. زوجة كلارينس توماس، القاضية فيرجينيا لامب توماس، عملت في مؤسسة الميراث، وهي مؤسسة محافظة كبرى في واشنطن العاصمة، وهي قد عُيِّنت منذ فترة قصيرة من قبل بوش لتساعده في تجنيد أشخاص للخدمة في إدارته الموشكة على التشكل. ويوجين سكاليا، ابن القاضي أنتونين سكاليا، وهو محامٍ في مؤسسة جيبسون، دن آند كروتشر، نفس المؤسسة

القانونية التي كانت تمثل بوش قبل المحكمة العليا!

ولكن، لا توماس ولا سكاليا شهدا تضارباً في المصالح، كما رفضا إبعاد نفسيهما عن القضية. في الواقع، عندما انعقدت المحكمة لاحقاً، كان سكاليا هو الذي أطلق، ما أصبح شائناً الآن، توضيح السبب الذي يدعو إلى إيقاف إحصاء الأصوات: "إن إحصاء الأصوات المشكوك بقانونيتها يهدد فعلاً، من وجهة نظري، بالتسبب بأذىً يتعذر إصلاحه إلى الملتمِس [بوش]، وإلى البلاد، عن طريق نشر غيوم من الشك حول ما يدعيه [بوش] شرعية انتخابه." بكلمات أخرى، إذا سمحنا لكل الأصوات بأن تُعد وكانت النتيجة لصالح غور، ويفوز غور، حسناً، فإن ذلك سيضعف من قدرة بوش على الحكم إذا ما نصبناه "رئيساً."

ذلك صحيح تماماً: إذا أثبتت الأصوات بأن غور قد فاز – وهذا ما كان سيحصل في نهاية الأمر – عندئذ، أعتقد بأن ذلك كان سيثبط من مشاعر البلاد تجاه شرعية رئاسة بوش.

في قرارها، استخدمت المحكمة فقرة الحماية المتساوية من التعديل الرابع عشر – نفس التعديل الذي كانوا ينكرونه بإصرار عندما كان يُستخدم من قبل السود من أجل إيقاف التمييز على أساس العرق – لتبرير السرقة. وبسبب اختلاف أساليب العد، كما احتجوا، لم يُعامل المنتخِبون في نفس المقاطعة بشكل متساوٍ، ولهذا فقد انتُهكت حقوقهم. (مضحك، ولكن القضاة الذين كانوا لا يتفقون مع الحكم هم وحدهم الذين ذكروا بأن معدات التصويت البالية التي وُجدت بشكل غير متكافئ في الأحياء الفقيرة وأحياء الأقليات في فلوريدا قد خلقت تمييزاً مختلفاً تماماً – ومثيراً للقلق إلى حد بعيد– في النظام.

وأخيراً وصلت وسائل الإعلام إلى المكان لإجراء إعادة إحصاء للأصوات خاصة بها، فاعلة ما بوسعها لوضع كرة الفوضى الشعبية في المدار. قال العنوان الرئيسي في ميامي هيرالد: "تجد مراجعة الأصوات بأن فوز بوش كان

سيتحمل إعادة الإحصاء." ولكنك إذا قرأت القصة الكاملة، فستجد داخلها هذه الفقرة: "كان تقدم بوش سيتلاشى لو جرت عملية إعادة الإحصاء وفق المعايير المقيِّدة بشدة التي كان يؤيدها بعض الجمهوريين... وجدت المراجعة بأن النتيجة كانت ستكون مختلفة فيما لو تفحصت لجنة تدقيق الأصوات في كل مقاطعة كل صوت مشكوك بأمره... وفق المعيار الأكثر شمولاً [أي، المعيار الذي يسعى لتضمين الرغبة الحقيقية لكل الناس] كان غور سيفوز بـ 393 صوتاً... وفي أوراق الاقتراع التي كانت[تلمّح] إلى خطأ إما في الآلة أو في قدرة المنتخب على استخدامها... كان غور سيفوز بـ 299 صوتاً".

أنا لم أصوّت لآل غور، ولكنني أعتقد بأن أي شخص عادل سيستنتج بأن ميل الناس في فلوريدا كان في اتجاهه بشكل واضح. وسواء كان اضطراب العد أو استبعاد آلاف المواطنين السود هو الذي أفسد النتيجة، فهناك شك قليل في أن غور كان هو اختيار الناس.

ربما لم يكن هناك مثال أسوأ مما حصل في مقاطعة بالم بيتش، على الإنكار بالجملة لحق كل منتخب في أن يؤخذ صوته بعين الاعتبار بالشكل المناسب. لقد صُنع الكثير من "ورقة الاقتراع الفراشة،" التي جعلت من السهولة بمكان التصويت للشخص الخطأ، لأن أسماء المرشحين والثقوب التي ستُخرم كانت محشورة بشكل غير متساوٍ على الصفحات المتقابلة. وحللت وسائل الإعلام ذلك من تلقاء نفسها مشيرة إلى أن ورقة الاقتراع قد صُممت بواسطة أحد مفوضي الانتخاب في المقاطعة، ديمقراطي، ثم قُبلت من قبل المجلس المحلي ذي الأغلبية الديمقراطية. أي حق يملكه غور لكي يشتكي، إذا كان حزبه نفسه هو الذي كان مسؤولاً عن التصميم الخاطئ لورقة الاقتراع؟

لو أزعج أحد ما نفسه في التحرّي عن ذلك، لاكتشف بأن واحدة من "الديمقراطيين" في المجلس – مصمّمة ورقة الاقتراع، تيريزا لوبور – كانت في

حقيقة الأمر جمهورية مسجّلة. لقد نقلت انتسابها إلى الحزب الديمقراطي في العام 1996، ثم بعد ثلاثة أشهر فقط من استيلاء بوش على المكتب، استقالت كديمقراطية وغيّرت تسجيل صوتها الانتخابي إلى مستقل. لم يُتعب أحد من الصحافة نفسه في السؤال عن حقيقة ما كان يحدث.

وهكذا، تقدر صحيفة بالم بيتش بوست بأن أكثر من 3,000 مصوّت، معظمهم من كبار السن واليهود، ممن كانوا يعتقدون بأنهم يصوتون لآل غور انتهى بهم الأمر إلى خرم الثقب الخاطئ – لبات بوتشانان. حتى بوتشانان نفسه ظهر على شاشة التلفزيون وأعلن بأن من المستحيل أن يصوت أولئك المنتخبين اليهود له.

في 20 كانون الثاني، 2001، وقف جورج. دبليو. بوش، متمركزاً هو وعصبته، على سلالم الكونغرس، مقابل كبير القضاة رينكويست وتسلّم القسم الذي تسلمه الرؤساء في مراسيم توليهم مقاليد الحكم. تساقط مطر بارد وثابت على واشنطن خلال ذلك اليوم. وحجبت غيوم سوداء الشمس. وطريق الاستعراض، الذي يغص في العادة بعشرات الألوف من المواطنين إلى أن يصل إلى البيض الأبيض، كان فارغاً بشكل مخيف.

باستثناء 20,000 متظاهر كانوا يسخرون من بوش على طول الطريق، رافعين لافتات تتهمه بسرقة الانتخاب. كان أولئك المتظاهرون المبللون بالمطر ضمير الأمة. لم تتمكن ليموزين بوش أن تتجنبهم. وبدلاً من تحية جماهير المؤيدين، كان يُحيّا من قبل أناس طيبين أتوا ليذكروا هذا الحاكم غير الشرعي بأنه لم يفز بالانتخاب – وبأن الناس لن تنسَ ذلك أبداً.

وعند اللحظة التي أصبحت تقليدية منذ أن أوقف الرئيس جيمي كارتر سيارته الليموزين وخرج لكي يمشي آخر أربعة أحياء (كتذكير بأننا أمة لا تُحكم من قبل ملوك وإنما من قبل، أوه، أشخاص مساوين لنا)، توقفت سيارة بوش السوداء المدرعة بثلاث طبقات بنوافذها المظللة بالسواد – والمدعومة برجال

عصابات من كل مكان – بشكل مفاجئ. وعلت أصوات الحشود – "مرحباً بالسارق!" يمكنك رؤية رجال الخدمة السرية ومستشاري بوش متجمعين في المطر البارد، وهم يحاولون معرفة ماذا يمكنهم فعله. لو ترجّل بوش من السيارة، لقوبل بأصوات الاستهجان، والهتافات الساخرة ولرُشق بالبيض كل الطريق المتبقي. انهمر المطر، وأصاب البيض والبندورة السيارة. وتحدى المتظاهرون بوش بأن ينزل من السيارة ويواجههم.

ثم، فجأة، انطلقت سيارة الرئيس هاربة. لقد اتُخذ القرار – ادعس دواسة البنزين واعبر هذه الحشود بأسرع ما يمكن. تُرك عملاء الخدمة السرية الذين كانوا يركضون بجانب الليموزين في الخلف، فأصابتهم إطارات السيارة بالمطر القذر من الشارع، هم الذين كانوا هنا لحماية راكبها. ربما كان ذلك أجمل شيء رأيته في حياتي في واشنطن العاصمة – مطالب، لا حق له، بالعرش الأميركي أُجبر على طي ذنبه والهرب من آلاف المواطنين الأميركيين المسلحين فقط بالحق ومكونات عجة محترمة.

وما إن ذاعت الكذبة الأميركية حتى وصلت إلى منصة العرض الواقي للرصاص أمام البيت الأبيض. وكان قد تُرك منذ بعض وقت العديد من أفراد عائلة بوش والضيوف المدعوون وحدهم لكي يجفوا. ولكن جورج وقف هناك ولوّح بكل فخر إلى فرق العرض من المشاة وقد عُطبت آلاتهم الموسيقية بفعل المطر، وانهار الموكب الطويل من العربات مع وصولهم إلى الحي 1600 من جادة بنسلفانيا. وبين الحين والآخر كانت تعبر سيارات مكشوفة وهي تحمل شخصيات مشهورة مبللة أقنعهم بوش بالمجيء لتشريفه – كيلسي غرامر، درو كاري، تشاك نوريس. ومع نهاية العرض وقف بوش لوحده في المنصات مبللاً، حتى أبواه تخليا عنه كي يلتجئا من المطر. لقد كانت لحظة تدعو للشفقة – الطفل الثري الصغير المسكين الذي جاء إلى ثاني ظهور لـــه لكي يستحق جائزته، لم يكن هناك من أحد لتحيته.

ولكن الأكثر حزناً منه كان الـ 154 مليوناً منا، الذين لم يصوتوا لـه. في أمة فيها 200 مليون مؤهل للانتخاب، أستطيع القول بأننا نشكل الأغلبية.

ومع ذلك، بماذا يمكن أن يفكر جورج دبليو في تلك اللحظة، سوى في "ماذا، أنا أقلق؟ ولماذا القلق، فهناك الكثير من الأيدي المأجورة التي يمكن نصبها في البيت الأبيض، لدعم رئيسهم الدمية. ومع دعوة أصدقاء أبيه القدماء مرة ثانية إلى واشنطن العاصمة، استطاع جورج الجلوس متكئاً على ظهره ليخبر الشعب بأنه كان يتسلم "السلطة." وبدأ السادة الدمى بالعمل، وتُركت مهمة حكم العالم لهم بكل سهولة ويسر.

من هم أولئك الأعمدة الوطنيون البارعون لحكومة بوش؟ إنهم يمثلون الطبقات الاجتماعية المتواضعة والغيرية (غير الأنانية) لأميركا المندمجة، وهم مدونون أدناه، لسهولة الإشارة، ليساعدوا قوات الأمم المتحدة والناتو عندما يصلون كي يستعيدوا النظام والديمقراطية. والمواطنون الممتنون سيصطفون في الساحات والشوارع العامة لتحيتهم عند وصولهم.

شخصياً، لن أرتاح بأقل من محاكمات علنية مضاعفة وترحيلهم الفوري إلى جمهورية موز حقيقية. ليبارك الرب أميركا.

من هم رجال الانقلاب

ممثل الرئيس/"نائب الرئيس" – ديك تشيني

لست متأكداً بعد من أين أتت كلمة "الشفوقة" في عبارة "المحافظة (نسبة إلى المحافظين) الشفوقة"، ولكنني أعلم علم اليقين أين تستقر المحافظة بالضبط. لست دورات، كان ديك تشيني نائباً في الكونغرس عن مقاطعة وايومينغ، وهو يملك واحداً من أكبر السجلات المحافظة في التصويت من بين 435 عضواً في الكونغرس. صوّت تشيني ضد تعديل الحقوق المتساوية، وضد تمويل برنامج

Head Start (لرعاية الأطفال منذ الولادة حتى دخولهم المدرسة)، وضد قرار من الكونغرس يدعو فيه جنوب أفريقيا لإطلاق سراح نيلسون منديلا، وضد التمويل الفدرالي لعمليات الإجهاض حتى في حالات الاغتصاب وسفاح القربى. ولم يتوقف سجله عند ذلك الحد، إذ أن لتشيني يد في كل الإدارات الجمهورية الحديثة، بما فيها إدارة ريتشارد نيكسون، عندما كان نائب المستشار القانوني للبيت الأبيض تحت أمرة دون "رامي" رامسفيلد. وخلف رامسفيلد كمستشار للرئيس فورد. وتحت قيادة جورج بوش الأول، كان تشيني وزير الدفاع الذي قاد البلاد في اثنتين من أكبر الحملات العسكرية في التاريخ الحديث: غزو باناما والحرب ضد العراق.

وبين فترتي حكم آل بوش، كان تشيني مديراً تنفيذياً لشركة هاليبورتون إنداستريز، وهي شركة خدمات نفطية لها معاملات مع حكومات مثل بورما والعراق. أثناء حملة العام 2000، أنكر تشيني بأن شركة هاليبورتون كانت تملك علاقات عمل مع صدام حسين. ثم في حزيران 2001، كشفت واشنطن بوست عن شركتين تابعتين لشركة هاليبورتون كانتا تقومان بأعمال مع العراق. هل يمكنك أن تتصور اليوم المشهود الذي كان الجمهوريون سيستمتعون به فيما لو اكتشفوا شيئاً مماثلاً على كلينتون أو غور؟ ولم تكن ألاسكا المكان الوحيد الذي اقترح تشيني أن ننقب فيه، فقد كانت هاليبورتون تملك عقداً إنشائياً أساسياً لتطوير حقول النفط الواقعة على شاطئ كانتاريل في خليج المكسيك. عندما رُشّح لمنصب نائب الرئيس، راوغ تشيني بشأن حرمان نفسه من أسهم هاليبورتون. أعتقد بأنه كان يعرف بأن الأيام الجيدة ستأتي.

النائب العام – جون آشكروفت

الرجل المسؤول عن نظامنا القضائي هو الرجل الذي عارض كل الإجهاض، حتى في حالات الاغتصاب أو زنا المحارم؛ وكان ضد توفير

حماية ضد التمييز في العمل للشاذين جنسياً؛ والرجل الذي صوّت لحصر عدد الاستئنافات لعقوبة الإعدام (ومن ثم أشرف بنفسه على سبعة أحكام بالإعدام كحاكم)؛ والرجل الذي كان مسانداً قوياً لقوانين الدواء الشائنة السائبة. ربما يفسر هذا السجل لماذا خسر محاولة إعادة انتخابه في مجلس الشيوخ أمام رجل ميت. على أي حال، لقد تلقى آشكروفت، لقاء جهوده، هبات كبيرة من شركات AT&T، وإنتربرايز رينت أكار، ومونسانتو. كما ساهمت شركة المستحضرات الصيدلية شيرينغ بلوف بمبلغ 50,000 دولار – ربما كعربون شكر على مشروع القانون الذي قدمه والذي كان سيمدد ترخيص الشركة لأقراص الحساسية "كلاريتين." (فشل مشروع القانون في نهاية الأمر). كل هذا التمويل الصيدلي قد يفسر أيضاً لماذا صوّت آشكروفت ضد تضمين الأدوية الموصوفة تحت برنامج الرعاية الطبية. ومايكروسوفت أيضاً، شركة مساهمة أخرى، أعطت آشكروفت 10,000 دولار خلال وجوده في لجنة رفع الاعتمادات المالية وثيقة الصلة مع اللجنة الجمهورية الوطنية السناتورية (المتعلقة بمجلس الشيوخ). من حسن حظهم أنه خسر معركته إلى مجلس الشيوخ، حتى يتمكن من وضع كامل اهتمامه في إدارة شؤون دائرة العدل – أو، يعني، أن يقف في الخلف في الوقت الذي يُسمح فيه للشركة العملاقة مايكروسوفت، التي تحررت مؤخراً من حكم المحكمة الذي كان سيقسم الشركة إلى نصفين، بالانطلاق كالمسعورة تحت عينه الحارسة.

كما أن آشكروفت يقف إلى جانب (إذا كان هذا الشيء ممكناً) الاتحاد الوطني للبندقية فيما يتعلق بالسيطرة على السلاح. وأول مرسوم مؤيد للسلاح له كنائب عام كان إعلانه أنه بعد أربع وعشرين ساعة من الشراء وتفحص الخلفية، ستُتلف كل ملفات التحقق من الخلفيات للأشخاص الذين يشترون أسلحة بواسطة دائرة العدل (تاركة الحكومة بدون أي سجل لمن يملك سلاحاً أو أي نوع من السلاح يملك).

وزير المالية – بول أونيل

خدم بطل إلغاء الضرائب المدمجة هذا كرئيس ومدير تنفيذي لشركة ألكوا، أكبر شركة مصنّعة للألمنيوم في العالم (وواحدة من أكبر الشركات الملوّثة للبيئة في تكساس) قبل الانضمام إلى إدارة بوش. لم تعد ألكوا تملك لجنة التأثير السياسي (PAC) الخاصة بها، ولكنها بدلاً من ذلك تقوم بالضغط عبر المؤسسة القانونية فينسون آند إلكنز. كانت هذه المؤسسة، ثالث أكبر مساهمة في حملة بوش الانتخابية، قادرة على فتح ثقب في القوانين البيئية لتكساس سمح لألكوا بإنتاج 60,000 طن من ثاني أوكسيد الكبريت سنوياً. وإضافة إلى ذلك، كانت ألكوا مساهمة في جيوب أونيل أيضاً. مؤخراً، باع أونيل أسهمه في ألكوا – والتي تشكل حصة ضخمة من 62 مليون دولار من الممتلكات – ولكنه فعل ذلك ببطء وخوف شديدين، بعد أن راقبها أولاً وهي ترتفع 30 بالمائة أثناء وجوده في المكتب. كرئيس للخزينة، قال أونيل بأن الضمان الاجتماعي والرعاية الطبية ليستا ضروريتين. ربما لأنه يتلقى منحة سنوية من شركة ألكوا تُقدر بـ 926,000 دولار.

وزيرة الزراعة – آن فينمان

كالعديد من وزراء بوش، لوزيرة الزراعة آن فينمان تاريخ طويل من العمل ضمن الإدارات الجمهورية. لقد عملت مع كل من رونالد ريغان وجورج بوش الأول ثم خدمت كمديرة لدائرة الزراعة والغذاء في كاليفورنيا تحت إشراف الحاكم بيت ويلسون. في كاليفورنيا، شجعت فينمان سياسات ساعدت المزارع المتحدة العملاقة على إخراج المزارع العائلية من العمل – ولهذا تجد الآن، على سبيل المثال، أربع شركات فقط تعالج 80 بالمائة من لحم البقر المنتج في أميركا. ولكونها واحدة من أقل أعضاء مجلس الوزراء غنىً (تقدر ثروتها 680,000 دولار) كمّلت فينمان دخلها بالعمل في مجلس إدارة كالجين – أول

شركة لتسويق الأطعمة المهندسة وراثياً إلى المخازن. اشتُريت كالجين من قبل شركة مونسانتو، الشركة الأولى التي تعمل في مجال التكنولوجيا الحيوية في الأمة. وبعد ذلك اشتُريت مونسانتو، التي أعطت 12,000 دولار إلى حملة بوش الرئاسية، من قبل شركة فارمسيا، وهي تحاول الآن إعاقة سن قوانين تطلب بأن تتضمن لوائح مكونات الأطعمة الغذائية تعريفاً بالمكونات المعالَجة بواسطة التكنولوجيا الحيوية. وخدمت فينمان أيضاً في مجلس السياسة الدولية في الزراعة، والغذاء والتجارة، مجموعة تُموّل من قبل شركات صناعية كبرى مثل نستله وآرتشر دانييلز ميدلاند.

وزير التجارة – دون إيفانز

قبل مجيئه إلى إدارة بوش، كان إيفانز رئيساً ومديراً تنفيذياً لشركة توم براون المحدودة، وهي شركة نفط وغاز تساوي 1.2 مليار دولار. كما كان عضواً في مجلس إدارة TMBR/شارب دريلينغ. وكرئيس مالي لحملة بوش، وضع إيفانز سجلاً لرفع الاعتمادات المالية يزيد عن 190 مليون دولار. تقع الإدارة الوطنية للجو والمحيط – التي تسيطر على سواحل البلاد– ضمن صلاحيات هذا الرجل النفطي.

وزير الدفاع – دون رامسفيلد

دون رامسفيلد هو صقر جمهوري من المدرسة القديمة. كان مستشار البيت الأبيض لريتشارد نيكسون، حيث عمل إلى جانب ديك تشيني. أثناء خدمته كوزير للدفاع في عهد الرئيس فورد ومن ثم كمستشار له، كان رامسفيلد قادراً، بمفرده تقريباً، على قتل معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (SALT II) مع الاتحاد السوفييتي. لقد عارض بإصرار أي حد للأسلحة، مسمياً معاهدة الحد من الصواريخ البالستية (ABM) بـ "التاريخ القديم" أثناء جلسة الاستماع في العام 2001. وكنصير قديم لمشاريع "حرب

النجوم" الدفاعية، أشرف رامسفيلد على لجنة قامت بتخمين خطر الصواريخ البالستية على الولايات المتحدة. ادعى رامسفيلد بأن الولايات المتحدة ستشعر بمثل هذا التهديد خلال خمس سنوات (نصف الوقت الذي تنبأت به وكالة الاستخبارات الأميركية). وعندما لم يكن يدعم قنابل ب-1 أو صواريخ إم إكس، كان رامسفيلد مديراً تنفيذياً في شركة G.D. سيرل للمستحضرات الصيدلية (تملكها الآن شركة فارمسيا) وشركة جنرال إنسترومينت (تملكها الآن موتورلا). وقبل انضمامه إلى إدارة بوش، كان رامسفيلد عضواً في عدة مجالس إدارة، بما فيها كيلوغس، سيرز، ألستايت، وشركة تريبيون (التي تصدر شيكاغو تريبيون ولوس أنجلوس تايمز وتملك سلسلة من المحطات التلفزيونية، من بينها القناة 11 في نيويورك).

وزير الطاقة – سبنسر أبراهام

كعضو في مجلس الشيوخ من ميتشيغان، يملك أبراهام سجلاً غير عادي في عدائه للبيئة لدرجة أن "مجموعة منتخبي المحافظة على البيئة" أعطته درجة 0. لقد عارض البحث عن طاقة قابلة للتجديد، وأراد إلغاء ضريبة الغاز الفدرالية، واعتقد بأن التنقيب عن النفط في ألاسكا كانت فكرة جيدة. ربما هذا هو السبب الذي دفعه للتصويت في العام 2000 لإلغاء الإدارة التي يرأسها الآن. تلقى أبراهام من صناعة السيارات 700,000 دولار، أكثر مما حصل عليه أي مرشح آخر، وكانت شركة دايملركريسلر واحدة من أكبر الشركات المساهمة، وهي جزء من الاندماج من أجل مجموعة تجارية تدعى فيبكل تشويس تحاول إيقاف الزيادة في المعايير الاقتصادية للوقود. هذا العام تخطط دايملركريسلر لتقديم سيارة SUV بجسم أطول تقطع 10 أميال في كل غالون. لا داعي للقلق، فعندما كان أبراهام عضواً في مجلس الشيوخ، صوّت أيضاً ضد زيادة مستلزمات فعّالية الوقود لسيارات SUV.

وزير الصحة والخدمات الإنسانية – تومي تومبسون

هذا الرجل الذي سيكون له ربما الدور الأكبر في التعامل مع صناعة التبغ لا يجب أن يعاني من أي مشكلة في أن يكون موضوعياً في السياسة. في النهاية، لمجرد أن تومبسون خدم في المجلس الاستشاري لصندوق واشنطن القانوني عندما رفع (الصندوق) مذكرات قانونية باسم أولئك الذين كانوا سيروّجون للتدخين – أو لأنه تلقى كحاكم حوالى 72,000 دولار من شركة فيليب موريس كمساهمات في حملته الانتخابية، أو لأن فيليب موريس دفعت نفقات عدة رحلات إلى الخارج قام بها تومبسون لتعزيز التجارة الحرة– فذلك ليس سبباً يدعوك للتفكير بأنه لن يكون قادراً على التصرف بنزاهة وبلا تحيز في مسألة الصحة هذه. كما أنه باع مؤخراً أسهم فيليب موريس الخاصة به بما يقدر بين 15,000 و50,000 دولار – ينبغي أن تكون هذه السنوات سنوات جيدة للتبغ.

وتومي تي، كما يحبون مناداته، "مناصر للحياة، وذلك لوضعه أكبر قدر ممكن من العراقيل في وجه حق المرأة في الإجهاض. عندما كان حاكماً كان يطلب من النساء استشارة محام وانتظار ثلاثة أيام قبل إجراء العملية.

وزيرة الداخلية – غايل نورتون

تسير غايل نورتون مسبقاً على خطى معلمها وسلفها جايمس وات. بدأت مهنتها القانونية مع مؤسسة ماونتين ستايتس القانونية، وهي مؤسسة بيئية محافظة مموّلة من قبل شركات النفط أسسها جايمس وات. في عملها الوثيق مع هذه المجموعة، ساعدت غايل ولاية ألاسكا على تحدي قانون صيد السمك الخاص بالإدارة الداخلية، فصرحت بأن قانون الأنواع المهددة بالانقراض غير دستوري وكتبت مذكرات قانونية ضد القانون الوطني للحماية البيئية. وكمحامية مع براونستين، هايات آند فاربر، مثّلت نورتون شركة ديلتا بتروليوم وضغطت

لصالح شركة NL إندستريز (كانت تُعرف سابقاً بناشيونال ليد) بينما كانت الأخيرة تدافع عن نفسها في دعاوى قضائية حول تعرض الأطفال للطلاء الذي يحوي مادة الرصاص. كما كانت أيضاً رئيسة وطنية لائتلاف "المحامين البيئيين الجمهوريين،" مجموعة تمولها شركة فورد للسيارات وشركة BP أموكو للنفط.

وزيرة العمل – إيلين تشاو

عملت تشاو أولاً في قطاع غير مربح، مع يونايتد واي وبيس كوربس، ولكنها كانت عضوة في مجالس إدارة دول فوود، وكلوروكس، وشركتين للرعاية الصحية هما C.R. بارد (التي أُدينت في التسعينيات لتصنيعها أنابيب قسطرة قلبية ذات عيوب وإجراء تجارب غير قانونية على الأجهزة) وشركة هوسبيتال كوربوريشن أوف أميركا (HCA). كما كانت عضوة في مجلس إدارة نورثويست إيرلاينز للطيران. متزوجة من السيناتور المحافظ ميتش ماكونيل (جمهوري من كنتاكي "R-KY").

وزير الخارجية – كولن باول

عندما لم يكن يقاتل في الحروب، كان باول عضواً في مجلس إدارة غلفستريم إيروسبايس وAOL. تصنّع شركة غلفستريم طائرات نفاثة لكبار المتنفذين في هوليود ولحكومات أجنبية. وخلال وجوده في AOL اندمجت الشركة مع شركة تايم وارنر وارتفعت أسهم باول 4 ملايين دولار. وفي تلك الأثناء، كان ابن كولن، مايكل باول، العضو الوحيد في لجنة الاتصالات الفدرالية (FCC) الذي أيد مضي قضية اندماج AOL/تايم وارنر بدون أي مساءلة. ومنذ ذلك الحين عُيّن مايكل باول كرئيس لـ FCC بواسطة جورج دبليو بوش، كجزء من عمله في الإشراف على أنشطة AOL/تايم وارنر. وهو سيشرف أيضاً على أي تنظيم لتكنولوجيا "الرسائل السريعة" الاحتكارية لشركة AOL.

وزير النقل – نورمان. واي. مينيتا

من مخلفات إدارة كلينتون، "الديمقراطي" الوحيد في مجلس وزراء بوش، يملك مينيتا علاقاته الخاص مع الشركات. عندما كان نائباً في الكونغرس عن مدينة سيليكون فالي، تلقى مينيتا مساهمات في حملته الانتخابية من نورثويست إيرلاينز، ويونايتد إيرلاينز، وجرايهاوند بوينغ، وبونيون باسيفيك. وبعد تقاعده من الكونغرس، ذهب مينيتا للعمل في شركة لوكهيد مارتين (شركة أميركية كبرى في صناعة الطائرات، والصواريخ، والأقمار الصناعية العسكرية). وأي مكان يضع نفسه فيه الآن أفضل من إدارة بوش التي "تشرف" على كل تلك الشركات.

مستشار البيت الأبيض – أندرو. إتش. كارد الابن

كان كارد مناصراً رئيسياً لشركة جنرال موتورز قبل الذهاب للعمل مع إدارة بوش، إضافة إلى كونه مديراً تنفيذياً في اتحاد مصنّعي السيارات الأميركية، الميت الآن، الذي مارس ضغوطه ضد معايير أكثر صرامة بشأن انبعاث الوقود وحارب من أجل العائدات التجارية مع اليابان. شهد كارد أمام الكونغرس لصالح مجموعة الضغط الخاصة بغرفة التجارة في الولايات المتحدة ضد "مشروع قانون حقوق المسافر." وساهم شخصياً بمبلغ 1.000 دولار في الحملات الفاشلة لكل من جون آشكروفت وسبنسر أبراهام.

مدير مكتب الإدارة والميزانية – ميتش دانييلز الابن

كان دانييلز سابقاً نائب رئيس أول في شركة المستحضرات الصيدلية "إلي ليلي." وفي موقعه الحالي، سيشرف دانييلز على رسم خطة الميزانية الفدرالية، بما فيها مقدار المبلغ الذي سيُخصص لعوائد وصف الدواء لبرنامج الرعاية الطبية للمرض – بند تمارس إيلي ليلي وشركات صيدلية أخرى الضغوط

لإفشاله. ويملك دانييلز أيضاً أسهماً تقدر بين 50,000 و100,000 دولار في شركات GE، وسيتي غروب، وميرك. إن فرص هذه الإدارة بالسماح لعوائد وصف الدواء للمسنين بالمرور في السنة القادمة كفرصي أنا في إشعال النار في نفسي أمام شركة رايت إيد (أكبر مضاربة في متاجر الأدوية في أميركا).

مستشارة الأمن القومي – كوندوليزا رايس

مقابل خدمتها في مجلس إدارة شركة شيفرون، خُصصت رايس بناقلة نفط تقدر حمولتها بـ 130,000 طن تحمل اسمها. وإضافة إلى ذلك كانت رايس مديرة في شركتي تشارلز شواب وترانس أميركا، وخدمت قبل ذلك كمستشارة للمؤسسة المصرفية جاي بي مورغان، وعملت أيضاً في فريق الأمن القومي لبوش السابق.

المستشار الأول للرئيس – كارل روف

مناصر ومستشار وصديق قديم لبوش، وذات مرة كان مستشاراً لشركة فيليب موريس التي كانت تدفع له 3,000 دولار في الشهر ولمدة خمس سنوات، وذلك لكي يكسبوا رأيه في ما يجري في الانتخابات ومع المرشحين. ومنذ حصوله على الوظيفة، رزح روف تحت نار لم تهدأ من الانتقاد لتأييده مصالح الشركات التي كان له أسهماً فيها. ومؤخراً انتُقد روف لعقده اجتماعات مع مدراء شركة إنرون حول اندماج محتمل، وفي ذات الوقت كان يمتلك أسهماً في إنرون (جزء من سندات إجمالية تُقدّر بين 1 مليون و2.5 مليون دولار). قُبل الاندماج بعد شهرين من الاجتماع، وباع روف أسهمه بعد ذلك بشهر.

المستشار الملازم للرئيس – كينيث. إل. لاي

لاي هو رئيس شركة إنرون، أكبر شركة تجارية في قطاع الكهرباء في الولايات المتحدة ومساهمة كبرى في حملة بوش الرئاسية. استخدم لاي علاقته

الوثيقة مع الرئيس للضغط على رئيس اللجنة الفدرالية المنظِّمة للطاقة من أجل تسريع رفع القيود عن الطاقة. وبفضل أزمة الطاقة في كاليفورنيا، كبرت إنرون لتصبح شركة تقدر قيمتها بـــ 100 مليار دولار. أصبح واضحاً بأن لاي قد زود بوش بقائمة من المرشحين المفضلين لشغل مناصب رئيسية. يعتمد بوش وتشيني على مشورة لاي، لدرجة أن بعض المعينين في الإدارة يجب أن يخضعوا إلى "مقابلة" مع لاي قبل حصولهم على الوظيفة.

وكما يمكنك أن ترى، أصدقاء وجيران، هذا هو النظام العازم على تعبئة جيوبه – وليس مستعداً لمغادرة مكتبه بدون قتال. تكمن مهمتهم في الجمع بين النفوذ الاقتصادي والنفوذ السياسي (المكتسب حديثاً) من أجل حكم البلاد ومساعدة أصدقائهم في زيادة ثرائهم.

يجب إيقاف هؤلاء الرجال البيض الأغبياء. لقد أعلمت كوفي أنان بالأمكنة المختلفة التي يمكن إيجاد أولئك (أشباه) الرجال فيها واعتقالهم بواسطة قوات الأمم المتحدة. السيد أنان، أتوسل إليك. لقد غزوت بلداناً أخرى لاعتداءات أقل خطورة. لا تتجاهل ورطتنا. نحن نناشدك: أنقذ الولايات المتحدة الأميركية! اطلب بأن تُقام انتخابات جديدة، نظيفة. أعط الحكومة ثمان وأربعين ساعة لكي يوافقوا – وإذا لم يوافقوا، ادعهم إذاً إلى عرض اللايزر الخاص بالقوى الجوية للولايات المتحدة.

كيف نقوم بانقلاب مضاد

يمكننا نحن، الشعب، أن نبدأ عاصفة ستنتهي حتماً بإسقاط حكومة بوش/تشيني – بالالتزام لمدة ساعتين فقط في الأسبوع. إليكم كيف:

1. اتصل بممثليك بشكل أسبوعي، واحمل ثلاثة من أصدقائك على فعل الشيء ذاته. يراعي أعضاء مجلس الشيوخ، وأعضاء الكونغرس والموظفون

المنتخبون الآخرون كل المراعاة الاتصالات، والرسائل والبرقيات التي يتلقونها، وهم يتلقون يومياً سجلاً عن رسائل ناخبيهم. لذا، خذ بضع دقائق فقط في الأسبوع وارسل أفكارك لتكن معلومة.

يمكن إيقاف برنامج بوش بواسطة صرخة احتجاج عامة – وحتى بضع مئات من الرسائل يمكن أن تشكل تلك الصرخة، فقد وُضعت مسبقاً عدة سياسات لبوش على الرف بعد الاستنكار الشعبي. إنها تنجح! نحن كلنا ننتحب كثيراً، لم لا نقم بما هو مفيد؟ اختر مسألة تهتم لأمرها وقم بما يلي، اليوم:

أ. اتصل بالرقم 202-224-3121 – إنه المقسم الإلكتروني للكونغرس. أخبرهم فقط برقم منطقتك، وسينقلونك فوراً إلى ممثلك.

ب. اكتب إلى: مكتب السيناتور [الاسم]، مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة، واشنطن DC 20510؛ أو إلى: مكتب الممثل [الاسم]، مجلس الممثلين في الولايات المتحدة، واشنطن DC 20515.

ج. البريد الإلكتروني: بالنسبة إلى أعضاء مجلس الشيوخ اذهب إلى www.senate.gov/contacting/index-by-state.cfm؛ بالنسبة إلى الممثلين، اذهب إلى www.house.gov/writerep.

د. أرسل برقية: اطلب Western Union-1-800-325-6000 أو قم بزيارة موقعهم على الوب: www.westernunion.com.

2. تعقب بوش إلى أي مكان يذهب إليه. إذا سمعت بأن بوش الابن آتٍ إلى المدينة، نظّم مجموعة من الأصدقاء للاحتجاج على الحدث. ذكّر وسائل الإعلام بأن بوش لا يحكم بواسطة إرادة الشعب. كن ملحّاً. كن ساخراً. لافتات، مسرح في الشارع، محاكمات ساخرة – أره أن لا مهرب من الحقيقة.

3. أجبر الديمقراطيين على القيام بواجبهم. من البديهي أن أسهل طريقة

للانقلاب على الانقلاب تتمثل بحمل "المعارضة" على القتال بشكلٍ فعّال. ولكن الأمر لن يكون سهلاً، إذ لا يملك ديمقراطيو اليوم الكثير من الوقت لأولئك الذين لا يستطيعون تقديم طعام عشاء يكلف 1,000 دولار لكل صحن. لذا، إليك كيف تبدأ برنامجاً صغيراً لتعديل السلوك الديمقراطي:

* قم بالتعهد. اذهب إلى موقعي على الوب (www.michaelmoore.com) ووقّع على العريضة المتصلة (on-line) التي تطالب الديمقراطيين في الكونغرس بالوقوف في وجه بوش/تشيني وبسرعة - وإلا فسنعمل على حرمانهم من القيادة البرلمانية في السنة القادمة.

* استولي على الحزب الديمقراطي في منطقتك المحلية. في معظم المقاطعات يُدار الحزب الديمقراطي المحلي بواسطة بضع أشخاص فقط، لأن معظم المواطنين لا يفكرون حتى بالمجيء. اذهب إلى الاجتماع التالي للحزب في المدينة أو المقاطعة واصحب معك عشرة من أصدقائك. في معظم الحالات ستشكل مجموعتك أغلبية. استخدم القوانين والقوانين الفرعية للأحزاب (التي يمكن أن تجدها غالباً على الوب) وسيطر على الوضع.

4. يجب أن ترشح نفسك أنت لمنصب حكومي. ذلك صحيح - أنت، الشخص الذي تقرأ هذا الكتاب. إنها الطريقة الوحيدة التي ستغير الأمور. ما لم يرشح أشخاص عاديون محترمون أنفسهم إلى المناصب الحكومية، فستُترك الوظيفة إلى الأنذال. كيف يمكننا أن ننتقد السياسيين الفاسدين إذا لم نقم بالعمل بأنفسنا؟ حان الوقت لكي ترمي قبعتك في الحلبة - ولتقم بها السنة القادمة. بإمكانك ترشيح نفسك إلى مجلس إدارة المدرسة، مجلس المدينة، أمين صندوق المقاطعة، مندوب التصريف، موظف سجلات في المقاطعة أو المدينة، ممثل عن الولاية، مجلس شيوخ الولاية، مجلس إدارة التعليم في الولاية، وزير الخارجية، حاكم، عضو في الكونغرس، عضو في مجلس الشيوخ الأميركي، وحتى صياد للكلاب الضالة - أو أي وظيفة

أخرى. والشيء الوحيد الذي ينبغي عليك حتماً ترشيح نفسك له هو ممثل دائرة انتخابية. كل دائرة انتخابية في أميركا تنتخب ممثلين من كل حزب؛ ربما تكون الوظيفة الأدنى مرتبة، ولكنها أيضاً الأساس الذي يُبنى عليه كل المبنى، فالممثلين المختارين يحضرون الاجتماعات الحزبية الوطنية لتسمية المرشحين الرئاسيين؛ يجب أن تكون بينهم.

وأنا لا أقول ذلك وحسب – أنا سأقوم بذلك، هذا العام، وسأحمل دزينة من الأصدقاء على ترشيح أنفسهم في دوائرهم الانتخابية أيضاً. يتطلب الأمر جمع العدد الكافي من التواقيع ليصل اسمك إلى بطاقة الاقتراع، والكفاءات تختلف. ولكن القليل جداً من الناس يصوتون في المراحل الابتدائية – والعديد من الدوائر الانتخابية تنتهي بدون مرشحين– بحيث أن انتخابك لن يكون أصعب من مجرد ظهورك. لذا، توجه إلى هيئة الانتخابات في منطقتك أو إلى مكتب السجلات في المقاطعة وخذ بعض الطلبات قبل الموعد النهائي.

ليست تلك سوى القليل من الإجراءات التي يمكننا فعلها من أجل القيام بانقلابنا المضاد. لا يهم، سواء كنت ديمقراطياً، أو مناصراً للبيئة، أو مجرد مواطن غاضب، المهم هو أن تقف وتقوم بذلك.

الفصل الثاني

عزيزي جورج

رسالة مفتوحة إلى "الرئيس" جورج دبليو بوش

عزيزي الحاكم بوش:

أنت وأنا نحن كالعائلة. علاقتنا الشخصية ترجع إلى سنوات عديدة. ولم يكترث أي منا لإذاعتها على الملأ. لأسباب واضحة كثيرة - على الأغلب لأن أحداً لن يصدقها. ولكن. ولأمر شخصي، أمر قام به واحد من عائلة بوش، تأثرت حياتي بشكل عميق جداً.

لنكن واضحين ونعترف بالأمر: إنه ابن خالتك كيفين الذي صور فيلم روجر وأنا.

أثناء إعدادي للعيد، لم أكن أعلم بأن أمك وأم كيفين أختان. كنت أعتقد فقط بأن كيفين، الذي التقيت به عندما كان يصور فيلمه الخاص في ميتشيغن، كان مجرد واحد من أولئك الغنائين البوهيميين الذين كانوا يعيشون في غرينويتش فيليج. قام كيفين بعمل فيلم رائع، المقهى الثري، وفي لحظة من اللحظات المرحة سألته إذا كان سيأتي إلى فلينت ميتشيغن ويعلّمني كيف أصنع فيلماً. وما أدهشني أنه قال نعم، وهكذا، ولمدة أسبوع في شهر من العام 1987، تسكع كيفين رافيرتي وان دوهلين معي في أنحاء فلينت، وأريانا كيف أتعامل مع الأدوات، وأعطياني نصائح لا تقدر بثمن حول كيفية صنع فيلم وثائقي. بدون كرم ابن خالتك، لا أعرف إذا كان فيلم روجر وأنا سينجز.

52

أنا أذكر اليوم الذي تسلَّم فيه والدك مقاليد الحكم. كنت أجمِّع الفيلم في غرفة تجميع قديمة مليئة بالفئران في واشنطن العاصمة، وقررت آنذاك الذهاب لأراقبه وهو يحلف اليمين على مدرجات مبنى الكونغرس. كما كان عجيباً أن أرى ابن خالتك كيفين، معلمي وهو يجلس بجانبك في المنصة! كما أذكر أيضاً بينما كنت أتمشى في منتزه "ذي مول" بأنني رأيت فرقة بيتش بويز وهي تغني "ألن يكون جميلاً" في حفلة احتفائية مجانية على شرف أبيك. بعد عودتي إلى غرفة التجميع، كان صديقي بن أمام شاشة التلفزيون، الكل كانوا سيُجنُّون على خط التجمع وهم يغنون نفس أغنية بيتش بويز على مشاهد ممزقة من مدينة فلينت.

بعد أشهر، عندما أُطلق الفيلم، أمر أبوك الرئيس ذات يوم من عطلة نهاية الأسبوع، بإرسال نسخة من روجر وأنا إلى كامب دايفيد لكي تشاهده العائلة. آه لو أنني فقط كنت ذبابة على الحائط وأنتم تشاهدون الخراب واليأس اللذان ابتُليت بهما مدينتي – ويعود الفضل، في قسم كبير منه، إلى أفعال السيد ريغان وأبيك. ولكن، هناك شيء لطالما وددت أن أعرفه: في نهاية الفيلم، عندما كان نائب الشريف يرمي هدايا الأطفال المشردين وشجرة عيد الميلاد على حافة الطريق لأنهم تأخروا عن دفع 150 دولاراً من إيجارهم، هل كان هناك أية دموع في الغرفة؟ هل شعر أحد ما بالمسؤولية؟ أو هل كنتم كلكم تفكرون فقط، "عمل كاميرا جيد يا كيفين!"؟

حسناً، كانت تلك أواخر الثمانينيات. وكنت قد أقلعت منذ فترة قصيرة فقط عن الشرب، بعد بضع سنوات من اتسامك بالاعتدال وضبط النفس، كنت تحاول "إيجاد نفسك" بمساعدة أبيك – مغامرة نفطية هنا، وفريق بايسبول هناك. كنت أعتقد جازماً لبعض الوقت بأنه لم تكن لديك أي نية بأن تصبح رئيساً. على أي حال، كلنا نجد أنفسنا نتخبط في أعمال لم نكن نريدها في وقت من الأوقات – من منا لم يختبر ذلك؟

بالنسبة لك، لا بد أن الأمر مختلف. على أي حال، ليس الأمر مجرد أنك لم تكن تريد ذلك: ولكن، بما أنك هناك الآن، أنت محاط بنفس العصابة من الرجال الغرباء الذين اعتادوا على حكم العالم مع دوي الانفجارات. كل أولئك الرجال الذي يتجولون في أرجاء البيت الأبيض - ديك، رامسفيلد، كولن - ليس بينهم واحد صديق لك! إنهم أولئك الذي اعتاد أبوك على دعوتهم إلى البيت للاستمتاع بسيجار فاخر وكأس من الفودكا بينما كانوا يبتكرون الخطط لإلقاء القنابل على المدنيين في باناما.

ولكنك واحد منا - من مواليد الحرب العالمية الثانية، طالب متوسط الدرجة، حزبي! ما الذي تفعله بحق الرب وسط هذه المجموعة؟ سيأكلونك حياً وسيبصقونك كقطعة لحم سيئة.

ربما لم يخبروك بأن الحسم الضريبي الذي دفعوه إليك لكي توقعه كان خديعة لأخذ المال من الطبقة المتوسطة وإعطائه إلى فاحشي الثراء. أعرف بأنك لست بحاجة إلى النقود، فحياتك مؤمنة سلفاً، بفضل جدك بريسكوت بوش وتجارته الذكية مع النازيين قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية(*).

ولكن كل أولئك المتمدنين الذين أعطوك 190 مليون دولار (رقم قياسي) من أجل القيام بحملتك الرئاسية (ثلثا هذا المبلغ أتى من حوالى سبعمائة شخص فقط!)، يريدون استرجاع نقودهم - وزيادة. سيطاردونك كالكلاب في فترة التناسل، للتأكد من أنك ستقوم بما يملونه عليك بالضبط. ربما كان سلفك يؤجر

(*) خلال أواخر الثلاثينيات والأربعينيات، كان بريسكوت بوش، والد جورج الأول وجد جورج دبليو، واحداً من المدراء السبعة للشركة المصرفية المتحدة التي كان يملكها صناعيون نازيون. بعد تنقية أموالهم عبر بنك هولندي، خبأوا ما يقدر بـ 3 ملايين دولار في مصرف بوش. وكونه لاعباً أساسياً، فمن غير المحتمل أن بوش لم يكن يعرف بالعلاقة مع النازيين. وضعت الحكومة في نهاية الأمر يدها على الموجودات وحلّ البنك في العام 1951، وبعد ذلك تلقى بريسكوت بوش - وأبوه، سام بوش - 1.5 مليون دولار.

غرفة نوم لنكولن إلى باربرة ستراايسند، ولكن ذلك لا يعتبر شيئاً: قبل أن تترك ماذا يحدث، سيكون صاحبك، نائب الرئيس ديك تشيني، قد سلم مفاتيح الجناح الغربي إلى رؤساء شركات AT&T، وإنرون، وإكسون موبايل.

يعيب عليك نقادك بشدة أخذك للقيلولة في منتصف النهار وإنهاء يوم العمل عند الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر. عليك أن تقول لهم فقط بأنك تستهل تقليداً أميركياً جديداً – قيلولة الغداء للجميع، والجميع إلى البيت عند الخامسة! افعل ذلك وثق بي ستُذكر دائماً كأعظم رئيس لنا.

كيف يجرؤون على القول بأنك لا تنجز أي عمل في المكتب؟ ذلك غير صحيح! فأنا لم أشاهد رئيساً من قبلك مشغولاً مثلك؟ ربما لأنك تعتقد بأن أيامك معدودة، مع ذهاب مجلس الشيوخ سلفاً إلى الديمقراطيين، والكونغرس على الطريق في العام 2002 – حسناً، هاي، انظر إلى الجانب المشرق، سيكون ما يزال أمامك سنتين أخريتين قبل أن يصرفك أولئك الفائزون الأشداء الذين صوتوا إلى غور من الخدمة.

إن قائمة إنجازاتك – في الأشهر القليلة الأولى فقط في مكتبك– مثيرة للإعجاب بشدة.

* حسمت 39 مليون دولار من الإنفاق الفدرالي على المكاتب.
* حسمت 35 مليون دولار من الاعتماد المخصص للتدريب العالي على طب الأطفال للأطباء.
* حسمت الاعتماد المخصص للبحث العلمي في موضوع مصادر الطاقة القابلة للتجدد بنسبة 50 بالمائة.
* أخّرت القوانين التي ستنقص من المستويات "المقبولة" للزرنيخ في مياه الشرب.
* خفّضت الاعتماد المخصص للبحث العلمي في مسألة صنع سيارات وشاحنات أكثر نظافة وكفاءة بنسبة 28 بالمائة.

* ألغيت قوانين تعزز من سلطة الحكومة في رفض منح عقود إلى الشركات التي تنتهك القوانين الفدرالية، وقوانين البيئة، ومعايير سلامة مكان العمل.
* سمحت لوزيرة الداخلية غايل نورتون بطلب اقتراحات بفتح مناطق أثرية وطنية من أجل التشجير، واستخراج الفحم الحجري، والتنقيب عن الغاز والنفط.
* خلفت الوعد الذي قطعته في حملتك الانتخابية باستثمار 100 مليون دولار في العام في صيانة الغابة المطرية.
* قلّصت 86 بالمائة من برنامج حق الدخول المشترك، الذي يقدم الرعاية الصحية للناس بالمساواة بدون ضمان صحي في المستشفيات العامة، والعيادات، ومؤسسات الرعاية الصحية الأخرى.
* ألغيت اقتراحاً بزيادة حرية وصول العامة إلى المعلومات المتعلقة بالنتائج المحتملة لحوادث المصانع الكيميائية.
* حسمت 60 مليون دولار من الاعتماد المخصص لبرامج الإسكان العام الخاص بنوادي الشباب والشابات في أميركا.
* انسحبت من اتفاقية بروتوكول كيوتو لعام 1997 حول مسألة ارتفاع درجة حرارة الأرض، التي وقّع عليها في آخر الأمر 178 بلداً آخر.
* رفضت تفاهماً دولياً لتعزيز معاهدة العام 1972 الخاصة بحظر الحرب الجرثومية.
* حسمت 200 مليون دولار من برامج تدريب القوة العاملة للعمال المفصولين.
* حسمت 200 مليون دولار من منحة تطوير ورعاية الطفل، وهو برنامج يقدم الرعاية لأطفال العائلات المنخفضة الدخل لأنهم يُرغمون من مكتب الخدمة الاجتماعية على العمل.
* حذفت تغطية نفقات وصف موانع الحمل للمستخدَمين الفدراليين (رغم استمرار تغطية الفياغرا).

56

* حسمت 700 مليون دولار من الاعتماد المخصص لإصلاح الإسكان العام.
* حسمت نصف مليار دولار من ميزانية وكالة حماية البيئة.
* أسقطت قواعد علم الهندسة البشرية (ergonomic rules) الخاصة بمكان العمل والمصممة لحماية سلامة وصحة العمال.
* تخليت عن تعهد حملتك الرئاسية بضبط انبعاثات غاز ثاني أوكسيد الكربون، المساهم الرئيسي بارتفاع درجة حرارة الأرض.
* منعت أي مساعدة فدرالية من الذهاب إلى المنظمات الدولية لتخطيط الأسرة التي تقدم استشارات خاصة بالإجهاض، أو إحالات، أو خدمات من تمويلها الخاص.
* عيّنت مديراً تنفيذياً سابقاً في شركة لاستخراج المعادن، دان لوريسكي، كمساعد لوزير العمل لصحة وسلامة لمناجم.
* عيّنت لين سكارليت، التي تشك في ارتفاع درجة حرارة الأرض ومعارضة لمعايير أشد صرامة على تلوث الهواء، كمساعدة مباشرة لوزيرة الداخلية.
* قبلت خطة وزيرة الداخلية غايل نورتون المثيرة للجدل لبيع المناطق القريبة من الساحل الشرقي لفلوريدا بالمزاد العلني من أجل توسيع الغاز والنفط.
* أعلنت خططك بالسماح بالتنقيب عن النفط في غابة كلارك ولويس الوطنية.
* هددت بإغلاق مكتب المساعدات في البيت الأبيض.
* قررت عدم طلب الإرشاد من اتحاد المحامين الأميركيين بعد الآن بشأن التعيينات القضائية الفدرالية.
* حرمت المساعدة المالية الجامعية للطلاب الذين أدينوا بمخالفات بسيطة تتعلق بالمخدرات (رغم أن المجرمين المدانين مازالوا يتمتعون بحقهم في المساعدة المالية).
* خصصت 3 بالمائة فقط من المبلغ المطلوب من قبل المحامين في إدارة العدل للدعوى القضائية المستمرة ضد شركات التبغ.
* واصلت العمل بحسمك الضريبي، 43 بالمائة منه يذهب إلى الأكثر ثراء و ا

بالمائة إلى الأميركيين.

* وقّعت على مشروع قانون يصعّب الأمور أكثر على الفقراء والطبقة المتوسطة من الأميركيين في رفع دعوى قضائية للإفلاس، حتى إذا كانوا يواجهون فواتير طبية ساحقة.
* عيّنت معارضة للعمل الإيجابي (العمل لتحسين فرص تعليم وتوظيف الأقليات والنساء)، كاي كول جايمس، لكي تدير مكتب إدارة الموظفين.
* حسمت 15.7 مليون دولار من البرامج التي تعالج إساءة وإهمال الطفل.
* اقترحت بإلغاء برنامج "القراءة أمر حيوي،" الذي يعطي كتباً مجانية للأطفال الفقراء.
* ضغطت من أجل تطوير الأسلحة النووية المصغرة "mini-nukes" المصممة لمهاجمة الأهداف المدفونة في أعماق الأرض – انتهاك لمعاهدة الحظر الشامل على إجراء التجارب على الأسلحة النووية.
* حاولت قلب القانون الذي يحمي ستين مليون أكر من الغابة الوطنية من قطع الأشجار وإنشاء الطرق.
* عيّنت جون بولتون، معارض لاتفاقيات الحد من الأسلحة النووية وللأمم المتحدة، كمساعد مباشر لوزير الخارجية للتحكم بالأسلحة والأمن الدولي.
* جعلت من المديرة التنفيذية في شركة مونسانتو، ليندا فيشر، نائبة مدير وكالة الحماية البيئية.
* رشحت مايكل ماكونيل، منتقد أساسي للفصل بين الكنيسة والدولة، لمنصب قاضٍ فدرالي.
* ألغيت 2004 كموعد نهائي لصانعي السيارات من أجل تطوير نموذج أولي لسيارات تسير لمسافات طويلة لكل غالون واحد من البنزين.
* عيّنت جون والترز، معارض شديد لبرامج **المعالجة الدوائية** في السجن، كإمبراطور للأدوية.
* عيّنت واحداً من أفراد جماعة الضغط لصالح النفط والفحم الحجري، جاي.

58

ستيفين غايلز كنائب وزير للداخلية.

* عيّنت بينيت رالي، الذي طالب بإلغاء قانون الأنواع المهددة بالانقراض، كمساعد لوزيرة الداخلية للمياه والعلم.
* طلبت إنهاء الدعوة القضائية التي رُفعت في الولايات المتحدة ضد اليابان من قبل نساء آسيويات أُرغمن على العمل كرقيق للجنس في الحرب العالمية الثانية.
* عيّنت تيد أولسون كمحامٍ عام، محاميك الرئيسي في كارثة التصويت في فلوريدا.
* اقترحت تسهيل عملية الترخيص لإنشاء معامل تكرير وسدود لتوليد الطاقة الكهربائية والنووية، ومن ضمنها تخفيض المعايير البيئية.
* اقترحت بيع أراضي الغاز والنفط في محمية الحياة البرية في ألاسكا.

واو! لقد تعبت من طباعة هذه القائمة فقط! من أين حصلت على الطاقة؟ (إنها أوقات القيلولة، أليس كذلك؟)

بالطبع، الكثير مما كُتب أعلاه يدعمه العديد من الديمقراطيين (وسأخصص لهم بضع كلمات لاحقاً في الكتاب).

ولكن الآن، أنا مهتم بك شخصياً. فكّر إلى الوراء – ما هو أول عمل قمت به "كرنيس"؟ هل تتذكر: قبل أن تركب في السيارة وتسير عبر جادة بنسلفانيا في استعراض توليك الحكم، أصريت على شخص ما كي يحضر مفك براغي وينزع صفائح رخصة العاصمة من الليموزين لأنها كانت تحمل كلمات "ادعم عاصمة الولايات المتحدة." ذلك هو أهم يوم في حياتك، وأنت غاضب من لوحات الرخصة؟ ولكن كان عليك أن ترتاح!

أعتقد رغم ذلك بأنني بدأت بالقلق منك قبل ذلك اليوم بوقت طويل. مجموعة من الأمور المتعلقة بتصرفاتك التي ظهرت على السطح خلال حملتك

الانتخابية. على أي حال، لقد ذهبت كلها أدراج الرياح في نهاية الأمر، ولكنني مازلت قلقاً بشأن قدرتك على التأثير في العمل. أرجو أن لا تأخذ ذلك على أنه نوع من الفضول أو إعطاء درس في الأخلاق – سندع ذلك لتشيني! إنها ببساطة محاولة صادقة للتدخل من صديق مقرب من العائلة.

دعني أكون فظاً: أنا أخشى بأنك قد تهدد أمننا القومي.

ربما يبدو ذلك قاسياً بعض الشيء، ولكنني لا أدلي بهذا التصريح بسهولة ويسر. لا علاقة للأمر بخلافاتنا الثانوية المتعلقة بإعدام الناس في صف الموت (مكان في السجن ينزلون فيه المحكومين بالإعدام)، أو كم سيُنحت من ألاسكا بواسطة معدات النفط. وأنا هنا لا أشك بوطنيتك، فأنا متأكد من أنك ستحب أي بلد يعود بمثل هذا الخير عليك.

ولكن الأمر يتعلق بعدد من التصرفات التي شهدها عليك الكثير ممن يهتمون لأمرك منا على مر السنين. بعض هذه العادات مذهلة بعض الشيء؛ بعضها لا يمكنك السيطرة عليه، وبعضها الآخر، لسوء الحظ، شائعة جداً بيننا نحن الأميركيين.

لأنك تضع إصبعك على الزر (أنت تعلم، ذلك الزر الذي يمكنه نسف العالم)، ولأن القرارات التي تتخذها لها عواقب سريعة بعيدة الأثر على العالم المذكور، أود أن أطرح عليك ثلاثة أسئلة محددة – وأود أن تعطيني، والشعب الأميركي، ثلاثة أجوبة صادقة:

1. جورج، هل أنت قادر على القراءة والكتابة بمستوى البالغين؟

يبدو بالنسبة لي وللعديد من الناس بأنك، وهذا يدعو للحزن أمي عملياً. وذلك شيء لا يدعو للخجل منه، فلديك الكثير من الأصحاب (ما عليك إلا أن تحصي الأخطاء الإملائية في هذا الكتاب. في الواقع، أليس هذا خطأ إملائياً؟).

الملايين من الأميركيين لا يمكنهم القراءة والكتابة فوق مستوى الصف الرابع. لا عجب أنك قلت "لا تتركوا أي طفل يتخلف" – أنت تعلم كيف يكون شعور الطفل بذلك.

ولكن دعني أسألك هذا السؤال: إذا كنت تعاني من مشكلة في فهم الأوراق المعقدة التي تُسلَّم لك كقائد للعالم الحر، كيف يمكننا أن نثق بإعطائك شيئاً كالأسرار النووية؟

كل الإشارات على هذه الأمية موجودة – ومن الواضح بأن أحداً لم يختبرك بشأنها. الدليل الأول ما ذكرته بأنه كان كتاب طفولتك المفضل. "اليرقة الجائعة جداً،" كما قلت.

لسوء الحظ، لم يصدر الكتاب إلا بعد سنة من تخرجك من الجامعة.

ثم هناك مسألة سجلات علاماتك الجامعية، إذا كانت تلك السجلات حقاً سجلاتك. كيف وصلت إلى جامعة يال عندما كان هناك منتسبون آخرون في العام 1964 يملكون علامات أعلى منك؟

خلال الحملة، عندما سُئلت بأن تسمي الكتب التي كنت تقرأها في ذلك الحين، أجبت بشجاعة – ولكن عندما سُئلت عن فحوى الكتب، لم تعرف ماذا تقول. لا عجب أن معاونيك توقفوا عن السماح لك بعقد المؤتمرات الصحفية رغم بقاء شهرين على انتهاء الحملة. كان مدربوك مرتعبين مما قد تُسأل – وكيف يمكن أن تجيب.

هناك أمر واضح للجميع – ليس باستطاعتك أن تتكلم اللغة الإنجليزية بجمل نستطيع فهمها. في البداية، بدت الطريقة التي شوّهت فيها الكلمات والجمل ظريفة، بل ساحرة تقريباً. ولكنها أصبحت بعد فترة مثيرة للقلق. ثم، في مقابلة لك نقضت عقداً طويلاً من السياسة الأميركية تجاه تايوان، قائلاً بأننا كنا مستعدين للقيام بما علينا فعله "مهما تطلب الأمر" للدفاع عن تايوان، حتى أنك اقترحت بأننا قد ننشر قواتنا هناك.

إذا كنت ستصبح قائداً، فعليك أن تكون قادراً على إيصال أوامرك. ماذا لو استمرت هذه الأخطاء بالحدوث؟ هل تعلم كم هو سهل أن تتحول زلة لسان صغيرة إلى كابوس على الأمن القومي؟ لا عجب أنك تريد زيادة ميزانية وزارة الدفاع، إذ أننا سنحتاج إلى كل القوى النارية التي يمكننا الحصول عليها بعد أن تأمر خطأً بأن "تُمسح" روسيا، في الوقت الذي كنت تعني فيه، "أريد أن أمسح المرقة الروسية عن ربطة عنقي".

لقد قال معاونوك بأنك لا تقرأ (لا تستطيع؟) الصحف الموجزة التي يعطونك إياها، وأنك تطلب منهم أن يقرؤوها عنك، أو لك. كانت أمك ملتزمة بشغف بقراءة البرامج كسيدة أولى. هل يمكننا الافتراض بأنها كانت تعلم منذ البداية صعوبة تربية طفل غير قادر على القراءة.

أرجوك، لا تأخذ أي من هذا بشكل شخصي. يعاني حوالى ستون مليون أميركي من عجز في القراءة. لا عيب في ذلك. وأنا أعتقد بأن الذين يعانون من اضطراب في القدرة على القراءة يمكنهم أن يكونوا رؤساء للولايات المتحدة الأميركية. ألبرت أينشتاين كان يعاني من نفس العجز، وكذلك جاي ليفو. (هاي، أخيراً وجدت طريقة لجمع أينشتاين وليفو في جملة واحدة! أرأيت، قد تكون اللغة ممتعة.)

ولكن إذا رفضت طلب المساعدة في هذه المشكلة، فأنا أخشى بأنك قد تكون خطراً كبيراً على البلاد. أنت بحاجة للمساعدة. يجب أن تواظب على علم الصوتيات، ليس مجرد إيجاز من المكتب البيضوي.

أخبرنا الحقيقة، وسأتي لكي أقرأ لك كل ليلة عند النوم.

2. هل أنت كحولي، وإذا كنت كذلك،
كيف يؤثر ذلك على أدائك كقائد؟

مرة أخرى، ليس هناك أي إصبع موجه نحوك، لا انتقاص مقصود أو قلة

احترام. الكحولية مشكلة كبيرة، وهي تؤثر على الملايين من المواطنين الأميركيين، أناس نعرفهم ونحبهم. والعديد قادرون على الشفاء والعيش بشكل طبيعي. والكحولي يمكنه، وكان بإمكانه، أن يكون رئيساً للولايات المتحدة. أنا أعجب وإلى حد كبير بمن يستطيع التعامل مع هذا الإدمان. لقد أخبرتنا بأنك قادر على معالجة الشرب، وبأنك لم تشرب قطرة من الكحول منذ كنت في الأربعين. تهانينا.

ولقد أخبرتنا أيضاً بأنك كنت معتاداً على أن "تشرب كثيراً" وأنك في نهاية الأمر "أدركت بأن الكحول كان قد بدأ باستنزاف طاقاتي وأنه تمكن من إفراغ، في نهاية الأمر، عواطفي تجاه الناس الآخرين." ذلك تعريف للكحولي. وهذا لا يحرمك من حقك بأن تكون رئيساً، ولكنه بالتأكيد يتطلب منك أن تجيب على بعض الأسئلة، وخاصة بعد قضائك سنوات عديدة في إخفاء حقيقة أنه قُبض عليك في العام 1976 للقيادة في حالة السُكر.

لماذا لا تريد أن تستخدم كلمة كحولي؟ إنها، على أي حال، الخطوة الأولى للشفاء. أي نظام مساندة وضعته للتأكد من عدم ارتدادك إلى شرب الخمر؟ أن تكون رئيساً ربما هي أكبر وظيفة مجهدة في العالم. ماذا فعلت للتأكد من قدرتك على التعامل مع الضغط والقلق المتعلقين بكونك أكثر الرجال قوة على الأرض؟

كيف نعرف بأنك لن تعود إلى الزجاجة عندما ستواجه أزمة خطيرة؟ لم تحصل على وظيفة كهذه من قبل. منذ عشرين سنة، من الوقت الذي أستطيع أن أجزم به، لم يكن لديك أي عمل. عندما توقفت عن الشرب، ورّطك أبوك في تجارة النفط مع بعض المضاربات الفاشلة، ثم ساعدك في الحصول على فريق بارز في البايسبول في الدوري الوطني، الأمر الذي تطلب منك الجلوس في مقعد في مقصورة ومشاهدة الكثير من المباريات الطويلة البطيئة.

كحاكم لتكساس، لم تتمكن من الإحساس بالكثير من الإجهاد، إذ لم يكن هناك ما يكفي منه. إن العمل كحاكم لتكساس أقرب إلى أن يكون عملاً احتفالياً.

كيف ستتعامل مع بعض التهديدات الجديدة إلى أمن العالم؟ هل لديك كفيلاً يمكنك الاتصال به؟ هل هناك اجتماع يمكنك حضوره؟ لست مضطراً للإجابة عن هذه الأسئلة، ما عليك إلا أن تعدني بأنك ستفكر بها من أجلك.

أنا أعلم أن ذلك شخصي جداً، ولكن الشعب له الحق بأن يعرف. بالنسبة لأولئك الذين يقولون، "حسناً، يا رجل، إنها حياته الخاصة – ذلك منذ أربع وعشرين سنة،" سأقول لهم: لقد صُدمت بواسطة سائق مخمور منذ ثمانية وعشرين عاماً، وحتى هذا اليوم لا أستطيع أن أبسط ذراعي الأيمن بشكل كامل. أنا آسف، جورج، ولكنك عندما تخرج إلى الشارع العام مخموراً، فتلك لم تعد حياتك الشخصية التي نتحدث عنها الآن. إنها حياتي، وحياة عائلتي.

حاول الناس في حملتك التغطية عنك، فكذبوا على الصحافة بشأن طبيعة اعتقالك للقيادة تحت تأثير الشرب. قالوا بأن الشرطي أوقفك لأنك كنت "تقود ببطء شديد." ولكن الضابط الذي اعتقلك قال بأنه فعل ذلك لأنك انحرفت حتى وصلت إلى حافة الطريق. وانضممت بنفسك إلى مسلسل الإنكار عندما سُئلت عن الليلة التي قضيتها في السجن.

"لم أقضِ وقتاً في السجن،" كما أصريت. فيما قال الضابط إلى المراسل المحلي بأنك في الحقيقة قُيّدت، وأُخذت إلى المركز، وبقيت في الحجز على الأقل لمدة ساعة ونصف. هل يمكن أن يكون ذلك لأنك حقاً لا تتذكر؟

لا يمكنني أن أصدق مساعديك عندما لمّحوا إلى أن إدانتك بالقيادة المخمورة ليست كريهة كالانتهاكات التي قام بها كلينتون. إن الكذب بشأن ممارسة الجنس بشكل رضائي مع بالغة راشدة وأنت متزوج خطأ، ولكنه ليس كخطأ أن تجلس وراء مقود السيارة مخموراً وتعرض حياة الناس للخطر (بما فيها، يا جورج، حياة أختك، التي كانت معك في السيارة في تلك الليلة).

وهو أيضاً ليس نفس خطأ، برغم ما قاله المدافعون عنك قبل الانتخاب، آل غور عندما قال من تلقاء نفسه بأنه دخّن الماريجوانا في شبابه. طالما أنه لم

يقد السيارة وهو تحت تأثير المخدر، فأفعاله لم تكن تهدد سوى حياته الشخصية – وهو لم يحاول تغطيتها.

حاولت إنهاء الحادثة بقولك "إنها كانت في أول شبابي." ولكنك لم تكن في أول شبابك عندئذ، فقد كنت في الثلاثينيات من عمرك.

في الليلة التي كُشفت فيها إدانتك أخيراً إلى الأمة، قبل أيام فقط من الانتخاب، كان من المحزن مراقبتك وأنت تحاول تبييض تصرفك "غير المسؤول" وتصفه بأنه كان مجرد "طيش شباب،" بضع كؤوس من البيرة مع الشباب (ابتسامة متكلفة، ابتسامة متكلفة). لقد أحسست فعلاً بشعور عائلات النصف مليون شخص الذين قُتلوا بواسطة سكيرين من أمثالك في الأربع وعشرين سنة الماضية منذ "مغامرتك الصغيرة." الحمد لله لأنك لم تستمر بالشرب سوى عدة سنوات بعد أن "تعلمت درسك." وأنا أفكر، أيضاً، بالأوقات الصعبة التي مرت بها زوجتك، لورا، بسببك، فهي تعلم تماماً خطورة أن يجلس أي واحد منا وراء المقود. في السابعة عشرة من عمرها قتلت صديقاً لها في المدرسة الثانوية عندما مرت من خلال إشارة توقف واصطدمت بسيارته. وأنا آمل بأنك ستطلب النصح والإرشاد منها في أي وقت تشعر فيه بضغط العمل قد تسرب إليك. (مهما حصل لا تطلب المساعدة من تشيني، فهو يملك حادثتي اعتقال بسبب القيادة المخمورة في سجله منذ أكثر من اثنين وخمسين سنة!)

وأخيراً، عليّ أن أخبرك كم كنت حزيناً، في ذلك الأسبوع المجنون قبل الانتخاب، عندما اختبأت خلف بنتيك كعذر لك للتغطية على هذه الإدانة. قلت بأنك كنت قلقاً من أن يشكل تاريخك في الشرب مثالاً سيئاً لهما. أحسنت، فقد أثمر ذلك الكتمان كل الخير، كما أثبتته الاعتقالات المتعددة للتوأمين هذا العام لحيازتهما الكحول. في بعض الجوانب، أنا معجب بعصيانهما. لقد طلبتا منك، توسلتا، أخبرتاك: "أرجوك يا أبي، لا تسعى للرئاسة وتدمر حياتنا!" لقد فعلت. الرئاسة فعلت. والآن، ككل المراهقين الطيبين، حان وقت دفع الثمن.

ربما عرض تعليق الأخبار في برنامج سانترداي نايت لايف القصة بشكل أفضل: "قال جورج بوش بأنه لم يكشف تهمة القيادة في حالة السكر لما يمكن أن تفكر فيه ابنتاه. لقد فضّل بأن تنظر إليه ابنتاه على أنه رجل مغامرات تجارية عديدة فاشلة، يعدم الناس الآن."

إليك اقتراحي: احصل على المساعدة. انضم إلى جماعة الكحوليين المجهولين (AA). خذ ابنتيك إلى منظمة Al-Anon. سيُقابلونكم جميعاً بأذرع مفتوحة.

3. هل أنت مجرم؟

عندما سُئلت في العام 1999 عن استخدامك الكوكايين، أجبت بأنك لم تقترف "أي جرائم في الخمس وعشرين سنة الماضية." مع كل ما قد تعلمناه من الأجوبة المخادعة في السنوات الثمانية السابقة، فذلك النوع من الإجابة قد يعني بالنسبة للمراقب العقلاني بأن السنوات التي تسبق تلك الخمس وعشرين سنة تشكل قصة مختلفة تماماً.

ما هي الجرائم التي ارتكبتها قبل العام 1974، يا جورج؟

صدقني، أنا لا أسأل هذا السؤال من أجل السعي لمعاقبتك على أي شيء فعلته. أنا قلق من أنه إذا كان هناك سر غامض عميق تخفيه، فأنت بذلك ربما تقدم الذخيرة لأي شخص يكشف النقاب عن ذلك السر – كأن يكون قوة أجنبية (الأثيرة لديك، الصين) أو وطنية (مثل، أو، اختر واحداً، لنقل آر. جاي. رينولدس). إذا اكتشفوا تاريخ جريمتك أو جرائمك، فسيملكون شيئاً يمسكوه عليك، ويوظفونه في ابتزازك. وذلك يجعلك، يا جورج، خطراً على الأمن القومي.

ثق بي، سيكتشف شخص ما يوماً ما تخفيه – وعندما يكتشفون ذلك، سنكون جميعاً في خطر. لديك واجب يتمثل بكشف طبيعة أي جريمة ربما تكون

قد ارتكبتها مهما كانت. بكشف تلك الجريمة فقط يمكنك أن تتجنب استخدامها المحتمل كسلاح ضدك – أو ضدنا.

علاوة على ذلك، لقد فرضت مؤخراً على أي شاب يسعى للحصول على مساعدة مالية للدخول إلى الجامعة الإجابة على سؤال في استمارة الطلب: "هل أُدنت يوماً بأي جريمة مخدرات؟" إذا أُدين، سيحرم من مساعدة الطالب – مما يعني بأن العديد من الشباب لن يذهب إلى الجامعة. (أو، لنضعها بشكل آخر، وفقاً لأوامرك الجديدة، مازال بإمكان أعتى المجرمين الحصول على مساعدة الطالب، ولكن فتىً تناول المخدرات يوماً لا يمكنه).

ألا تجعل هذه الحركة منك مرائياً كاذباً؟ ستحرم التعليم الجامعي للآلاف من الأولاد الذي فعلوا فقط بالضبط ما أوحيت بأنك فعلته عندما كنت شاباً؟ يا رجل، ذلك يتطلب بعض الجرأة! على أي حال، بما أنك ستتلقى منا 400,000 دولار في العام حتى 2004 – من نفس الصندوق الفدرالي الذي يدفع المساعدة الجامعية– يبدو أنه من العدل بأن نجعلك تجيب على نفس السؤال: "هل أُدنت يوماً ببيع أو حيازة المخدرات (ليس من ضمنها الكحول أو التبغ)؟".

نحن نعلم تماماً، يا جورج، بأنك قد اعتُقلت ثلاث مرات. عدا أصدقائي من نشطاء السلام، أنا شخصياً لا أعرف أحداً اعتُقل ثلاث مرات في حياته.

بالإضافة إلى القيادة المخمورة، اعتُقلت مع بعض الأخوة في الأخوية لسرقة إكليل من زهر عيد الميلاد كمزحة. لماذا كان كل ذلك؟

والاعتقال الثالث كان من أجل تصرف مضطرب غير منضبط في لعبة كرة القدم. الآن، هذه حقاً لا أفهمها. كل الناس يتصرفون بشكل غير منضبط في لعبة كرة القدم! أنا نفسي حضرت العديد من مباريات كرة القدم وصُب على رأسي العديد من قناني البيرة، ولكن حتى اليوم لم أرَ أحداً اعتُقل. لا بد أنك عملت جاهداً لكي تُلاحظ من بين حشد من محبي كرة القدم مخمورين.

جورج، لدي نظرية حول لماذا وكيف حصل لك كل هذا.

بدلاً من أن تفوز بالرئاسة، سُلّمت إليك، بنفس الطريقة التي حصلت فيها على كل شيء آخر في حياتك. المال والاسم وحدهما فتحا كل الأبواب لك. لقد ورثت حياة ذات امتيازات بدون جهد، أو جد، أو ذكاء أو براعة.

لقد تعلمت في سن مبكرة بأنه، في أميركا، كل ما على شخص مثلك فعله هو التظاهر والتفاخر. لقد وجدت نفسك مقبولاً في مدرسة داخلية في نيو إنغلاند لأن اسمك ببساطة كان بوش. لم يكن عليك أن تكسب مكانك هناك، فقد اشتُري لك.

وعندما سُمح لك بالدخول إلى جامعة يال، تعلمت أن باستطاعتك تجاوز طلاب أكثر استحقاقاً منك عملوا بجد اثنتي عشرة سنة لكي يصبحوا مؤهلين للدخول إلى الجامعة. وأنت دخلت لأن اسمك كان بوش.

ودخلت إلى كلية التجارة في هارفرد بنفس الطريقة. بعد العبث لمدة أربع سنوات في يال، أخذت مقعداً كان من حق شخص آخر.

ثم ادعيت بأنك خدمت فترة كاملة في الحرس الوطني الجوي في تكساس. ولكن ذات يوم، وفقاً لصحيفة بوسطن غلوب، غادرت بدون إذن ولم تعد إلى وحدتك – لمدة عام ونصف! لم تكن مضطراً لإكمال واجبك العسكري، لأن اسمك كان بوش.

باتباع عدد من "السنوات الضائعة" التي لا تظهر في سيرة حياتك الرسمية، أُعطيت عملاً بعد الآخر إما بواسطة أبوك أو بواسطة أفراد آخرين من العائلة. لا يهم كم عدد المغامرات التجارية التي فشلت، فقد كان هناك دائماً عمل آخر بانتظار أن يُسلّم إليك.

وأخيراً، كان يجب أن تكون شريكاً في فريق بايسبول بارز في الدوري – عطية أخرى – رغم أنك ساهمت فقط بواحد على عشرة آلاف من النقود للفريق. ثم تملقت دافعي الضرائب في أرلنغتون، تكساس، لكي يعطوك منحة إضافية – ملعباً مدرجاً جديداً يساوي ملايين الدولارات لم تكن مضطراً لدفع ثمنه.

لذا من غير المستغرب أن تعتقد بأنك تستحق بأن تُعيَّن رئيساً. لم تكسب هذا المنصب أو تفز به – ولهذا السبب يجب أن يكون لك!

وأنت لا ترى عيباً في ذلك. ولماذا؟ فهذه هي الحياة الوحيدة التي عرفتها.

في ليلة الانتخاب، ومع تأرجح الأصوات يمنة ويسرة في طول البلاد وعرضها، أخبرت الصحافة بأن أخاك أكد لك بأن فلوريدا كانت لك. إذا قال بوش بأنها له، فذلك يعني بأنها له.

ولكنها لم تكن له. وعندما اتضح لك بأن الرئاسة كان يجب أن تُكسب بواسطة أصوات الناس – نعم، الناس! – استبد بك الغضب، فأرسلت رجلاً سليطاً فتّاناً، جايمس بايكر، ليقول الأكاذيب للشعب الأميركي ويذكي مخاوف الأمة. وعندما بدا بأن ذلك لم ينجح، ذهبت إلى المحكمة الفدرالية ورفعت دعوى قضائية لإيقاف عد الأصوات – لأنك كنت تعرف ماذا ستكون النتيجة. لو كنت متأكداً من أنك ستحصل على تصويت الشعب، فلم تكن ستمانع بأن تُعد كل تلك الأصوات.

ما يدهشني فعلاً هو كيف قصدت هذه الحكومة الفدرالية السيئة للمساعدة. كان شعارك خلال كل محطة من حملتك: "منافسي يثق بالحكومة الفدرالية. وأنا أثق بكم أنتم، الشعب!".

على أي حال، سرعان ما عرفنا الحقيقة، فأنت لم تكن تثق بالشعب مطلقاً. بل ذهبت مباشرة إلى المحكمة الفدرالية لتقدم بيانك (ثقوا بماكينات التصويت، ليس بالشعب!). في البداية لم يقبله القضاة – وللمرة الأولى ربما في حياتك، شخص ما يقول لك لا.

ولكن، وكما رأينا سابقاً، فأصدقاء أبيك في المحكمة العليا كانوا هناك ليعتنوا بكل شيء.

بالمختصر، لقد كنت سكيراً، وسارقاً، ومجرماً محتملاً، وهارباً غير مُدان

من الخدمة العسكرية، وطفلاً بكّاءً. قد تسمي هذا التصريح فظاً، ولكنني أسميه "حباً واقعياً".

من أجل كل ما هو محترم ومقدس، حباً بالله العظيم، يا رجل، غادر من فورك علك تضفي بعضاً من السمعة الحسنة على اسم عائلتك الكبير! ودع أولئك الذين يعرفون بأن هناك خيطاً من الاحترام في عائلتك يفخرون مرة أخرى بالادعاء بأن بوش في اليد أفضل من مد اليد إلى الشجرة (بوش في الإنكليزية).

المخلص

مايكل مور

الفصل الثالث

داو وو وو

بينما أنا جالس في مطار ميتشيغان بانتظار رحلتي على الخطوط الجوية الأميركية إلى شيكاغو، فإذا برجل يلبس بزة نظامية يجلس بجانبي ويفتح حواراً معي.

علمت بأنه طيار يعمل في شركة الخطوط الجوية الأميركية – أو بلغة أكثر شركة النسر الأميركي، وهي شركة طيران للرحلات القصيرة تابعة للخطوط الجوية الأميركية. هذه "الشركة" ككل شركات الرحلات القصيرة، تضيف الآن طائرات نفاثة إلى أسطولها للرحلات التي تستغرق أقل من ساعتين. وهذا يوفر على الشركة الأم الكثير من النقود، على ما أعتقد.

الطيار الذي تقرّب مني ليس مدرجاً لكي يجيز بالطائرة التي سأركبها، ولكنه يأمل بالحصول على مقعد فارغ على الرحلة التي تطير عبر لايك ميتشيغان.

"هل يجب عليك أن تدفع ثمن الرحلة إذا كانت رحلة شخصية؟" سألته.

"لا، أجابني. "إنها تقريباً الفائدة الإضافية الوحيدة التي نحصل عليها."

ثم كشف لي بأن الأجر الابتدائي للطيار في شركة النسر الأميركي كان 16.800 دولار في السنة.

"ماذا؟" سألته، متأكداً من أنني لم أسمع الرقم بشكل جيد. "ستة عشر ألف في السنة؟"

"هذا صحيح،" أجاب الكابتن. "وذلك مرتفع، ففي شركة تكساس للرحلات

القصيرة يبلغ الأجر الابتدائي للطيار 15,000 دولار، وفي شركة كونتيننتال إكسبريس حوالى 13,000 دولار."

"ثلاثة عشر ألفاً؟ لطيار في شركة جوية تجارية؟ هل تمزح معي؟"

"لا، أنا لا أمزح مع أي شخص. حتى أن الأمر أسوأ من ذلك، ففي السنة الأولى كطيار، ينبغي عليك أن تدفع ثمن تدريباتك على الطيران وبذاتك الشخصية أيضاً. وبعد حسم كل ذلك، تنتهي بحوالى 9,000 دولار."

توقف قليلاً حتى يفهمني جيداً ثم أضاف: "بشكل إجمالي."

"أنا لا أستطيع أن أصدق ما أسمع." وكان صوتي قد وصل إلى مستوىً بدأ معه الناس حولنا بالإصغاء.

"صدّق،" أكد لي. "ذهب أحد طيارينا الشهر الماضي إلى مكتب الخدمة الاجتماعية وتقدم بطلب للحصول على بطاقات تموينية للطعام. بدون مزاح. مع أربعة أطفال، وعند ذلك المستوى من الأجر كطيار، كان له الحق قانونياً بالمساعدة. اكتشف المكتب الرئيسي في شركة الخطوط الجوية الأميركية ذلك وأرسل مذكرة تقول بأنه يمنع على أي طيار أن يتقدم بطلب للحصول على بطاقات للطعام أو لمكتب الخدمة الاجتماعية – حتى إذا كان يحق له ذلك! وأي شخص يتقدم بذلك الطلب سيُطرد.

"ولهذا لا يذهب صاحبي فقط إلى بنك الطعام المجاني وهو في طريقه إلى البيت. إنهم لا يطلبون منه أي شيء يمكن أن يثير شركة الخطوط الجوية الأميركية".

اعتقدت عندئذ بأنني قد سمعت كل شيء. ولكن هذه القصة أكثر من مخيفة. لم أكن أريد الصعود على تلك الطائرة. أتفهمني، هناك شيء ما يتعلق بنا نحن البشر وبغرائزنا الحيوانية الأساسية في البقاء – وإحدى تلك الغرائز، ربما تعود إلى أيام إنسان الكهف، هي: أبداً، لا تدع شخصاً يطير بك في الجو وهو يجني أقل من ولد يعمل في مطعم تاكو بل.

صعدت الطائرة، ولكن فقط بعد أن أقنعت نفسي بأن ذلك الرجل لابد أنه كان يخدعني. وإلا فكيف يمكنني تبرير المخاطرة بحياتي بهذا الشكل؟ على أي حال، في الأسبوع التالي، أجريت بعض الاتصالات وقمت ببعض البحث. وما أرعبني أكثر هو اكتشافي بأن أرقام الطيار صحيحة. رغم أن الطيارين الذين أمضوا عدة سنوات مع شركات الرحلات الجوية القصيرة كانوا يأخذون مبلغاً كبيراً (40,000 دولار في السنة!)، إلا أن المبتدئين في السنة الأولى في كثير من الحالات كانوا يعيشون تحت مستوى الفقر.

أنا لا أعلم عنك شيئاً، ولكنني أريد من الناس الذين يأخذونني معهم لتحدي أكثر قوى الطبيعة شدة – الجاذبية – أن يكونوا سعداء، وراضين، وواثقين وذوي أجر جيد. حتى على الطائرات النفاثة لشركات الطيران الكبرى، يأخذ مرافقو الرحلة – مجموعة أخرى من الموظفين الذين قد يكون تدريبهم يوماً ما أمراً حيوياً لإنقاذ حياة الناس– أجراً ابتدائياً يتراوح بين 15,000 و17,000 دولار في السنة. عندما أكون على علو 30,000 قدم لا أريد أن تكون عقول الطيارين أو المرافقين مشغولة بكيفية إعادة تشغيل الأضواء والتدفئة مرة أخرى عندما يرجعون إلى البيت هذه الليلة.

طوال النصف الأول من العام 2001، كان الطيارون الذين يعملون في شركة دلتا كونيكشن مضربين. وكان الأنذال الجشعون في النقابة يطالبون بمبلغ 20,000 دولار كأجر ابتدائي، ولكن شركة دلتا رفضت، واستمر التوقف عن العمل لمدة أشهر أخرى. ربما تفكر بأنه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الازدهار الاقتصادي – وخاصة بالنسبة للأثرياء الذين يطيرون غالباً– فلن يكون هناك مشكلة في إعطاء الطيارين أجراً يسمح لهم بالعيش على شيء آخر بالإضافة إلى طعام الكلاب. (عندما كنت أستقل طائرة، اعتدت أن أقوم "باختبار الشم" لأرى إذا كان الطيارون يشربون؛ أما الآن فسأبحث عن فضلات طعام الحيوانات عندما أمر بجانب قمرة القيادة.) على أي حال، بعد أن أصبحوا في

حالة توسلوا معها للحصول على فتات طعام متبقية من الطاولة، حصل طيارو دلتا كونيكشن أخيراً على 20,000 دولار في السنة.

يُقال لهؤلاء الطيارين – ولبقية الشعب– بأن الاقتصاد ليس في حالة جيدة، وأن هناك انكماشاً كبيراً، وأن الأرباح في تراجع، وبأن سوق الأسهم قد تلقى ضربة، وبأنه مهما خفّض السيد غرينسبان (رئيس الاحتياطي الفدرالي) نسب الفائدة، فلا شيء ينفع على ما يبدو.

على أي حال، لابد أنهم يملكون أرقاماً تدعم مزاعمهم. يبلغ متوسط الأميركيين الذين يرفعون دعاوى قضائية بسب البطالة كل أسبوع حوالى 403,000 شخصاً. المئات من الشركات تعلن الآن عن تسريحات ضخمة للعمال. والآلاف من الشركات الحديثة في حقول الكمبيوتر العالية التقنية قد أفلست. من سيليكون آلي إلى سيليكون فالي، تُشدُّ الأحزمة بقوة هذه الأيام.

ونحن سقطنا في الفخ.

لا يوجد ركود، يا أصدقائي، ولا انكماش، ولا أوقات صعبة، فالأثرياء ينغمسون الآن في الغنائم غير المشروعة التي جمعوها في العقدين الماضيين. والآن يريدون التأكد من أنكم لن تأتون باحثين عن حصتكم من الفطيرة.

يقوم الأثرياء الآن بكل ما بوسعهم لإقناعكم بأنه من الأفضل لكم ألا تطالبوا بحصتكم، لأن – حسناً، فجأة، لا يوجد ما يكفي لسد حاجاتكم! وليلة بعد ليلة، تخبركم وسائل الإعلام التي يملكونها قصة محزنة وراء الأخرى، عن آخر شركة إنترنت سقطت، أو عن تمويل مشترك خسر كل شيء، أو عن مستثمر في بورصة ناسداك أفلس. خسر اليوم المتوسط الصناعي لبورصة داو جونز ما يزيد عن 300 نقطة. أعلنت شركة لوسنت تكنولوجيز عن تسريح خمسة عشر ألف عامل آخر. انتهى الاندماج بين شركتي الطيران يونايتد و.U.S. جنرال موتورز تحاول القضاء على أولدزموبيل، وهناك تقارير تقول بأنه حتى حسابك الشخصي (401K) غير آمن. أخبار مخيفة جداً، إيه؟

كل ذلك صحيح. إنهم لن يكذبوا عليك، على الأقل ليس بشأن هذه التفاصيل التافهة التي يستخدمونها للتأثير على مخاوفكم.

ولكن ماذا عن الكذبة الأكبر؟ تلك الكذبة المتعلقة بالحالة المريعة التي يعيشها أكبر اقتصاد في العالم؟ أقصد بأن الأمر يبدو صحيحاً من أحد الجوانب. لماذا؟ لأنه، إذا كنت من الطبقة المتوسطة أو أدنى، فلديك كل الحق بأن تكون متخوفاً، ولكن، حتى الذين يتربعون على القمة خائفون أكثر منك. إنهم خائفون من أنك ستريد مشاركتهم في الحفلة التي يقيمونها. إنهم خائفون من أنك ستقول، "حسناً، أنتم لديكم يختوكم وبيوتكم في جنوب فرنسا – والآن ماذا عني؟ ماذا بشأن إعطائي القليل حتى أتمكن من الحصول على باب جديد للمرآب؟" والشيء الوحيد الذي يفوق ذلك الخوف هو اندهاشهم من أن أحداً منكم لم يطلب علاوة، أو عطلة، أو مساعدة في دفع ثمن الزيارة إلى طبيب الأسنان، أو أي حصة من الثراء المفرط الذي حصل في السنوات العشر الماضية. هل يُعقل أن تنفق أربع ليالٍ في الأسبوع متسائلاً من يريد أن يكون مليونيراً، ولكنك لا تجيب أبداً "أنا!"؟ لقد كان كبار الشخصيات المتنفذة في الشركات الكبرى بانتظارك لكي تخلع فردة الحذاء الأخرى.

نعم، أولئك المسؤولون يعلمون بأنه أمر حتمي: يوماً ما ستطالب بحصتك. ولأن ذلك يجب أن لا يحصل، فقد سُحبت السكاكين الطويلة – وقرروا المبادرة بضربة وقائية على أمل أنكم لن تفكروا حتى في النظر إلى أكوام النقود التي يملكونها.

إذاً هذا هو السبب وراء تسريحكم، أو ادعاء الفقر. وهذا السبب وراء إلغاء ركوة القهوة المجانية – ليس لأنهم لا يستطيعون تحمل نفقة القهوة، ولكن، لأنهم يريدون العبث بعقولكم. إنهم بحاجة إلى أن تكونوا في حالة مستمرة من الإجهاد، والشك، والخوف. قد تكونوا أنتم الأشخاص التالين! انسوا أمر بيت ماكسويل – أنقذوا أنفسكم! لا بد أن أرباب العمل الآن جالسين على

كراسيهم المريحة وهم يضحكون أكبر ضحكة في حياتهم.

لا بد أنك تسأل الآن، كيف أعلم أنا كل هذا؟ حسناً، كما ترى، فأنا أمشي بينهم. أنا أعيش على جزيرة مانهاتن، قطعة من الأرض بعرض ثلاثة أميال تشكل المنزل الفاخر والجناح المشترك للنخبة في أميركا. الكثير من المعاناة التي تشهدها كأميركي تنبعث من هذه القطعة النفيسة من الأرض القابعة بين نهرين ملوثين؟ أولئك الذين يديرون حياتكم يعيشون بجواري. أنا أمشي في الشوارع معهم كل يوم. وأنا أرى أطفالهم وهم يُربون بواسطة مهاجرين هايبيتيين، وأنا أراقبهم وهم يمرون بجانب الرجال المخفيين الذين ينظفون رواسب الجص على الأرضيات الرخامية دون أن ينبسوا ببنت شفة، إنهم دائماً مستعجلون للوصول إلى حيث يريدون الوصول – على الأغلب إلى تخفيض فوائدك التأمينية أو وضع مكان عملك على خشبة التقطيع. إنهم دائماً أنيقين، مسرّحي الشعر، وتواقون للاصطياد – والجثة التالية التي سيسقطونها قد تكون جثتك!

أسمعهم يتحدثون عن أحوالهم الممتازة – المنزل الجديد في بيركشاير هيلز، والرحلة التي قاموا بها منذ فترة قصيرة إلى إيستر آيلاند. لا يمكن أن يكونوا أسعد من ذلك.

عندما انتقلت أول مرة إلى بنايتي، كان قاطنوها من الفنانين والكتاب المسرحيين ونصف شخصيات البرنامج الفكاهي ساتترداي نايت لايف. وكان هناك لاعبو هوكي من فريق رينجرز، ولاعب كرة قدم متقاعد، ومصور، وبضع أساتذة جامعيين، وبعض المواطنين المتقاعدين. أما الآن فلم يبق سوى نحن، واحد من الرينجرز، وصديقي المجنون باري، المصور السينمائي؛ وكل ما عدانا، كما يبدو، إما غني بما يكفي ليعيش بدون عمل، أو منهمك في جني الأرباح الضخمة من الملكيات التي يملكها في الأحياء الفقيرة، أو يعيش من بعض الاعتمادات المضمونة، أو يعمل في وال ستريت، أو من بلد آخر (هنا في

نيويورك تطل على الاستثمارات الأجنبية العائلية). وشركات فورتشن 500 هي خبزهم وزبدتهم. وأنا هنا لأقول لك بأن أسلحتهم محشوة وجاهزة، وبأنهم لن يتنازلوا عن قطعة واحدة لغيرهم.

وإذا كنت لا تريد أن تأخذ كلمتي لوحدها، إذاً دعني أقدم لك بعض الإحصائيات المحايدة الموضوعية عن الثروات التي يجنيها هؤلاء الناس:

* من عام 1979 حتى الآن، شهدت نسبة الـ 1 بالمائة من الأشخاص الأكثر ثراء في البلاد زيادة أجورهم بمعدل 157 بالمائة، وأولئك الـ 20 بالمائة الذين يشكلون القاعدة منكم يجنون في العام (يُعدّل حسب التضخم) أقل مما كنتم تجنون في فجر عصر ريغان بـ 100 دولار.
* شهدت أغنى مائتي شركة في العالم أرباحها وهي تنمو بمعدل 362.4 بالمائة منذ العام 1983؛ ومبيعاتهم المشتركة هي الآن أعلى من الناتج الإجمالي المشترك لكل الدول على الكرة الأرضية ما عدا عشرة دول.
* منذ الاندماج الأخير لأكبر أربع شركات نفط في أميركا، ارتفع أرباحها بنسبة 146 بالمائة – أثناء ما قيل لنا بأنها "أزمة الطاقة."
* في آخر سنة توفرت لها إحصائيات، أربع وأربعون شركة من أكبر اثنين وثمانين شركة في الولايات المتحدة لم تدفع النسبة القياسية للضرائب التي يُتوقع من الشركات أن تدفعها، وهي 35 بالمائة. في الواقع، 17 بالمائة منها لم تدفع ضرائب على الإطلاق – وسبعة منها، من بينها جنرال موتورز، لعبت بالأرقام الضريبية كما تلعب على القيثارة، متلاعبة بالنفقات التجارية والمستحقات الضريبية حتى أصبحت دائنة للحكومة بملايين الدولارات!
* وهناك 1,279 شركة أخرى تقدر ممتلكاتها بـ 250 مليون دولار أو أكثر لم تدفع أي ضرائب ولم تبلّغ عن "أي دخل" للعام 1995 (آخر سنة توفرت لها إحصائيات).

نحن نُخدع بطرق شتى لدرجة أن تعدادها كلها قد يعرضني لتهمة

التحريض على الإخلال بالأمن. ولكن من يهتم؟ كانت شركة مرسيدس بنز، التي رفضت باستمرار الالتزام بالمعايير الأميركية للتلوث ونسبة الأميال المقطوعة في الغالون الواحد، تُغرَّم لمخالفتها القانون عندما خرجت بخطة عبقرية: حسمت الشركة من ضرائب عامي 1988 و1989 مبلغ الـ 65 مليون دولار التي دفعته كغرامات على أنه "خسائر عادية تعرضت لها... في مواصلة عملها وتجارتها." وهذا يعني بأنك أنت وأنا دفعنا الـ 65 مليون دولار حتى يتمكن مجموعة من الأغنياء من التجول حولنا في سيارات كبيرة فاخرة وإفساد رئتينا. لحسن الحظ أن مصلحة الضرائب (IRS) اكتشفت تلك الخديعة وأنكرت ادعاءهم.

نصَّبت هاليبورتون، شركة النفط، شركة تابعة لها في جزر كايمان في بداية التسعينيات. والمشكلة هي أنه لا يوجد نفط في جزر كايمان، ولا أي معامل للتكرير أو مراكز للتوزيع. إذاً، ماذا كانت تفعل هاليبورتون هناك. من الواضح بأن الحكومة كانت تشك بذلك. من العام 1996حتى العام 1998، رُفعت أربع عشرة دعوى قضائية منفصلة بخصوص الضرائب ضد وجود هاليبورتون في أماكن متعارضة مع طبيعة عملها. في إحدى الدعاوى، أكدت الحكومة بأن هاليبورتون استخدمت تلك الشركات التابعة لكي تتهرب من دفع ضرائب تبلغ 38 مليون دولار. معظم تلك الدعاوى حُلَّت.

إنهم ليسوا الوحيدين المهتمين بخداع الحكومة، إذ تدَّعي الآن ست شركات تأمين أميركية كبرى بأن برمودا هي مركز إدارتها الرئيسي، من بينها شركات تأمين عملاقة مثل تشاب، هارتفورد، كيمبر، ليبرتي ميوتشوال، وشركات أخرى. كما نقلت مؤخراً أكسينتشر، التي تُعرف عادة باسم أندرسون كونسلتينغ، شركتها إلى برمودا حتى تتجنب دفع الضرائب. إنه في الحقيقة ليس سوى نقل على الورق، إذ مازالوا يحتفظون بكل مكاتبهم في أنحاء البلاد، وكلهم يذهبون إلى العمل يومياً ويقومون بما كانوا يقومون به لشركة أندرسون. "مركز الإدارة

الرئيسي" هو وحده الذي انتقل. ألا تحب أن تستيقظ غداً وتعلن بأنك "نقلت" نفسك إلى فيجي، بالرغم من أنك مازلت مضطراً للنظر إلى مدينة توبيكا خارج نافذتك؟

تقدر مجلة فوربس بأن التدابير التي تتخذها الشركات للتهرب من دفع الضرائب تكلفنا نحن الأميركيون العاديون ما يزيد عن 10 مليار دولار في العام (وعلينا أن نعوّض الفرق، عن طريق دفع المزيد من الضرائب أو فقدان الخدمات). في المرة القادمة التي لا تتمكن فيها من إصلاح الفرن أو استبدال الكمبيوتر، يمكنك أن تشكر أولئك الأشخاص البدينون الذين جعلوك تردد عبارة "الاقتصاد ليس في حالة جيدة الآن."

بدلاً من جمع هذا المال الذي سُرق منا، كيف ستنفق مصلحة الضرائب أوقاتها في هذه الأيام؟ لقد قرروا أن يتعقبوك أنت؟ هذا صحيح. لقد رفعوا العلم الأبيض، وتنازلوا عن جهودهم في حمل الأغنياء على دفع ضرائبهم. وتتمثل سياستهم الجديدة في التركيز على عصر أولئك الذين يجنون أقل الأجور. وفقاً للمكتب العام للإحصاء، أولئك الذين يكسبون أقل من 25,000 دولار في العام تضاعف تدقيق مصلحة الضرائب عليهم، في حين انخفض تدقيقها بنسبة 25 بالمائة على أولئك الذين يكسبون أكثر من 100,000 دولار في العام.

ماذا يعني هذا على بيان الميزانية؟ إنه يؤدي إلى انخفاض نسبته 26 بالمائة في مقدار الضرائب التي تدفعها الشركات، في حين أنك أنت، الأميركي العادي، شهدت ضرائبك وهي تزداد على الأقل بنسبة 13 بالمائة. في الخمسينيات، كانت الضرائب المحصّلة من الشركات تشكل 27 بالمائة من عوائد الحكومة الفدرالية، بينما انخفض هذا الرقم اليوم إلى أقل من 10 بالمائة. ومن الذي عوّض الفرق؟ إنه أنت وعملك الثاني.

يعود جزء من السبب وراء الكثير مما تسمعه عن مدى سوء حالة البلاد في هذه الأيام إلى أن العديد من أولئك الذين يحصلون على مذكرات الصرف

من العمل هم عائلة وأصدقاء أولئك الذين يبلغون الأخبار السيئة. على عكس تسريحات العمال الضخمة في الثمانينيات، التي لم يتجاهلها أحد سوى الذين التحقوا بجامعات جيدة وكسبوا أموالاً جيدة، معظم مذابح التسريح الوحشية اليوم تطال الموظفين والمتعلمين. سرّحوا بضع مئات من الآلاف من هؤلاء الناس وستسمعون بها. لماذا؟ حسناً، لأن... لأن... لأن ذلك غير منصف أبداً! أعني أن هؤلاء الرجال ذوي الأداء العالي دفعوا ما يُستحق عليهم! ولعبوا حسب القوانين، وأعطوا قلوبهم وأرواحهم وأول زواج لهم إلى الشركة. كانوا موجودين في كل فترة تراجع عانت منه الشركة، ولم يتخلفوا أبداً عن "جلسة التفكير" الليلية المتأخرة، وحضروا كل حفلة خيرية قام بها رئيس الشركة وأصدقاؤه. وفي أحد الأيام... "بوب، هذا هو المستشار القانوني للتوظيف الذي استأجرناه لكي يساعدك في الانتقال، الذي نود أن نجعله سهلاً ما أمكن بالنسبة لك. أرجوك أعطني مفاتيحك، وسيرافقك هذا السيد ذو الشارة والمسدس إلى قسمك حتى تتمكن من جمع ممتلكاتك الشخصية والمغادرة خلال العشرين دقيقة القادمة".

لا يوجد انكماش. هل تكسب الأعمال التجارية أقل من السنة الماضية؟ لقد شهدت التسعينيات على هذه الشركات وهي تسجل أرباحاً سريالية، خيالية، لا تمت إلى الواقع بصلة. قارن أرقام أي سنة بأرقام تلك السنوات، وستكون كأنك تقارن بين التفاح على الشجرة وما يسقطه الريح منها. نزل عنوان رئيسي في صحيفة يقول بأن شركة جنرال موتورز انخفضت أرباحها عن السنة الماضية بنسبة 73 بالمائة. يبدو ذلك سيئاً – ولكن السنة الماضية لم تكن أقل من سنة أسطورية الأرباح. حتى مع انخفاض 73 بالمائة، ستحصل جنرال موتورز على ما يزيد عن 800 مليون دولار في النصف الأول من 2001.

هل تنهار شركات الإنترنت من كل الجوانب؟ بالتأكيد! يا للخسارة. هذا ما يحصل مع أي اختراع ثوري جديد – مجموعة كبيرة من الشركات المقاولة تثب

إلى السطح باحثة عن حظها، وفي النهاية لا يبقى واقفاً سوى القليل من الشركات العادية ولكن عديمة الرحمة. هذا ما يسمى الرأسمالية. في العام 1919، بعد عشرين سنة من اختراع السيارة، كان يوجد 108شركات مصنّعة للسيارات في الولايات المتحدة. بعد عشر سنوات انخفض العدد إلى 44 شركة. ومع نهاية الخمسينيات سقطت إلى 8، واليوم نحن نملك ½ 2 شركة أميركية لتصنيع السيارات. تلك هي الطريقة التي تنجح في نظامنا. لا تحبها، إذاً يمكنك الانتقال إلى... إلى... همم... اللعنة، إلى أين تنتقلون في هذه الأيام.

آه، بالطبع – برمودا!

الفصل الرابع

اقتل البيض

لا أعرف ما هو هذا الشيء، ولكنني في كل مرة أرى شخصاً أبيضاً يتقدم نحوي، أصاب بالجنون. وتبدأ غريزتي تلقي بالتحدي، وأبدأ على الفور بالبحث عن طريقة لتسديد وسيلة للدفاع عن نفسي، حتى أنني أوم نفسي لبقائي في هذا الجزء من المدينة بعد الظلام. لم ألاحظ العصابات المريبة من البيض وهم يتمنون في كل زاوية من كل شارع، يشربون قهوة ستاربكس ويلبس كل منهم لون عصابته المفضلة! يا لي من مغفل! يفقد الشخص الأبيض مني الآن، ويصبح أقرب، أقرب، أقرب، ويرتجف دون أن يؤذيني، وأكتفي بالصعداء.

يخيفني الأشخاص البيض بدرجة أرعب، فلا أستطيع من الصعب عليك أن تفهم ذلك. باعتبار أني أبيض. ولكن ولي، هذا هو الأخير، يعطيني نوعاً معيناً من البصيرة، لقد وجدت نفسي، على سبيل المثال، مرعوباً في أوقات كثيرة، لذا فلنا أعرف عما أتكلم. اسمع مني: إذا وجدت نفسك فجأة محاطاً بأناس بيض، من الأفضل لك أن تكون خائفاً. فقد يحدث أي شيء.

كأناس بيض، لقد علموك منذ نعومة أظفارك بأنك ستكون أمثل عندما تكون مع أناس بيض آخرين، لقد لُقنا منذ الولادة بأن علينا أن نخاف منهم هم الأشخاص من اللون الآخر، إنهم من سيحتزون عنك!

عندما أنظر إلى حياتي السابقة، يبرز نموذج غريب وكئيب، يضج وجلي. كل شخص آذاني في حياتي رب العمل الذي طردني، الأستاذ الذي رسبني في الامتحان، مدير المدرسة الذي عاقبني، الولد الذي أصابني بجرح في عيني،

الولد الآخر الذي أصابني ببارودة الضغط، المدير التنفيذي الذي لم يجدد أمة التلفزيون، الشخص الذي طاردني ثلاث سنوات، المخمور الذي هجم عليّ، اللص الذي سرق جهازي الستيريو، المقاول الذي طلب مني مبلغاً كبيراً، الصديقة التي تركتني، الصديقة التالية التي تركتني بأسرع من الأولى، الطيار الذي صدم شاحنة على المدرج (ربما لم يأكل منذ أيام)، الطيار الآخر الذي قرر الطيران عبر الإعصار، الشخص الذي سرق الشيكات من دفتر شيكاتي وكتب لنفسه مبلغاً إجمالياً قدره 16,000 دولار – كل واحد من أولئك الأشخاص كان أبيضاً! مصادفة؟ لا أعتقد ذلك.

لم أُهاجَم أبداً من قبل شخص أسود، لم أُطرد من قبل شخص أسود، لم يُسلب عربون تأمين الإيجار من قبل مالك أسود، لم أحظ أبداً بمالك أسود، لم أحظى أبداً بمقابلة في استديو في هوليود مع إداري مسؤول أسود، لم أشاهد أبداً موظفاً أسوداً في وكالة الأفلام التلفزيونية التي اعتادت أن تمثلني، لم ينكر أبداً شخص أسود حق ابنتي في دخول الجامعة التي تختارها، لم يتقيأ عليّ أبداً مراهق أسود في حفلة مورتلي كرو، لم يوقفني أبداً شرطي أسود، لم أشتر أبداً سيارة فيها مشاكل من قبل بائع سيارات أسود، لم أر أبداً بائع سيارات أسود، لم يحاول أبداً شخص أسود منع فيلمي من الظهور، ولم أسمع أبداً شخصاً أسود يقول، "سنلغي عشرة آلاف وظيفة هنا – طاب يومك!".

لا أعتقد بأنني الشخص الأبيض الوحيد الذي يمكنه الادعاء بهذه الادعاءات. كل كلمة بذيئة، كل تصرف فظ، كل جزء من الألم والمعاناة في حياتي كان مرتبطاً بوجه أبيض.

إذاً، لماذا ينبغي عليّ أن أخاف من الأشخاص السود؟

أنظر متلفتاً حولي إلى العالم الذي أعيش فيه – يا ناس، أنا أكره أن أقص عليكم قصصاً من المدرسة، ولكن، ليس الأميركيون الأفارقة هم الذين جعلوا من هذا الكوكب مثل هذا المكان الحقير، والمخيف. مؤخراً ظهر عنوان رئيسي على

الصفحة الأولى لقسم العلوم في صحيفة نيويورك تايمز طرح السؤال التالي: "من صنع القنبلة الهيدروجينية؟" مضت الفقرة في مناقشة جدل برز بين الرجال الذين يدّعون شرف صنع أول قنبلة. بصراحة، لم أهتم أبداً – لأنني أعرف مسبقاً الجواب الوحيد الوثيق الصلة بالموضوع: "لقد كان شخصاً أبيضاً!" لم يصنع أبداً شخص أسود أو يستخدم قنبلة مصممة لحصد أرواح جماعات من الناس الأبرياء، سواء في أوكلاهوما سيتي، أو كولومباين، أو هيروشيما.

لا، يا أصدقائي، إنه دائماً الرجل الأبيض. لنذهب إلى لوحة المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع:

* من أعطانا الطاعون الأسود؟ شخص أبيض.
* من اخترع المواد الكيميائية السامة PBC، PVC، PBB، ومجموعة من المواد الكيميائية التي تقتلنا؟ أشخاص بيض.
* من الذي أشعل كل الحروب التي خاضتها أميركا؟ رجال بيض.
* من المسؤول عن إدارة البرامج في قناة فوكس؟ رجال بيض.
* من ابتكر بطاقة الاقتراع المخرّمة؟ رجل أبيض.
* فكرة من كانت تلويث العالم بمحرك الاحتراق الداخلي؟ أبيض، ومن سيكون.
* إبادة الأميركيين الأصليين؟ رجال بيض.
* العبودية؟ بيض.
* حتى الآن في العام 2001، سرحت الشركات الأميركية 700,000 إنسان. من الذي أمر بالتسريح؟ مدراء تنفيذيون بيض.
* من الذي يستمر بإخراجي من الإنترنت؟ شخص أبيض سافل، وإذا عرفته، فسيكون شخصاً أبيضاً ميتاً.

سمّ المشكلة، أو المرض، أو المعاناة الإنسانية، أو البؤس المدقع الذي يصيب الملايين، وسأراهنك بعشرة دولارات على أن بإمكاني أن أضع وجهاً

أبيضاً عليها قبل أن تتمكن من تسمية أعضاء فريق إن سينك.

ومع ذلك، عندما أشاهد الأخبار كل ليلة، ماذا أشاهد دائماً وأبداً؟ رجال سود متهمون بأنهم يقتلون، ويغتصبون، ويهاجمون من الخلف، ويطعنون، ويمارسون الجنس بالتتابع مع امرأة واحدة، وينهبون، ويخلون بالأمن، ويبيعون المخدرات، ويمارسون القوادة، ويملكون الكثير من الأولاد، ويرمون أولادهم من نوافذ الشقق، لا أب لهم، لا أم لهم، معدمون. "يوصف المشتبه به على أنه ذكر أسود... يوصف المشتبه به على أنه ذكر أسود... يوصف المشتبه به على أنه ذكر أسود..." لا يهم في أي مدينة أنا موجود، فالأخبار هي ذاتها دائماً، والمشتبه به هو دائماً نفس الذكر الأسود غير معروف الهوية. أنا موجود في أتلانتا هذه الليلة، وأنا أقسم بأن رسم الشرطة للذكر الأسود المشتبه به على التلفزيون يشبه تماماً نفس الذكر الأسود المشتبه به الذي رأيته في الأخبار الليلة الماضية في دنفر، والليلة التي قبلها في لوس أنجلوس. وفي كل رسم تجده متجهماً وينذر بالخطر – ويرتدي ذات القبعة القطنية! هل يُعقل أن يكون نفس الشخص الأسود هو من يرتكب كل جريمة في أميركا؟

أعتقد بأننا أصبحنا معتادين جداً على هذه الصورة للذكر الأسود كشخص مفترس لدرجة أننا أُفسدنا بواسطة هذا النوع من غسيل الدماغ. في فيلمي الأول، روجر وأنا، تضرب امرأة بيضاء تعمل في الضمان الاجتماعي أرنباً صغيراً حتى الموت بواسطة هراوة حتى تتمكن من بيعه "كلحم" بدلاً من بيعه كحيوان أليف. ليتني حصلت على خمسة سنتات في كل مرة جاءني فيها شخص ما في السنوات العشر الماضية ليخبرني كم "ارتعب" و"صُعق" عندما شاهد ذلك الأرنب الصغير الظريف وهو يُضرب على رأسه. لقد جعلهم المشهد، على حد قولهم، يشعرون بالغثيان. وبعضهم اضطر لترك السينما. والعديدون كانوا يتساءلون لماذا وضعت مثل هذا المشهد في فيلمي أساساً. أعطى اتحاد السينما الأميركية (MPAA) روجر وأنا درجة R رداً على قتل ذلك الأرنب (الأمر

الذي أرغم برنامج 60 دقيقة على عرض قصة عن غباء نظام التصنيف). كما يكتب الأساتذة لي ويقولون بأنهم اضطروا إلى حذف ذلك الجزء من الفيلم حتى لا يقعوا في المشاكل بسبب عرض فيلمي على طلابهم.

ولكن، بعد أقل من دقيقتين من قيام تلك المرأة بفعلتها، وضعت مقطعاً من مشهد تفتح فيه الشرطة في فلينت النار على رجل أسود يلبس رداء سوبرمان ويمسك مسدساً بلاستيكياً. لم يحدث مرة – أبداً – أن قال لي أي شخص، "أنا لا أصدق بأنك أظهرت رجلاً أسود يُطلق عليه النار في فيلمك! كم كان ذلك فظيعاً! مقرفاً! لم أستطع النوم لأسابيع!" ففي النهاية، إنه مجرد رجل أسود، ليس أرنباً، صغيراً، ظريفاً. لم يكن هناك غضب لإظهار رجل أسود يُطلق عليه النار على الكاميرا (لم ير أحد من أعضاء هيئة التصنيف في MPAA أي عيب على الإطلاق في هذا المشهد).

لماذا؟ لأن رجلاً أسود يُقتل لم يعد مشهداً فظيعاً أبداً، بل على العكس تماماً – إنه عادي، طبيعي. لقد أصبحنا معتادين جداً على رؤية رجال سود وهم يُقتلون – في الأفلام السينمائية وفي أخبار المساء– حتى أننا نعتبر ذلك إجراءاً روتينياً مألوفاً. ليس أمراً مهماً، إنه مجرد رجل أسود آخر ميت! هذا ما يفعله السود – يقتلون ويموتون.

من الغريب أن الوجوه السوداء، على الرغم من حقيقة أن معظم الجرائم تُرتكب بواسطة البيض، هي التي ترتبط عادة بتفكيرنا "بالجريمة." اسأل أي شخص أبيض ممن يخاف أن يقتحم عليه بيته أو يتعرض له بالأذى في الطريق، وإذا كان صادقاً، فسيعترف لك بأن الشخص الذي يفكر به لا يشبهه. المجرم المتخيّل في رؤوسهم يبدو بأنه يشبه موكي، أو كريم أو حكيم، وليس جيمي الصغير ذو الوجه المنمّش.

كيف يتعامل العقل مع مثل هذا الخوف وكل شيء يراه يقول العكس تماماً؟ هل عقول الناس البيض مبرمجة لرؤية شيء واحد وتصديق العكس بسبب

العرق؟ إذا كان ذلك هو الحال، فهل يعاني كل البيض من مرض عقلي شديد مشترك؟ إذا كانت الشمس في السماء صافية، ومشرقة وجميلة، ولكن عقلك يقول لك بأن تبقى في البيت لأن هناك حتماً عاصفة قادمة، عندها قد نشجعك على طلب المساعدة من الطبيب. إذاً، هل يختلف عنك البيض الذين يرون راقصي الروك حول كل زاوية شارع؟

من الواضح بأنه مهما كان عدد المرات التي يثبت فيها لهم مواطنوهم البيض بأن الرجل الأبيض هو الذي ينبغي الخوف منه، فإن ذلك لا يهم، لأنها ببساطة لا تُسجّل. في كل مرة تفتح فيها التلفزيون على أخبار حادثة إطلاق نار أخرى في المدارس، تجد ولداً أبيضاً هو الذي ارتكب المذبحة. في كل مرة يقبضون فيها على قاتل تسلسلي، تجده مجنوناً أبيضاً. في كل مرة يُفجّر فيها إرهابي مبنىً فدرالياً، أو معتوهاً يجبر أربعمائة شخص على شرب كوول إيد، أو كاتب أغنيات فرقة بيتش بويز يلقي سحراً يدفع نصف دزينة من المراهقات على قتل "كل الخنازير" في هوليود هيلز، تعرف بأنه فرد من العرق الأبيض يعود لممارسة ألاعيبه القديمة.

إذاً لماذا لا نركض مذعورين عندما نرى أبيضاً يتقدم نحونا؟ لماذا لا نحيي المتقدم الأبيض بطلب للعمل بالقول، "أوه، أنا آسف، لا يوجد مكان متوفر في الوقت الحالي؟ لماذا لا نمرض من شدة قلقنا على بناتنا إذا ما تزوجن من رجال بيض؟

ولماذا لا يحاول الكونغرس حظر الكلمات العدائية والمخيفة للمغني جوني كاش ("أطلقت النار على رجل في رينو / فقط لكي أراقبه وهو يموت")، أو ديكسي تشيكس ("كان يجب على إيرل أن يموت")، أو بروس سبرينغستين ("... قتلت كل شيء في طريقي / لا يمكنني قول أنني آسف على الأشياء التي فعلناها"). لماذا ينصب كل التركيز على كلمات موسيقى الراب (الخاصة بالسود)؟ لما لا تطبع وسائل الإعلام مثل هذه الكلمات الخاصة بموسيقى الراب

وتقول الحقيقة؟

بعت زجاجات من الحزن، وانتقيت القصائد والروايات.

– وو – تاغ كلان.

يستغل الناس عقلك للربح.

– آيس كيوب.

أم وحيدة مسكينة تعيش على الخدمة الاجتماعية ... أخبريني كيف تمكنت من البقاء على قيد الحياة.

– توباك شاكور.

أنا أحاول تغيير حياتي، لأنني لا أريد أموت آثماً.

–ماستر پ.

ظل الأميركيون الأفارقة قابعين في الدرجة السفلى من السلم الاجتماعي منذ اليوم الذي خُطفوا فيه وجُرُّوا مقيدين بالسلاسل إلى هنا – ولم ينجحوا في ترك تلك الدرجة أبداً – ولا حتى ليوم لعين واحد في حياتهم. كل المجموعات المهاجرة الأخرى التي حطَّت رحالها هنا تمكنت من التقدم من الدرجة الدنيا إلى المتوسطة إلى العليا من مجتمعنا. حتى الأميركيين الأصليين، وهم من بين الأكثر فقراً، لديهم عدداً أقل من الأطفال الذي يعيشون ظروفاً بائسة من الأميركيين الأفارقة.

ربما كنت تعتقد بأن السود قد تحسنت أوضاعهم في هذا البلد. أقصد، نظراً إلى كل التقدم الذي قمنا به وإلغاء التمييز العنصري من مجتمعنا، سيعتقد المرء بأن مواطنينا السود قد شهدوا ارتفاعاً في مستوى معيشتهم. لقد أظهر تحقيق نُشر في واشنطن بوست في تموز من العام 2001 أن 40 إلى 60 المائة من البيض يعتقدون بأن مستوى معيشة المواطن الأسود إما بمستوى معيشة المواطن الأبيض أو أفضل.

فكّر ثانية. وفقاً لدراسة أُجريت من قبل الاقتصاديين ريتشارد فيدير، ولويل غالاويل، ودافيد كلينغامان، إن الدخل المتوسط للأميركي الأسود في السنة أقل بنسبة 61 بالمائة من الدخل المتوسط للأبيض. نفس نسبة الفرق التي كانت في العام 1880! اللعنة، لم يتغير شيء أبداً منذ أكثر من 120 سنة.

هل تريد المزيد من الأدلة؟ تأمل ما يلي:

* حوالى 20 بالمائة من الشباب السود بين عمر 16 و24 سنة لا هم في المدرسة ولا هم يعملون – بالمقارنة مع 9 بالمائة فقط من الشباب البيض. وعلى الرغم من "الانفجار الاقتصادي" للتسعينيات، لم تنزل هذه النسبة بشكل كبير خلال السنوات العشر الماضية.
* في العام 1993، استثمرت العائلات البيضاء حوالى ثلاثة أضعاف ما استثمرته العائلات السوداء في البورصات، وشركات التمويل المشترك، و/أو حسابات IRA و Keogh المصرفية. ومنذ ذلك الحين زادت قيمة سوق البورصة عن الضعف.
* إن احتمال خضوع مرضى النوبة القلبية من السود لعملية قسطرة قلبية، عملية شائعة ومعدة لإنقاذ الحياة، بغض النظر عن عرق الطبيب، أقل بكثير من المرضى البيض. كما أحال الأطباء البيض والسود معاً المرضى البيض إلى عملية القسطرة بنسبة تقارب 40 بالمائة أكثر من المرضى السود.
* إن احتمال تلقي البيض معالجة طارئة للجلطة الدموية أكبر بخمسة أضعاف من السود.
* إن احتمال موت النساء السوداوات أثناء الولادة أكبر بأربعة أضعاف من النساء البيضاوات.
* لقد ظلت مستويات البطالة عند السود أكثر بمرتين تقريباً منها عند البيض منذ 1954.

ألا يجعل هذا الأمر أحداً يغضب بالإضافة إلى وإلى القس الموقر

فاراخان؟ لمن يدين الأميركيون الأفارقة بهذه المعاملة، نظراً إلى أنهم مسؤولون عن القليل جداً من المعاناة التي يواجهها مجتمعنا؟ لماذا هم من يُعاقَبون؟ اللعنة عليّ إذا كنت أعرف.

إذاً، لماذا استطعنا نحن البيض على النجاة بفعلتنا دون أن ينتهي بنا الأمر كما حصل مع ريجينالد دينيي؟؟(*)

إنها براعة البيض! كما تعلم، فقد اعتدنا أن نكون مغفلين حقيقيين. كالأغبياء، حملنا عنصريتنا على أكمام قمصاننا. لقد قمنا فعلاً بأشياء واضحة جداً، كوضع لافتات على أبواب غرفة الاستراحة تقول للبيض فقط. وفوق نافورة الشرب علّقنا لافتة تقول للملونين. لقد جعلنا السود يجلسون في مؤخرة الباص. لقد منعناهم من دخول مدارسنا أو العيش في أحيائنا. لقد حصلوا على أسوء الوظائف (تلك التي كانت تُعلن للزنوج فقط)، وأفهمناهم بشكل واضح بأنهم لو لم يكونوا بيضاً لحصلوا على أجر أدنى.

ولكن هذا التمييز العنصري العلني والمفرط وضعنا في جملة من المشاكل، فقد ذهبت مجموعة من المحامين المتفوقين إلى المحكمة – مستشهدين، من بين كل الأشياء، بدستورنا ذاته! لقد أشاروا إلى أن التعديل الرابع عشر لا يسمح لأي شخص بأن يُعامل بشكل مختلف بسب العرق.

في نهاية الأمر، بعد سلسلة طويلة من الخسائر في المحكمة، والمظاهرات والمشاغبات، وصلتنا الرسالة: إذا لم نتعلم، فسنضطر لمقاسمة جزء من الفطيرة. لقد تعلمنا درساً مهماً: إذا كنت تريد أن تكون عنصرياً ناجحاً، فمن الأفضل لك أن تجد طريقة لفعل ذلك مع ابتسامة على الوجه.

وهكذا أصبح البيض أذكياء وأنزلوا اللافتات، وأوقفوا إعدام الرجال السود

(*) سائق الشاحنة الأبيض الذي جُرَّ من ثيابه وضُرب حتى شارف على الموت بواسطة أشخاص سود خلال اضطرابات عام 1992 في لوس أنجلوس.

بدون محاكمة لمجرد أنهم ربما قد توقفوا في الطريق ليتكلموا مع نسائنا، وسنوا بعضاً من قوانين الحقوق المدنية، وامتنعوا عن التفوه بكلمات مثل زنجي علناً. حتى أننا أصبحنا نتمتع بقدر كاف من الشهامة لكي نقول: بالتأكيد، يمكنكم العيش هنا في حيِّنا، وأولادكم يمكنهم الذهاب إلى مدرسة أطفالنا. ولم لا؟ نحن كنا راحلين على كل حال. ابتسمنا، وربَّتنا على ظهر أميركا السوداء – وركضنا كالشياطين إلى الضواحي. والآن علينا أن نعيد الأمور إلى الطريقة التي اعتدنا عليها دائماً أن تكون في المدن. عندما ننزل إلى الشارع لكي نتناول الجريدة في الصباح، ننظر إلى جهة من الشارع ونرى أناساً بيضاً؛ ثم ننظر في الاتجاه الآخر، واحزر ماذا نرى؟ المزيد من الناس البيض!

تصادمة

مقتطفة من التعديل الرابع عشر

المقطع 1. كل الأشخاص المولودين أو المجنَّسين في الولايات المتحدة والخاضعين للسلطة القضائية فيها، هم مواطنون في الولايات المتحدة وفي الولاية التي يقيمون فيها. لا يحق لأي ولاية سن أو فرض أي قانون يقلل امتيازات وحصانات مواطني الولايات المتحدة؛ ولا يحق لأي ولاية أن تحرم أي شخص من حياته، أو حريته، أو ملكيته، بدون تنفيذ الإجراءات القانونية المطابقة للقواعد المرعية؛ ولا أن تنكر حق أي شخص ضمن سلطتها القضائية بالحماية المتساوية للقوانين.

في العمل، ما زلنا نحن البيض نحصل على الوظائف الممتازة، والأجر المضاعف، وعلى مقعد في مقدمة الباص المتجه إلى السعادة والنجاح. انظر إلى الخلف، وسترى السود يجلسون حيث كانوا يجلسون دائماً، ويرتبون من بعدنا، ويقدمون الطعام لنا، ويخدموننا من وراء الطاولة.

ولكي نبتدع غطاءً لهذا التمييز العنصري المستمر، نقيم الآن "حلقات

مناقشة منوعة" في أماكن عملنا ونعيّن أناساً ذوي "علاقات مدنية" لمساعدتنا في "الاتصال مع المجتمع." وعندما نعلن عن افتتاح وظيفة، نشمل بسعادة الكلمات: "مستخدم يقدم فرصاً متكافئة." يشعرنا ذلك بالارتياح – وبالضحك أيضاً، لأننا كلنا نعرف بأنه من المستحيل بأي حال من الأحوال أن يحصل شخص أسود على الوظيفة. 4 بالمائة فقط من تعداد الأميركيين الأفارقة يملكون درجة جامعية (بالمقارنة مع 9 بالمائة من البيض و15 بالمائة من الأميركيين الآسيويين). وهكذا رتبنا النظام منذ ولادته، ضامنين للسود أسوأ المدارس الرسمية، وبذلك نمنعهم من دخول أفضل الجامعات، ونمهد لهم الطريق لحياة حسب الطلب من بناء بيوتنا، وإصلاح سياراتنا الـ BMW إلى التقاط قمامتنا. أوه، بالتأكيد، ينزلق البعض من القبضة – ولكنهم سيدفعون تعرفة إضافية لهذا الامتياز، فالطبيب الأسود الذي يقود سيارته الـ BMW ستوقفه الشرطة باستمرار؛ وممثلة برودواي السوداء لن تتمكن من الحصول على سيارة أجرة بعد الاحتفال الاحتفائي الوقوفي؛ والسمسار الأسود سيكون أول من يُسرَّح، بسبب "الأقدمية".

نحن البيض نستحق فعلاً نوعاً من المكافأة على هذه العبقرية. نثرثر بكلمات فارغة عن التضمين، ونحتفل بعيد ميلاد الدكتور مارتن لوثر كينغ، ونقطب جبيننا لسماع نكات عنصرية؛ بفضل ذلك الوضيع القذر مارك فوهرمان، حتى أننا تمكنا من ابتكار مصطلح جديد –"الكلمة N" – بدلاً من العبارة الحقيقية "ماكوي الزنجي." صدقني، لن تمسك أياً منا يقول هذه الكلمة بصوت عالٍ – ليس في هذه الأيام. والمرة الوحيد المسموح فيها أن نقولها هي عندما نغني بمصاحبة أغنية راب – ويا للدهشة، لقد أصبحنا فجأة نحب الراب!

كما لم نغفل إسقاط ذكر "يا صديقي – إنه أسود..." ونعطي المال لصندوق جامعة الزنوج المتحدة، ونعترف بشهر التاريخ الأسود، ونتأكد من وضع مستخدَمنا الأسود الوحيد على مقدمة مكتب الاستقبال حتى نتمكن من قول أشياء مثل "أترون، نحن لا نميز! نحن نستخدم أناساً سوداً".

أجل، نحن عرق ماكر وحذر جداً – واللعنة إذا لم ننجو بفعلتنا!

نحن أيضاً خبيرون في التعلم – والانتحال – من الثقافة السوداء. إننا نختار منها، ونضع ما نختاره في خلاط أبيض، ونجعله ملكنا. بيني غودمان فعل ذلك، وإلفيس أيضاً، وكذلك ليني بروس. اخترعت موتاون (أول شركة موسيقية يملكها أشخاص سود في أميركا) أسلوباً موسيقياً جديداً تماماً، ثم أُغريت بعد ذلك للانتقال إلى لوس أنجلوس، حيث انسحبت وتركت مكانها لنجوم الموسيقى الشعبية البيض العظام. إيمينيم نفسه يعترف بأنه يدين بالكثير للفرق الموسيقية دكتور دري، وتوباك وبابليك إنمي. وكذلك تدين فرقتا باك ستريت بويز وإن سبنك بالكثير إلى سموكي روبنسون، وميريكلز، وتيمبتايشنز، وجاكسون فايف.

السود يخترعونها، ونحن نستولي عليها، من الكوميديا والرقص إلى الموضة واللغة – إننا نحب الطريقة التي يعبر فيها السود عن أنفسهم، كأن تعطي صديقتك اقتراحات ("propositions" بدلاً من "props") بشأن عشاء لذيذ، أو تتسكع مع أصدقائك ("peeps" بدلاً من "friends").

في العقود الثلاثة الماضية، هيمن الأميركيون الأفارقة على كل الرياضات المحترفة (ما عدا الهوكي). وكم كنا كرماء في تسليم كل ذلك التدريب القاسي، والجهد والجد إلى الرجال السود، وذلك لأنه، لنواجه الأمر، من الممتع أكثر أن تجلس في مقعدك ذي المسند المتحرك وتأكل رقائق البطاطا وتشاهدهم وهم يطاردون تلك الكرة. أما إذا أردنا أن نتمرن، فيمكننا دائماً أن نقوم باتصال مع راديو الحوار الرياضي لكي ننتحب ونبكي حسرة على تلك الأجور المرتفعة التي تُدفع إلى أولئك الرياضيين، إذ أن رؤية السود ينعمون بالكثير من الأموال يجعلنا نشعر بشيء من... عدم الارتياح.

أين هم بقية الناس ذوو البشرة السوداء في هذه الأيام، أولئك الذين لا يحومون حولنا أو يخدموننا؟ يعملون في السينما والتلفزيون! نادراً ما أشاهدهم. عندما أغادر نيويورك إلى لوس أنجلوس لعدة أيام للعمل ومقابلة الناس في

المهنة، من الطائرة التي أستقلها إلى الفندق الذي أنزل فيه، إلى زيارة وكالة الموهوبين القديمة، إلى الإداريين التنفيذيين الذين أقابلهم، إلى الكؤوس التي يجب أن أشربها مع المنتج في سانتا مونيكا، ثم إلى العشاء الذي أستمتع به مع الأصدقاء في ويست هوليود- يمكنني أن أتجول أياماً بدون مصادفة أميركي أسود واحد، ما لم يكن شخصاً أناوله بقشيشاً. كيف يمكن لهذا أن يحصل؟ وحتى أضيّع الوقت، أصبحت ألعب لعبة مع نفسي، محاولاً قياس الوقت الذي سأقضيه قبل أن ألتقي برجل أو امرأة سوداء ممن لا يلبسون زياً موحداً أو يجلسون عند مكتب موظف الاستقبال (إنهم يقومون بحيلة الزنجي عند مكتب الاستقبال في لوس أنجلوس أيضاً). خلال رحلاتي الثلاث الأخيرة إلى لوس أنجلوس لم تتوقف الساعة أبداً: كان تعداد الرؤوس السوداء صفراً. أن أوجد لعدة أيام في ثاني أكبر مدينة في أميركا ولا أصادف سوى البيض، والآسيويين، والإسبانيين – هذا دليل فذ، لا يصدق على قوة التزامنا بأن نكون مجتمعاً عنصرياً. فكّر في كمية الطاقة التي يجب أن تُصرف في شيء كهذا، حتى لا أضطر للإنزعاج برؤية أي شخص أسود! كيف تمكن أولئك البيض هناك من إبقاء مليون مواطن أسود في لوس أنجلوس مخفيين عن ناظري؟ عبقرية صرفة، خالصة!

أعرف أنه من السهل اختيار لوس أنجلوس. ولكن، يمكنك تجربة عدم سماع أي شخص أسود أو عدم رؤية أي شخص أسود في معظم أجزاء أميركا، وليس فقط في عالمي التلفزيون والسينما. في الواقع، سأكون مندهشاً إذا ما علمت بأن أيد سوداء لمست مخطوطة هذا الكتاب منذ أن غادرت مكتبي (عدا إرسالها إلى الناشر عبر المدينة).

لمرة واحدة فقط أحب أن أرى شخصاً أسوداً يجلس بجواري في لعبة لفريق نيكس (كرة سلة) – أو ضمن الصفوف العشرين مني في أي اتجاه (باستثناء اللاعبين وسبايك لي). لمرة واحدة أحب أن أصعد إلى الطائرة وأراها مليئة بالمسافرين السود فقط بدلاً من مجموعة من المغفلين البيض المتذمرين

الذين يشعرون بأن لهم الحق في مطالبتي بالتخلي عن ثيابي لكي يضعوا مؤخرتهم عليها.

الآن لا تسيء فهمي، فأنا لست أبيضاً يكره نفسه، وليس لون البشرة البيضاء للآخرين ما يخيفني. ولكن ما يغيظني هو أن البيض أصبحوا ماكرين جداً، لدرجة أنهم اكتشفوا طريقة تحول الأشخاص السود إلى أشخاص بيض! عندما سمعت لأول مرة كلارينس توماس (قاضٍ أسود) يتكلم، فكرت "بالصراخ بصوتٍ عالٍ، ألا يملك الناس البيض مسبقاً ما يكفي من الناس البيض؟ والآن تمتلئ الموجات الهوائية بالسود الذين يُعرضون لترويج البرنامج الأبيض. أتعجب من أين تعثر الشبكات التلفزيونية على هؤلاء الأشخاص. إنهم يجاهرون بمعارضتهم لنشاط العمل الإيجابي (مؤسسة تعمل لتحسين فرص تعليم وتوظيف الأقليات والنساء)، بالرغم من أن العديد منهم دخلوا إلى الجامعة بفضل العمل الإيجابي. وهم يهاجمون الأمهات التي تلجأ إلى الخدمة الاجتماعية، رغم أن أم ذلك الذي يقول هذا الكلام قد كافحت لسنوات طويلة في الفقر حتى يكبر ابنها لينتقص منها ومن أمثالها. وهم يجاهرون بمعاداتهم للشاذين جنسياً، رغم أن الإيدز قد دمر من الشاذين السود أكثر من أي مجموعة أخرى. وهم يحتقرون جيسي جاكسون، رغم أنه أنفق سنوات في الاعتقال وخاطر بحياته حتى يملكوا حرية الجلوس في أي مطعم يختارون، وطلب الغداء، دع عنك قول أي رأي يرغبون بقوله. أنا لا أقول بأن أميركا السوداء يجب أن تتكلم بصوت سياسي واحد، ولكنني مستاء فقط من السم الذي يبثه هؤلاء "المحافظون."

إن مشاهدة هذا الفيلم الإباحي للعم توم هو أكثر ما يحزنني. ترى كم يُدفع إلى هؤلاء الشاذين؟ أتساءل، عندما ينطفئ الضوء الأحمر للكاميرا، هل يقول يوماً بيل أوريلي، أو كريس ماثيوس، أو تاكر كارلسون إلى هؤلاء الباعة، "هاي، يوجد منزل للبيع بجوار منزلي، يجب أن تنتقلوا إليه!" أو "هاي، أختي أصبحت عازبة الآن وأنتم كذلك – ما رأيكم؟" لا أعلم، ربما يقولون ذلك. وربما

سيدعوني أوريلي يوماً إلى احتفال الكوانزا (احتفال خاص بالسود) في كانون الأول من هذا العام.

أتساءل كم سنضطر للعيش مع شرعية العبودية. ذلك صحيح. لقد وجدتها. العبودية. يمكنك أن تسمع همهمات السخرية لأميركا البيضاء كلما أظهرت حقيقة أننا مازلنا نعاني من تأثير نظام استعبادي مدعوم ومقبول من قبل الحكومة.

حسناً، أنا آسف، ولكن إذا تعقبت أمراضنا الاجتماعية فإن جذورها قد تعود إلى هذا الفصل المريض من تاريخنا. لم يتسنَ للأميركيين الأفارقة أبداً فرصة الحصول على نفس البداية العادلة التي حصل عليها البقية منا، فقد دُمِّرت عائلاتهم عمداً، وجُرِّدت لغتهم وثقافتهم ودينهم منهم، ورُسِّخ فقرهم كي يُقطف قطننا، وتُحارب حروبنا، ولتتمكن مخازننا من البقاء مفتوحة طوال الليل. إن أميركا التي نعرفها الآن لم تكن لتنجح لو لم يبنها ملايين العبيد ويحدثون ازدهارها الاقتصادي – ولو لم يقم الملايين من أحفادهم بنفس العمل القذر للبيض اليوم.

"مايك، لماذا تثير قضية العبودية؟ لا يوجد شخص أسود اليوم كان عبداً في يوم من الأيام. أنا لم أستعبد أحداً. لم لا تتوقف عن إلقاء اللوم في كل هذا على بعض الظلم الماضي، وتدعهم يتحملون مسؤولية أفعالهم؟".

حسناً، نحن لا نتكلم عن روما القديمة هنا، يا ناس، فجدي وُلد بعد ثلاثة أعوام فقط من الحرب الأهلية.

هذا صحيح، جدي. وعم أبي وُلد قبل الحرب الأهلية. وأنا في الأربعينيات فقط من عمري. بالطبع، إن بعض الناس في عائلتي تزوجوا متأخرين وجاء أولادهم في وقت أكثر تأخراً، ولكن تبقى الحقيقة التي تقول بأنني لا أبعد إلا مسافة جيلين فقط عن أيام العبودية. وذلك يا أصدقائي ليس "منذ وقت طويل." بالنسبة للتاريخ الإنساني السحيق، ليس ذلك سوى البارحة. وإلى أن ندرك،

ونقبل بأننا بالتأكيد نحمل مسؤولية تصحيح فعل لاأخلاقي لا تزال نتائجه تتردد صداها إلى اليوم، فإننا لن نزيل أبداً اللطخة الأكبر الموصومة على روح بلدنا.

في اليوم الذي تلا بداية أحداث الشغب في لوس أنجلوس في العام 1992، عندما امتد الأذى حتى وصل إلى أحياء البيض قرب بيفرلي هيلز وهوليود، استبد بالبيض حالة طارئة من غريزة البقاء، ففر الآلاف ممن يعيشون في الجبال فوق لوس أنجلوس، فيما بقي المزيد من الآلاف وأخرجوا بنادقهم. بدا الأمر وكأن المعركة العرقية الفاصلة كانت تخيم ظلالها فوق رؤوسنا.

كنت أعمل خارج مكتب شركة وارنر بروس في روكفيلر سنتر في نيويورك سيتي. انتشرت إشاعة عبر المبنى تقول بأن على الجميع إخلاء المبنى والتوجه إلى البيت بحلول الساعة الواحدة ظهراً. كان يُخشى من أن يلتقط السود في نيويورك "حمى الشغب" ويصبحون مسعورين. في الساعة الواحدة ظهراً، خرجت إلى الشارع، أعتقد (وآمل) بأن ما رأيته قد لا أراه أبداً ثانية – عشرات الآلاف من الناس البيض يركضون على الأرصفة من أجل ركوب القطار أو الباص التالي للخروج من المدينة. كان المنظر يبدو كأنه مشهد من فيلم يوم الجراد، بشر ملتصقون ببعضهم البعض في هلع جماعي خوفاً على حياتهم.

في غضون نصف ساعة كانت الشوارع خالية. كانت مخيفة ومروعة. نيويورك سيتي في منتصف النهار وفي منتصف الأسبوع – وكأنها الخامسة صباحاً من يوم الأحد.

مشيت حتى وصلت إلى الحي الذي أقطن فيه. لم أكن مهتماً بشيء أكثر من أن قلمي قد نفذ منه الحبر. توقفت بجانب المخزن الثابت الذي يقع على الشارع المقابل لشقتي، وكان واحداً من المحال التجارية القليلة التي ما تزال مفتوحة (معظمها أغلقت وأقفلت مصاريع نوافذها). انتقيت قلمين وبعض الأوراق وذهبت إلى الطاولة لكي أدفع. هناك، عند مسجلة النقود، وقف المالك العجوز – مع مضرب كرة قاعدة على الطاولة أمامه. سألته عن سبب وجود

المضرب أمامه.

"فقط في حال،" أجابني، وهو يحدق بعينيه ليرى ماذا يحصل خارجاً في الشارع.

"في حال ماذا؟" سألته.

"أنت تعلم، في حال قرروا إحداث شغب هنا".

لم يكن يلمح إلى أن مشاغبي لوس أنجلوس قد ركبوا طائرة وجلبوا زجاجات المولوتوف معهم إلى هنا كي يقذفونها في أنحاء بيغ آبل (نيويورك). ما كان يدور في ذهنه – ككل الأشخاص الذي كانوا يركضون للحاق بآخر قطار متجه إلى الضواحي البيضاء – هو حقيقة أن المشكلة العرقية عندنا لم تكن في الواقع قد حُلّت أبداً، وأن أميركا السوداء كان تخفي غضباً مكبوتاً على التفاوت المذهل بين حياة السود والبيض في هذه البلاد. لقد عبّر ذلك المضرب بصوت عالٍ عن الخوف الأساسي الوحيد غير المنطوق به الذي يحمله كل البيض، وهو أنه عاجلاً أم آجلاً سينهض السود ويأخذون بثأرهم. إننا نجلس على قنبلة عرقية، ونحن نعلم بأنه من الأفضل لنا أن نكون مستعدين عندما يأتي ضحايا جشعنا مطالبين بثأرهم.

حسناً، هاي، لماذا تنتظر حتى يحدث كل ذلك؟ هل تريد فعلاً أن تدع الأمور تصل إلى هذه الدرجة؟ أليس من الأفضل أن تصلح المشكلة بدلاً من أن تضطر للهرب إنقاذاً لروحك في الوقت الذي يحترق فيه بيتك ورائك؟ أعلم بأن ذلك أفضل!

ولهذا السبب لقد جمعت بعضاً من النصائح سهلة الاتباع للبقاء على قيد الحياة، والتي قد تساعدك على إنقاذ روحك. عاجلاً أو آجلاً – أنا أعرف ذلك وأنت تعرف ذلك – سيكون هناك الملايين من رودني كينغ يقرعون على بابك، وهذه المرة لن يكونوا من يتلقى الضرب.

شركة كوميدي سنترال، واثنان آخران ابتدعا عروضاً لتلك الشبكة. وعمل بعض محررينا في شركة HBO، وواحد منهم حرر العديد من أفلام المخرج آنغ لي (النمر الجاثم، التنين المخفي).

أنا سعيد لأجلهم كلهم، ولكن هناك سؤال ينخر في رأسي: ماذا لو فعلت شيئاً مماثلاً لمائة كاتب، ومحرر، ومنتج ميداني، ومصور سينيماتي أسود في مشاريعي طوال هذه السنين؟ أين يمكن أن يكونوا اليوم؟ أعتقد بأنك ستجدهم يستخدمون موهبتهم للتأثير في منات العروض أو الأفلام السينمائية، في محاولة لإسماع صوتهم. مع ذلك، يمكننا أن نفعل أفضل من ذلك بكثير في هذه المسألة.

كلما أفكر في الأمر أكثر، أجد بأن المستخدَمين البيض قد يشكلون الكثير من المتاعب، فالشخص الأبيض، مثلاً، الذي يعمل في المكتب بجوار مكتبي يشغل الآن أسطوانة لفرقة إيغلز. ذلك الشخص يجب أن يرحل. ويمكن أن يكونوا أيضاً مجموعة كسولة إلى حد كبير – وخاصة أولئك الذين تربوا وعاشوا مع الكثير من المال وذهبوا إلى أفضل المدارس. إنهم أولئك الذين كانوا يخدشون كل مفروشاتنا، وينثرون القذارات على سجاداتنا، تاركين بقعاً كبيرة قبيحة. كان إحساسهم المشفّر وراثياً بالامتياز يهمس في آذانهم، "هناك شخص آخر (شخص أسود؟) سينظف من بعدك. ودخلت عليّ للتو مستخدَمة أخرى وأخبرتني بأنها تريد أن تأخذ إجازة يوم الجمعة "لتذهب إلى هامبتونز (منتجعات فاخرة)." بالتأكيد – ولم لا تأخذين بقية حياتنا إجازة بينما أنت هناك؟

لذا، يجب أن يرحلوا جميعاً. من الآن فصاعداً لن يعمل البيض هنا أبداً.

أعتقد بأن إحدى الوكالات الحكومية ينبغي أن تزورني من أجل هذا، فأنا محظّر عليّ قانونياً حرمان عرق بأكمله من التوظيف. أنا لا أبالي. أحضرها! ومن الأفضل أن لا ترسل إلي شخصاً أبيضاً، وإلا فسأجعله يجلب لي ساندويتشات البرغر ويفرك مرحاضي.

إذا لم نكن عازمين على القيام بفعل جدي لتصحيح مشكلتنا العرقية، فسينتهي بنا الأمر بأن نضطر للعيش في حي مغلق، مسلحين بأسلحة نصف أوتوماتيكية وقوة أمن خاصة.

نصائح للبقاء على قيد الحياة من أجل أميركا البيضاء

1. استخدم فقط أشخاصاً سوداً

لقد انتهيت من استخدام البيض. لاشيء ضدهم شخصياً، بالتأكيد. إنهم نوع من الأشخاص المجتهدين القابلين للاعتماد عليهم. أولئك الذين استخدمتهم في برامجي التلفزيونية كانوا مجموعة رائعة.

ولكنهم بيض.

كيف يمكنني أن أكتب ما كتبته حتى الآن في هذا الفصل في الوقت الذي لم أفعل فيه شيئاً لتصحيح المشكلة في الفناء الخلفي من بيتي؟ أوه، بالطبع، يمكنني إعطاء مائة عذر لماذا هو صعب جداً أن أجد أميركيين أفارقة في هذا العمل – وستكون أعذاراً صادقة. إذن؟ فهو صعب إذاً؟ هل يحلني هذا من مسؤوليتي؟ عليّ أن أكون خفيراً على نفسي!

بواسطة منحي وظائف إلى أشخاص بيض – بالنسبة للعديد منهم كان ذلك أول عمل لهم في هذا المجال – لقد مكنتهم من الاستمرار والحصول على أعمال ناجحة في برامج مثل "غير صحيح سياسياً، الشريعة وغريغ"، عرض دافيد ليترمان، "العرض اليومي مع جون ستيوارت"، والكثير غيرها. إضافة إلى ما يزيد عن عشرة أشخاص من العاملين السابقين في تلك البرامج ممن شقوا طريقهم الخاص وقاموا بأفلامهم المستقلة. واحد منهم أصبح مديراً تنفيذياً في

إذاً، إذا كنت أميركياً أفريقياً وتود العمل في الإعلام – أو أنك تعمل مسبقاً ولكنك لم تستطع الخروج من طاولة الاستقبال اللعينة تلك – فأنا أشجعك بأن تكتب إلي وترسل سيرتك الشخصية.

إن موظف الاستقبال الأبيض الوحيد لدينا سيكون سعيداً بالإجابة على أي أسئلة لديك.

2. إذا كنت تملك عملاً خاصاً بك. ادفع للناس أجراً يمكّنهم من العيش، وأمّن لأولادهم العناية النهارية، وتأكد من حصول كل مستخدَميك على الضمان الصحي.

هذه النصيحة للبقاء على قيد الحياة مخصصة لأولئك المؤمنين بالرأسمالية والذين يعتبرون أنفسهم محافظين. إذا كان كل ما يعنيه كون المرء محافظاً هو السعي ليكون الأول، فلدي فكرة ثورية، ولكنها بسيطة، ستضمن لك أرباحاً أكبر، وقوة عاملة أكثر إنتاجاً، ولا مشاكل مع العمال.

إن المواطنين السود هم بشكل غير متكافئ المواطنون الأشد فقراً من بيننا. ومع ذلك، بدون قيامهم بالأعمال الشاقة، كان المجتمع الأبيض سيصبح مشلولاً. أتريدهم أن يعملوا بمثابرة أكثر؟ أتريدهم أن يساعدوك في جني المزيد من الأموال؟

إليك ما أنت بحاجة لأن تفعله:

تأكد من أن الأجر الذي تدفعه إلى مستخدميك كاف لهم لكي يملكوا بيتهم الخاص، ويكون لديهم وسائط نقل موثوقة، ويأخذوا عطلة، ويرسلوا أولادهم إلى الجامعة.

كيف ستزداد نقودك من جراء دفع المزيد من النقود إلى الناس؟

إنها تعمل على هذا النحو. كلما دفعت أكثر إلى عمالك، كلما أنفقوا أكثر.

تذكّر، إنهم ليسوا مجرد عمالك – إنهم مستهلكون منتجاتك أيضاً. وكلما أنفقوا مالهم الإضافي على شراء منتجاتك، كلما ازدادت أرباحك. إضافة إلى ذلك، عندما يملك المستخدَمون ما يكفي من المال بحيث لا يضطرون معه للعيش والخوف من الإفلاس يلازمهم دوماً، فعندئذ سيكونون قادرين على التركيز أكثر على عملهم – وسيكونون أكثر إنتاجاً أيضاً. مع مشاكل شخصية أقل وضغط جاثم على صدورهم أقل، سيهدرون في عملهم وقتاً أقل، مما يعني أرباحاً أكثر لك. ادفع لهم ما يكفي ليتمكنوا من شراء سيارة قديمة (مثلاً، واحدة تعمل)، ونادراً ما سيتأخرون عن العمل. إن علمهم بأنهم سيكونون قادرين على تأمين حياة أفضل لأولادهم، لن يعزز فقط من موقفهم الإيجابي، وإنما سيعطيهم الأمل أيضاً – والدافع لتقديم أفضل ما عندهم للشركة، وذلك لأنه كلما تحسن وضع الشركة، تحسن معه وضعهم.

بالتأكيد، إذا كنت كالكثير من الشركات في هذه الأيام – تعلن تسريح أعداد ضخمة مباشرة بعد تسجيل أرباح قياسية – فإنك بذلك تقتل الثقة والطمأنينة في بقية عمالك الذين سيقومون بوظائفهم في حالة من الخوف. ستسقط القدرة الإنتاجية، وذلك سيؤذي مبيعاتك، وستدخل في المعاناة. اسأل الناس في شركة فايرستون. لقد ادعت شركة فورد بأن شركة الإطارات طردت عمالها النقابيين منذ مدة طويلة، ثم جلبت عمالاً غير مدربين يعملون بأجور أدنى منهم ونتج عنك ذلك الآلاف من الإطارات ذات العيوب – و203 قتلى من الزبائن لاحقاً، فايرستون في المرحاض الآن.

افتح مركزاً للعناية النهارية في موقع العمل للعاملين الذين يملكون أطفالاً من عمر السنتين حتى الخمس سنوات.

الآن أستطيع أن أسمع أول ردة فعل لك حتى الآن: "من المستحيل أن أضع مجموعة من الأطفال المزعجين ليركضوا حولي هنا – هذا مكان عمل! أنا أتفهم ذلك. أولئك الصغار قد يسببوا إرباكاً كبيراً، وخاصة عندما تكون تحاول إنهاء

صفقة كبيرة مع ذلك المصرف الألماني فإذا بذلك الولد الصغير يندفع مسرعاً بجانبك جاراً ورائه لعبة من شعرها.

ولكن، هناك إرباك أعظم منه يجب أخذه بعين لاعتبار: إذا أنفق مستخدموك كل وقتهم في العمل وهم قلقين على أولادهم، فلن يكونوا منتجين كما ينبغي. الآباء سيقلقون دائماً على أولادهم أكثر من أعمالهم. إنها الطبيعة البشرية. والآباء العازبون؟ ليس عندهم من يساعدهم. عندما يكون شخص ما بحاجة للانصراف بسرعة من العمل لكي يأخذ طفله المريض من الحاضنة التي ترعاه، أو بحاجة لأن ينطلق بسرعة خاطفة في الثانية التي تدق فيها الساعة الخامسة لأن مركز الرعاية النهارية يفرض غرامة على المتأخرين في أخذ أولادهم، فلن يكون لديه خياراً آخر غير قطع عمله.

تخيل لو لم يكن عمالك مضطرين لإنفاق الوقت في القلق على أطفالهم، وبدلاً من ذلك يركزون 100 بالمائة على صنع المال لك؟ لو أنهم فقط غير مضطرين للغياب عن عملهم لمجرد أن حاضنة الأولاد قد غلبها النوم، وبدلاً من ذلك يقضون كل النهار في صنع المال لك؟

لن يكلف إنشاء مركز للرعاية النهارية في موقع العمل ذلك المبلغ الكبير – ومعظم الآباء سيكونون مستعدين لمشاركتك في التكلفة إذا كان ذلك سينقذهم من القلق على أطفالهم. فكّر كم سيكون عمالك مطمئنين، عندما يعلمون بأن أطفالهم آمنون مؤمّنون – وقريبون! يا رجل، بذلك ستشد من عزيمتهم!

تفسير: المزيد من النقود لك!!

أمّن ضماناً جيداً للعناية الصحية للجميع، وأعط العمال ما يكفي من الأيام المرضية مدفوعة الأجر.

هل أنا بحاجة لأشرح هذه أيضاً؟ كم من الفعّالية والمقدرة يُضحّى بهما سنوياً بواسطة عمال يأتون إلى العمل مرضى لأنهم لا يستطيعون تأمين نفقة الذهاب إلى الطبيب أو يتجنبون فعل ذلك إلى أن يقتربوا من حافة الانهيار؟ ومع

عدم وجود خيار آخر، يجلبون فيروساتهم معهم – وينقلون العدوى لكل شخص في طريقهم. ولهذا، فمن الأربح لك أن تدفع التأمين الصحي لعمالك، وذلك حتى يشفوا أسرع ويبدؤوا بزيادة جهدهم من أجلك ثانية. القوة العاملة الصحية هي قوة عاملة منتجة. مع التأمين الصحي، لن يكلف الأمر أكثر من فترة بعض ظهر لمرة واحدة من أجل زيارة الطبيب وإجراء تشخيص سريع ووصفة دواء، وانظر! عاد إلى العمل في ظرف يومين فقط، بدلاً من البقاء في البيت لأسبوع أو اثنين منتظراً زوال المرض.

والخبر الجيد هو أن كل ما ذُكر أعلاه يصب في صالح أهم مبادئك – لا حاجة للبيرالية التي تستنزف القلب وتستنفذ النقود. يمكنك البقاء رجعياً وجشعاً قدر ما تشاء، فذلك لا يعنيني. أما إذا كان ذلك يعني أن الحياة ستصبح أفضل لبعض من ملايين الأميركيين الأفارقة الذين يعملون أعمالاً شاقة مقابل أجور قليلة، وأرباح هزيلة، وبدون تأمين، عندئذ سأكون سعيداً.

3. لا تشترِ مسدساً

ماذا يعني أن تملك سلاحاً في البيت؟ إذا كان من أجل الصيد، فذلك أمر بسيط: أبقِ بندقيتك فارغة من الرصاص ومقفول عليها في العلّية حتى موسم الصيد.

أما إذا كنت ستشتري مسدساً للحماية، فدعني أقدم لك بعض الإحصاءات. إن احتمال موت أحد أفراد عائلتك بسبب عيار ناري أكبر باثنين وعشرين مرة إذا كنت تملك سلاحاً في البيت منه إذا لم تكن تملك واحداً في البيت.

إن الفكرة التي تقول بأن امتلاك سلاح هو الطريقة الوحيدة للتأكد من "حماية البيت" هي خرافة. أقل من 1 من 4 من الجرائم العنيفة تُرتكب عندما تكون الضحية في البيت. ومن بين كل الأمثلة التي أُطلق فيها النار أثناء الاقتحام وكان المالك في البيت، 2 بالمائة فقط من هذه الأسلحة استُخدمت لإطلاق النار

على المفتحم. والـ 98 بالمائة الباقية، أطلق فيها الساكنون النار خطأً إما على شخص عزيز أو على أنفسهم – أو أن اللص أخذ منهم السلاح وقتلهم به.

ومع ذلك، فنحن نملك ما يقارب ربع مليار سلاح في بيوتنا.

تُشترى الغالبية العظمى من الأسلحة في أميركا وتُقتنى – أي، تُقدَّم إلى المجتمع – من قبل أشخاص بيض. في كل سنة، يُسرق حوالى 500,000 سلاح معظمها من أولئك الأشخاص البيض أنفسهم في الضواحي. والغالبية العظمى من تلك الأسلحة المسروقة ينتهي بها المطاف داخل المدينة، وتُباع بثمن زهيد أو تُقايض ببضائع أو خدمات قانونية أو غير قانونية.

لقد سببت هذه الأسلحة البيضاء قدراً هائلاً من الموت والمعاناة بين الأميركيين الأفارقة. الأعيرة النارية هي السبب الأول للموت بين الشباب السود. إن الشباب السود التي تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والرابعة والعشرين هم أكثر عرضة للموت بالرصاص بحوالى ست مرات من نفس الفئة العمرية عند الشباب البيض.

لا يوجد أميركي أفريقي يملك شركة أسلحة. تجول عبر الجزء الذي يعيش فيه الأميركيين الأفارقة في مدينتك، ولن تجد هناك معامل للأسلحة. عند أسعار تتأرجح بين عدة مئات وعدة آلاف من الدولارات، لن يتمكن معظم الأميركيين الأفارقة من شراء مسدس من نوع غلوك، أو بيريتا، أو لوغر، أو كولت، أو سميث آند ويسون. ولا يوجد شخص أسود يملك طائرة تهرّب أسلحة أوتوماتيكية إلى البلاد.

كل ذلك يجري بواسطة البيض. ولكن عاجلاً أو آجلاً، ستؤول هذه الأسلحة المشتراة بشكل قانوني إلى أيدي أولئك الأشخاص اليائسين الذين يعيشون في الفقر، والذين يعيشون في مخاوفهم الخاصة. إن تقديم الأسلحة إلى هذه البيئة القابلة للانفجار – الوضع الذي لم نفعل نحن البيض الكثير لتحسينه – هو عرض مميت.

لذا، إذا كنت أبيضاً، وتود المساعدة في تخفيض السبب رقم واحد في الموت بين الشباب السود، إليك الجواب: لا تشترِ سلاحاً. لا تحتفظ بسلاح في بيتك أو سيارتك. عدم حيازة أسلحة يعني عدم وجود أسلحة مسروقة لتباع ثانية إلى الأحياء السوداء الفقيرة. عندئذ ستكون احتمالات الجريمة، في أي مكان تعيش فيه، في أدنى مستوياتها على الإطلاق. إذا كنت مهتماً حقاً بمسألة حمايتك الشخصية، احصل على كلب، فالأشرار عادة لا يريدون المصارعة مع حيوان نبّاح مسعور بأسنان حادة.

لست بحاجة إلى سلاح.

4. دع كل "الهم" التحرري للأشخاص السود

حقاً، إن السود يعرفوننا تمام المعرفة. إنهم يعلمون بأننا نقول ونفعل أشياء لنجعل الأمر يبدو وكأن هناك تقدماً قد حصل. إنهم يروننا نعمل بجد لنُظهر كم نحن غير مغرضين. دعك من هذا، فنحن لم نحرز أي تقدم. إننا مازلنا متعصبين – وهم يعرفون ذلك.

دعك من كل الكلام الفارغ عن "أصدقائك السود". أنت لا تملك أصدقاء سود، فالصديق هو شخص تدعوه إلى العشاء باستمرار، شخص تذهب معه في إجازة، شخص تطلب منه حضور حفلة زفافك، شخص تذهب معه إلى الكنيسة يوم الأحد، شخص تتصل به دائماً ليشاركك معظم أسرارك الحميمة. ذلك هو الصديق.

يعلم أصدقاؤك السود بأن احتمال أن تترك طفلك الصغير معهم في حيهم في المدينة حين تذهب برحلة في عطلة نهاية الأسبوع هو تماماً نفس احتمال عودتهم لمرافقتك في رحلتك.

لقد سمعت بعض الليبراليين يقولون أشياء غبية مثل، "في الصداقة، لا وجود لأشخاص سود." وأنا أفضلها أن تكون: في الصداقة، لا وجود لأصدقاء

سود، لأنه في الحياة الواقعية، أصدقاء كهؤلاء لا يملكون أصدقاء سود. يا له من استعراض صادق، قابل للتصديق.

إذاً لندع جانباً تلك الخدعة التي تقول بأن البيض والسود هم جزء من ذلك المجتمع المتعدد الثقافات الذي ندعوه أميركا، فنحن نعيش في عالمنا، وهم يعيشون في عالمهم. لقد تربينا على ذلك ونحن مرتاحين على هذا النحو، سواء أعجبك أم لم يعجبك. لن يكون هذا الأمر سيئاً إلى هذا الحد لو أن عالمهم موجود على مستوىً موازٍ اجتماعياً ومادياً. ولو أنه كذلك، عندئذ سنختلط ونمتزج بالطريقة التي نراها مناسبة – كأنداد، بنفس الطريقة التي نتعامل فيها مع الأشخاص البيض الآخرين. على سبيل المثال، أنا لا أرغب كثيراً بالعيش مع الجمهوريين الشباب. وذلك حسن، لأنهم سيكونون على أحسن حال بدوني، وقراري بعدم مرافقتهم لا يؤثر في مستوى معيشتهم أو نوعية حياتهم. (في الواقع، ربما يحسنها).

أليس من الأفضل لنا أن لا نضحك على بعضنا بخدعة أن الأميركيين الأفارقة أصبحوا أخيراً جزءاً من الجو العام السائد؟ أليس من الأدهى أن نرفع الستار عن الأمل المزيف الذي أعطيناه للأميركيين الأفارقة، حتى لا نضيّع أي وقت في خداع أنفسنا؟ في المرة القادمة التي تتحدث فيها إلى أحد "أصدقائك السود،" بدلاً من إخباره كم أنت مستاء من آخر أسطوانة لجاي زد، لم لا تضع ذراعك على كتفه وتقول، "أنا أحبك، يا أخي، تعرف ذلك، ولهذا السبب سأخبرك سراً صغيراً نملكه نحن البيض: إن قومك لن يعيشوا أبداً مثل الحياة التي نعيشها نحن. وإذا كنت تعتقد بأن الاجتهاد والمثابرة ومحاولة التأقلم سيجعلونك تحصل على مقعد في مجلس الإدارة عندما نكون قد ملأنا مسبقاً مقعدنا الأسود – حسناً، يا صديقي، إذا كان المساواة والتقدم هما ما تبحث عنه، لم لا تجرب السويد".

حالما نبدأ بالتكلم على هذا النحو، سنكون عندئذ كلنا نعيش في مجتمع صادق ونزيه.

5. انظر في المرآة

إذا كنت أبيضاً، وتريد فعلاً أن تساعد في تغيير الأمور، لم لا تبدأ بنفسك؟ تحدّث لبعض الوقت مع أصدقائك البيض بشأن ما يمكنكم فعله لجعل العالم أفضل بقليل للبيض والأميركيين الأفارقة على حد سواء. أوقف أول شخص أبيض تسمعه يدلي بتعليق عنصري أحمق وقوّمه. أقلع عن نحيبك فيما يتعلق بالعمل الإيجابي. لن يدمر أي شخص أسود حياتك بحصوله على الوظيفة التي تستحقها". سيُفتح الباب دائماً لك. واجبك الوحيد هو أن تبقيه مفتوحاً لأولئك الذين يملكون فرصة أقل منك لمجرد أنهم ليسو بيضاً.

6. لا تتزوج من بيضاء

إذا كنت أبيضاً ولا تحبذ أياً من الأفكار أعلاه، أو تعتقد بأنها غير عملية، إذاً هناك دائماً طريقة واحدة موثوقة لكي تساعد في تكوين عالم أعمى الألوان – تزوج، أو تزوجي، من شخص أسود وأنجبا أولاداً! سيعطينا تزاوج البيض مع السود في نهاية المطاف أمة ذات لون واحد. (والإسبان والآسيويون يمكنهم ممارسة نفس اللعبة أيضاً!) من أبوك؟ الجميع!

وعندما نصبح جميعاً بلون واحد، لن يكون لدينا شيء نكره بعضنا لأجله – باستثناء ذاك الذي علق عند مكتب الاستقبال اللعين.

نصائح للبقاء على قيد الحياة للأشخاص السود

1. القيادة وأنت أسود

* اجعل من نفسك هدفاً أقل عرضة للاعتقال بدفاع الغريزة العنصرية عن طريق وضع لعبة بيضاء بالحجم الطبيعي في مقعد الركاب. ربما سيعتقد

رجال الشرطة بأنك سائق ويدعوك بسلام.

* حاول ألا تجذب أي انتباه إضافي إلى نفسك حينما تقود وأنت أسود. أبقِ يديك على المقود في الوضع التقليدي (10 و2). اربط حزام مقعدك؛ في الحقيقة، اربط كل أحزمة المقاعد، أكان معك أحد في السيارة أم لم يكن. أزل أي لاصقة، تلك التي تلصق على مصد السيارة، تقول "زمّر إذا كنت أسوداً أيضاً!"؛ واستبدلها بـ "أنا ♥ الهوكي!".
* تجنب استئجار أو قيادة أي سيارة تحمل لوحات رخصة من نيوهامبشاير، أو يوتا، أو ماين – هذه الولايات عملياً ليس لديها أي سكان سود، وذلك سيعطي بالتأكيد انطباعاً بأنك تقود سيارة مسروقة و/أو تهرّب المخدرات و/أو تحمل أسلحة. في فكرة ثانية، ستقوم الشرطة بنفس الافتراضات بشأن السائقين السود في الولايات التي تملك أعداداً كبيرة من السود. الفكرة الأفضل: استقل الباص.

2. التسوق وأنت أسود

* إذا كنت تريد تجنب ملاحقتك بوساطة مالكي المحلات الذين يفترضون بأنك ستسرق من المحل أو ستصوب مسدساً على رؤوسهم بينما تفرغ درج النقود، فالحل بسيط: التسوق بواسطة الكتالوجات أو الإنترنت! وأجمل ما في الأمر أنك لن تكون بحاجة لمغادرة رفاهيات بيتك – أو الانتظار طويلاً لإيجاد مكان تركن فيه سيارتك في مجمع التسوق!
* إذا كان لا بد لك أن تدخل إلى متجر، حباً بالله اترك رداءك في الخارج! فكل تلك الجيوب ستُفتّش في نهاية جولتك بحثاً عن السلع المسروقة – كأنك بذلك تسعى لاعتقالك. ولا حاجة للقول بأن تحل رباط محفظتك، وأكياس التسوق، وصرة الظهر. والأفضل من ذلك أيضاً أن تتسوق وأنت عارٍ. بالتأكيد قد تتعرض للتفتيش في فجوات الجسم، ولكنه ثمن زهيد عليك دفعه مقابل حقك الذي أعطاه الله لك كشخص أسود بشراء الحاجيات والمساهمة

ببعض من 572 مليار دولار الموجودة في جيوبكم التي تذهب إلى الاقتصاد الأبيض سنوياً.

3. التصويت وأنت أسود

* بما أن البيض سلبونا انتخابنا بواسطة تأكدهم من إرسال كل ماكينات التصويت القديمة والمعطوبة إلى دوائر انتخاب السود في المدينة، لا تغادر مكان الاقتراع ما لم ترَ بعينك بطاقة اقتراعك وقد عُلّمت بالطريقة التي كنت تقصد أن تعلمها ووُضعت في صندوق الاقتراع المقفول. وإذا كنت تستخدم ماكينة تصويت، اطلب من عامل التصويت أن يفحص الماكينة بعد تصويتك للتأكد من أن صوتك قد حُسب.

أحضر أي أداة تعتقد بأنك قد تحتاجها لكي ترى بأن صوتك قد سُجّل: قلم رصاص رقم 2، قلم تعليم أسود، إبرة حياكة (للتأكد من أنك تثقب المواضع المخصصة للتخريم حتى الخارج)، كماشة، بقية الأدوات المهنية الأخرى، عدسة مكبّرة، نسخة عن قوانين الانتخاب المحلية، نسخة عن بطاقة تسجيلك الانتخابية، نسخة عن شهادة ميلادك، سجلك المدرسي في الصف الثاني، أي دليل آخر على أنك مازلت على قيد الحياة، كاميرا لتسجيل أي شيء مضحك، مراسلة محلية لتريها بأنك لم تكن تمزح عندما قلت بأن مكان اقتراعك قد شُحن إلى هنا من بوليفيا، شريط لاصق، خيط، شمع البرافين، المُشْعِل بنسون، مزيل للبقع، محامٍ، وزير، قاضٍ في المحكمة العليا. صف كل هؤلاء الأعزاء في صف واحد، وسيكون لديك نصف فرصة بأن صوتك سيُعد.

* في انتخابات العام 2002، صوّت للمرشح الديمقراطي أو للمرشح الأخضر (حزب حماية البيئة). إذا غيّرت خمسة مقاعد فقط أيديها الحزبية لصالح الديمقراطيين، فلن يسيطر الديمقراطيون على المجلس فقط، ولكن عبر الأولوية فإن تسعة عشر نائباً ونائبة سوداء سيصبحون رؤساء للجنتهم البرلمانية الرئيسية أو الفرعية. تسعة عشر! إنه استيلاء على

مجلس النواب! (في الأمكنة التي يملك فيها مرشحو الحزب الأخضر فرصة الفوز، أو في المقاطعات التي يتصرف فيها الديمقراطي كالجمهوري، سيتعاون النائب المنتخب عن الحزب الأخضر مع الديمقراطيين لتشكيل أغلبية.) لا تخبر الكثير من البيض عن هذه النصيحة – قد تروعهم فكرة "الكونغرس الأسود".

4. الضحك وأنت أسود

* استرجع تلك اللافتات التي كان يُكتب عليها "للبيض فقط" في الخمسينيات. وعندما تجد بأنه ليس هناك أحد ينظر إليك، ضعها على أبواب المحلات التجارية التي لا تستخدم السود.
* بلا مبالاة ضع واحدة منها على مقعد في الصف الأول من الدرجة الأولى في المرة القادمة التي تصعد فيها إلى طائرة.
* علّق واحدة على المكتب الأمامي لأي فريق في الدوري، أو في مكان من المقاعد المفضلة في أي لعبة في كرة السلة.
* ازرع واحدة في مرج المحكمة العليا للولايات المتحدة، وعندما يمر كلارينس توماس بجانبها، فقط ابرم يديك وقل له، "ماذا؟"

تصاعدة

مقتطفة من مرسوم حقوق التصويت الفدرالية
لعام 1965 (مناسبة للتجليد والحمل في محفظتك)

المقطع 2: لن يُفرض أو يُطبّق أي أحقية للتصويت أو شرط، أو معيار، أو ممارسة، أو إجراء يتعلق بالتصويت على أي ولاية أو دائرة فرعية سياسية من شأنه أن ينكر أو يحرم حق أي مواطن من مواطني الولايات المتحدة في التصويت على أساس العرق أو اللون.

5. التنفس وأنت أسود

ربما قد تصل إلى النقطة التي لا تستطيع معها التحمل أكثر من ذلك – المضايقة المستمرة، التمييز، الاستياء، الإحساس المطلق بأنك لا تنتمي إلى أمة تتعصب متجذّر فيها. ربما ستشعر فقط بأنه قد حان الوقت للخروج والانتقال إلى مكان لا يجعل لونك الأسود منك أقلية – مكان تشعر فيه بأنه وطنك.

أفريقيا؟ من الأفضل أن تعيد التفكير ثانية.

إليك ما تقوله منظمة العفو الدولية عن أفريقيا: "صراع مسلح، تهجير جماعي للناس، تعذيب، إساءة معاملة وإفلات من العقوبة ما تزال سائدة في منطقة أفريقيا." و52 بالمائة من الناس في القسم الواقع إلى الجنوب من المنطقة الصحراوية من أفريقيا ما يزالون يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم. في العام 1998، بلغ الإنفاق الشهري للفرد 14 دولاراً فقط. ذلك أسوأ من العيش في ديترويت.

يبلغ متوسط العمر في المنطقة، في أحس الأحوال، سبعة وخمسين عاماً – إذا كنت تعيش في غانا. ولكنك إذا كنت عالقاً في موزمبيق، فستعيش حتى سن السابعة والثلاثين.

أضف إلى ذلك حالات الجفاف والمجاعة التي لا تنتهي على ما يبدو والنسبة الساحقة لحالات الإصابة (والموت) بالإيدز في العالم.

تقترح آمي ماكامبل، واحدة من الأميركيين الأفارقة العديدين الذين استخدمتهم منذ بدأت بكتابة هذا الفصل (خمسة من أصل آخر خمسة مستخدمين كانوا من السود – هاي، أنا لا أمزح هنا!)، مكاناً واحداً لكي يذهب إليه أولئك الذين يريدون العودة إلى "جذورهم السوداء" – منطقة الكاريبي! تقول آمي: "ما رأيك ببارباروس؟ إنها نعيم استوائي؛ الناس مسالمون، والجريمة غير موجودة. ومتوسط العمر المتوقع يصل حتى السبعينيات. وثمانون بالمائة من عدد السكان

من الأفارقة، وهكذا ستشعر بأنك في وطنك. حتى أنهم يتكلمون الإنكليزية! وإليك الجزء العجيب – سيكون علينا أن ندعو الملكة إليزابيث رئيسة دولتنا!".

يبدو شيئاً جميلاً، ها؟

وسيكون الوضع أجمل، مع ذلك، إذا تمكنا من جعل آمي وغيرها يشعرون بأنهم في وطنهم هنا حيث وُلدوا. أنا منفتح لتلقي الاقتراحات...

الفصل الخامس

الأمة الغبية

هل تشعر بأنك تعيش في أمة من الأغبياء؟

اعتقدت أن أعاني نقصي لحالة الغباء المنتشرة في هذه البلاد بواسطة تزداد ما يلي على نفسي؛ حتى لو كان هناك مائتي مليون غبي بشكل مطلق في هذه البلد، فذلك يبقى على "الأقل تسعين مليونا سيفهمون ما أقوله وهذا يبقى أكثر من عدد سكان المملكة المتحدة وإيسلندا!

ثم جاء اليوم الذي وجدت فيه نفسي أتشاطر نفس المكتب مع البرنامج "الرفيعي مسابقة "الدقيقين" التي كانت تبثه شبكة NSPN. إنه البرنامج الذي يختبر معلوماتك ليس فقط في مزيج ذلك معركة ذلك الفريق، وإنما من الذي سجل في المباراة التي جرت في العام 1925 بين فريقي نوسطن ونيويورك، ومن كان البلدي آنذاك في نفس العام في ولاية القديم للكرة السلة الأميركية، وماذا أكل جايك وود في طعام بضارة في صيف 12 أيار، 1967.

لا أعلم جواب أي من تلك الأسئلة . ولكن لسبب ما لا زلت أذكر حقاً الرقم الذي كان يحمله جايك وود؛ لا لماذا أذكر هذه الواقعة التافهة؟

لا أدري، ولكن بعد مراقبة تلك الحشود المتلهفة من أجل إجراء تجربة الظهور في برنامج NSPN، أعتقد بأنني أعرف شيئاً عن الذكاء وتحقق الأميركيين. مجموع من أولئك المشجعين الرياضيين والمغفلين غصن بعد زوائد وهم ينتظرون لحظتهم الكبيرة، تحتشد في رؤوسهم المئات من الوقائع والإحصاءات ويتحدون بعضهم بأسئلة لا أستطيع أن أفهم لماذا يستطيع أي

شخص الإجابة عليها. عندما تنظر إلى أولئك الرجال المحمّلين بالتستوستيرون ستعتقد بأنهم كانوا مجموعة من الأميين الذين سيكونون محظوظين لو تمكنوا من قراءة البطاقة الملصقة على برعم صغير.

في الواقع إنهم عباقرة. إنهم يستطيعون الإجابة على كل الأسئلة التافهة المبهمة الثلاثين في أقل من 120 ثانية. أي أربع ثوانٍ لكل سؤال – بما فيه الوقت الذي يستهلكه الرياضيون المشهورون بطيئو القراءة في طرح الأسئلة.

سمعت مرة الكاتب السياسي واللغوي نوام تشومسكي يقول بأنك إذا أردت دليلاً على عدم غباء الشعب الأميركي، افتح الراديو على أي برنامج حواري رياضي واصغِ إلى القدرة المذهلة على حفظ المعلومات. إنه شيء مدهش – وهو دليل على أن الذهن الأميركي ما يزال حياً وبحالة جيدة. ولكنه فقط لا يُختبر بأي شيء ممتع أو مثير. كان التحدي الذي نواجهه، يقول تشومسكي، يتمثل في إيجاد طريقة لجعل السياسة جذابة ومستحوذة للاهتمام كالرياضة. عندما نفعل ذلك، راقب كيف لن يفعل الأميركيون شيئاً سوى التحدث في من فعل ماذا إلى من في منظمة التجارة العالمية (WTO).

ولكن أولاً عليهم أن يكون قادرين على قراءة الأحرف WTO.

هناك أربعة وأربعون مليون أميركي لا يستطيعون القراءة فوق مستوى الصف الرابع – بكلمات أخرى، إنهم أميون عملياً.

كيف عرفت هذه المعلومة؟ حسناً، لقد قرأتها. والآن أنت قرأتها أيضاً. وهكذا فنحن قد استهلكنا الآن جزءاً من 99 ساعة في العام التي ينفقها الأميركي البالغ العادي في القراءة – بالمقارنة مع 1,460 ساعة في مشاهدة التلفزيون.

وقرأت أيضاً بأن 11 بالمائة من الشعب الأميركي ينزعجون من قراءة صحيفة يومية، باستثناء الصفحات المضحكة وإعلانات السيارات المستعملة.

إذاً، إذا كنت تعيش في بلد يوجد فيه أربعة وأربعون مليوناً لا يستطيعون القراءة – وربما إلى جانب مائتي مليون آخرين يستطيعون القراءة ولكنهم عادة

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

لا يقرأون – حسناً، يا أصدقائي، أنتم وأنا نعيش في مكان مخيف جداً. إن أمة لا تنتج فقط طلاباً أميين، ولكنها مصممة على البقاء جاهلة وغبية هي أمة لا يجب أن تحكم العالم – على الأقل ليس قبل أن تتمكن غالبية مواطنيها من تحديد كوسوفو (أو أي بلد آخر دمرته بالقنابل) على الخريطة.

لم يعد أمراً مستغرباً بالنسبة للأجانب أن "ينتخب" الأميركيون، الذين يجدون متعة بالغة في غبائهم، رئيساً نادراً ما يقرأ أي شيء – بما فيه أوراق أوامره أو معلوماته الخاصة – ويعتقد بأن أفريقيا دولة، وليست قارة. قائد غبي لأمة غبية. في بلد الوفرة المجيد هذا، القليل هو دائماً كثير عندما يتعلق الأمر بإرهاق أي جزء من أجزاء الدماغ بتخزين الوقائع والأرقام، أو بالتفكير الهام، أو استيعاب أي شيء غير... رياضي.

قائدنا لا يفعل أي شيء لإخفاء جهله – حتى أنه يتفاخر به. أثناء خطابه في حفلة التخرج في جامعة يال للعام 2001، تكلم جورج دبليو بوش بفخر عن كونه كان طالباً عادياً في يال. "وإلى طلاب الدرجة C (المتوسطين)، أقول بأنكم أنتم، أيضاً، يمكن أن تكونوا رؤساء للولايات المتحدة!" لابد أن الجزء المتعلق بحاجتك أيضاً إلى أب رئيس سابق، وأخ حاكم لولاية ببطاقات انتخاب مفقودة، ومحكمة عليا مليئة بأصدقاء والدك كان معقداً جداً لترهق نفسك به في خطاب قصير.

كأميركيين، لدينا تقليد يبعث على الفخر فعلاً بكوننا ممثلين بمسؤولين جهلة، ففي العام 1956، كان مرشح الرئيس دوايت آيزنهاور لمنصب سفيرنا في سيلان (سيريلانكا الآن) غير قادر على تسمية أي من رئيس وزرائها أو عاصمتها خلال جلسة استماع مجلس الشيوخ للموافقة عليه. ليست مشكلة – فقد صودق على ماكسويل غلاك على أي حال. وفي العام 1981، سلّم ويليام كلارك، مرشح الرئيس رونالد ريغان لمنصب نائب وزير الخارجية، بافتقاره الكبير للمعرفة بالشؤون الخارجية في جلسة الاستماع الخاصة بالتصديق عليه.

لم يكن لدى كلارك أدنى فكرة عن شعور حلفائنا في أوروبا الغربية لوجود قواعد للصواريخ الأميركية النووية هناك، ولم يعرف اسمي رئيسي وزراء خارجية جنوب أفريقيا أو زيمبابوي. لا داعي للقلق – فقد صودق عليه هو الآخر. كل هذا مهّد الطريق لبوش الصغير، الذي لم يهضم جيداً أسماء قادة الهند أو الباكستان، اثنتان من سبع دول تمتلك القنبلة النووية.

وبوش ذهب إلى يال وهارفرد.

مؤخراً أُعطي اختبار ذو خيارين لمجموعة من 556 متخرجاً من 55 جامعة أميركية هامة (مثل هارفرد، يال، ستانفورد). تألف الاختبار من أربعة وثلاثين سؤالاً وُصفت بأنها "بمستوى مدرسة ثانوية." لم يتمكن هؤلاء الطلاب المتفوقين من الإجابة إلا على 53 بالمائة من تلك الأسئلة بشكل صحيح، فيما تمكن واحد فقط من الإجابة عليها كلها.

40 بالمائة من هؤلاء الطلاب لم يعرفوا متى حدثت الحرب الأهلية – حتى مع إعطائهم مجموعة واسعة من الخيارات: A. 1750–1800؛ B. 1800–1850؛ C. 1850–1900؛ D. 1900–1950؛ أوE. بعد 1950. (الجواب هو C يا شباب.) سؤالان سجل هؤلاء المتخرجون عليهما أعلى نسبة للإجابات الصحيحة هما (1) من هو الكلب سنوب دوغي دوغ؟ (98 بالمائة أجابوا عليه بشكل صحيح)، و(2) من هما بيفيز وبات هيد؟ (99 بالمائة عرفوا الإجابة.) بالنسبة لي شخصياً، كانت أفلام الكرتون بيفيز وبات هيد تمثل بعضاً من أفضل الأعمال الهجائية النقدية الأميركية في التسعينيات، وسنوب وأصدقاؤه راقصو الراب يملكون الكثير ليقولوه عن الأمراض الاجتماعية في أميركا، لذا، فلن أؤيد إلقاء اللوم على محطة MTV.

ما يهمني هو لماذا يريد سياسيون من أمثال السيناتور جو ليبرمان من كونيكتكت والسيناتور هيربرت كول من ويسكونسن النيل من MTV في حين أنهما المسؤولان عن الفشل الذريع للتعليم الأميركي. تمشّى في أي مدرسة

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

رسمية، والاحتمالات ستكون كبيرة جداً في أنك ستجد صفوفاً مدرسية مكتظة، وسقوفاً راشحة، وأساتذة منحلين خلقياً. في 1 من 4 مدارس ستجد الطلاب "يتعلمون" في كتب مدرسية صدرت في الثمانينيات – أو قبل.

تصاعدي تنازلي

قائمة بقادة أكبر خمسين دولة

(حسب حجم الدولة)

1. الصين

الرئيس جيانغ زيمين.

2. الهند

الرئيس كوشيريل رامان نارايانان.

3. الولايات المتحدة

"الرئيس" جورج دبليو بوش.

4. إندونيسيا

الرئيسة ماغاواتي سوكارنوبوتري.

5. البرازيل

الرئيس فرناندو إنريكه كاردوزو.

6. روسيا

الرئيس فلاديمير بوتين.

7. الباكستان

العقيد برويز مشرّف.

8. بنغلادش.

الرئيس شهاب الدين أحمد.

9. اليابان

رئيس الوزراء جونيشيرو كويزومي.

10. نيجيريا

الرئيس أولوسيغون أوباسانجو.

11. المكسيك

الرئيس فيسنتي فوكس كويسادا.

12. ألمانيا

المستشار غيرهارد شرويدر.

13. الفلبين

الرئيسة غلوريا ماكاباغال أرويو.

14. فيتنام

الرئيس تران دوك لونغ.

15. مصر

الرئيس محمد حسني مبارك.

16. تركيا

الرئيس أحمد نجدت سيزر.

17. إيران

آية الله علي حسيني خامنئي.

الرئيس محمد خاتمي.

18. إثيوبيا

الرئيس نيغاسو جيدادا.	الرئيس فرناندو دي لا روا.
19. تايلاند	32. تنزانيا
رئيس الوزراء ثاكسين تشيناوات.	الرئيس بنجامين ويليام مّكابا.
20. المملكة المتحدة	33. السودان
رئيس الوزراء أنتوني بلير.	الرئيس الفريق عمر البشير.
21. فرنسا	34. كندا
الرئيس جاك شيراك.	رئيس الوزراء جان كريتيان.
22. إيطاليا	35. الجزائر
رئيس الوزراء سيلفيو بيرليسكوني.	الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.
23. الكونغو (كنشاسا)	36. كينيا
الرئيس جوزيف كابيلا.	الرئيس دانييل أراب موا.
24. أوكرانيا	37. المغرب
الرئيس ليونيد دي كوشما.	رئيس الوزراء عبد الرحمن يوسفي.
25. كوريا الجنوبية	38. البيرو
الرئيس كيم داي جونغ.	الرئيس أليخاندرو توليدو.
26. جنوب أفريقيا	39. أفغانستان
الرئيس ثابو مْبيكي.	المنلا محمد رابارى.
27. بورما	40. أوزباكستان
رئيس الوزراء ثان شو.	الرئيس إسلام كاريموف.
28. إسبانيا	41. نيبال
الرئيس خوسيه ماريا أزنار.	الملك جيانيندرا، رئيس الوزراء
29. كولومبيا	شير باهادور ديربا.
الرئيس أندريه باسترانا.	42. فنزويلا
30. بولونيا	الرئيس هوغو شافيز فرياس.
الرئيس ألكسندر كوازنيوسكي.	43. أوغندا
31. الأرجنتين	الرئيس الفريق يويري موسيفيني.

44. العراق	الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.
الرئيس صدام حسين.	48. ماليزيا
45. رومانيا	رئيس الوزراء الدكتور مهاتير بن محمد.
الرئيس إيون إيليسكو.	49. كوريا الشمالية
46. تايوان	الرئيس كيم جونغ إيل.
الرئيس تشين تشوي بيان.	50. غانا
47. السعودية	الرئيس جون أجيكوم كوفور.

لماذا يحصل ذلك؟ لأن القادة السياسيين – والشعب الذي يصوت لهم– قد قرروا بأن بناء قاذفة أخرى تحتل مرتبة أهم في سلم الأولويات من تعليم أطفالنا. إنهم يفضلون عقد جلسات استماع عن فساد برنامج تلفزيوني يدعى المغفَّل أكثر من عقد جلسات عن فسادهم هم في إهمال مدارسنا وأولادنا والمحافظة على لقبنا كأغبى بلد على الأرض.

أكره كتابة هذه الكلمات. أنا أحب الكبرياء المصطنع لهذا البلد والناس المجانين فيه. ولكن عندما أسافر إلى قرية متخلفة في أميركا الوسطى، كما فعلت في الثمانينيات، وأستمع إلى مجموعة من الأولاد في الثانية عشرة من عمرهم يخبرونني عن قلقهم بشأن البنك الدولي، ينتابني شعور بأن هناك شيء ينقص الولايات المتحدة الأميركية.

لا تكمن مشكلتنا فقط في أن أطفالنا لا يعرفون شيئاً أبداً سوى أن البالغين الذين يدفعون رسوم تعليمهم ليسوا أفضل حالاً منهم. أتساءل ماذا سيحدث إذا اختبرنا الكونغرس في الولايات المتحدة لنرى فقط كم يعلم ممثلونا. ماذا لو أجرينا امتحاناً موجزاً لمعلقي الأخبار الذين يتخمون تلفزيوناتنا وإذاعاتنا بكل تفاهاتهم التي لا تتوقف؟ كم عدد الإجابات الصحيحة التي سيحصلون عليها؟

منذ فترة، قررت أن اكتشف الأمر. كان ذلك في أحد صباحات يوم الأحد

عندما كان الاختيار في التلفزيون إما "برنامج استعراض ممتلكات الأوطان" أو "مجموعة ماكلافلين." من المؤكد بأنك إذا كنت تحب صوت الضباع بعد جرعة من المنبه العصبي ديكسيدرين، فستختار ماكلافلين حتماً. في يوم الأحد هذا بالضبط، ربما كعقاب على عدم حضوري القداس، كنت مرغماً على الاستماع إلى فريد بارنيس، كاتب عمود في مجلة (الآن هو محرر في الصحيفة اليمينية ويكلي ستاندارد ويشارك في تقديم برنامج في محطة فوكس نيوز هو "الأولاد محدودو الفكر")، وهو ينتحب ويبكي للحالة المؤسفة التي آل إليها التعليم الأميركي، ملقياً اللوم في سوء حال الطلاب على المدرسين ونقابتهم الشريرة.

"هؤلاء الأولاد لا يعرفون حتى ما هما الإلياذة والأوديسا!" قال بصوت عالٍ، فيما أومأ المشترك الآخر في البرنامج برأسه إعجاباً بعويل فريد النبيل.

في صباح اليوم التالي، اتصلت بفريد بارنيس في مكتبه في واشنطن. "فريد،" قلت له، "أخبرني ما هما الإلياذة والأوديسا؟"

بدأ يتنحنح ويلف ويدور. "حسناً، هما... إه... أنت تعلم... أوه... حسناً، لا بأس، لقد أوقعت بي – أنا لا أعرف ما هما. هل أنت سعيد الآن؟"

لا، ليس تماماً. أنت واحد من كبار المعلمين في التلفزيون في أميركا، تُشاهَد أسبوعياً في برنامجك الخاص وفي العديد من البرامج الأخرى. تتبجح بسعادة "بحكمتك" أمام مئات الآلاف من المواطنين الغافلين، وتحتقر الآخرين على جهلهم، وأنت وضيوفك لا تعلمون إلا القليل، إن كنتم تعلمون شيئاً في الأساس. كن ناضجاً، واجلب بعض الكتب واذهب إلى غرفتك.

يال وهارفرد. برينستون ودارتموث. ستانفورد وبيركلي. ما عليك إلا أن تحصل على شهادة من تلك الجامعات، وتصبح مستعداً للحياة. وماذا إذا لم يسمع 70 بالمائة من أولئك الطلاب، في ذلك الاختبار على الطلاب المتخرجين الذي ذكرته سابقاً، في تلك المدارس الراقية أبداً عن قانون حقوق التصويت أو عن حقوق المجتمع العظيم للرئيس ليندون جونسون؟ من بحاجة لمعرفة شيء من

هذا القبيل وأنت جالس في فيلتك في توسكانيا تراقب غروب الشمس وتتحقق من سنداتك المالية كيف أبلت اليوم؟

أيام هامة في التاريخ

19 حزيران، 1865: "عيد التاسع عشر من حزيران (Juneteenth)." بالرغم من أن إعلان الإعتاق من العبودية قد حرر العبيد قبل سنتين من هذا الموعد، إلا أن الكلمة لم تصل إلى كل الناس في الجنوب. في هذا اليوم في غالفيستون، تكساس، وصل جنرال من الاتحاد وأبلغ العبيد رسمياً بحريتهم.

29 كانون الأول، 1890: مذبحة في ووندید ني. أرسلت قوات الولايات المتحدة، كجزء من جهد أخير لقمع العصيان الهندي الأحمر الوحيد الباقي، لاعتقال بيغ فوت Big Foot زعيم قبيلة سيوكس الهندية. أسر أفراد القبيلة وأجبروا على التخلي عن أسلحتهم، ونُقلوا إلى مخيم محاط من قبل قوات الولايات المتحدة. في صباح 29 كانون الأول، فتح الجنود النار على المخيم الهندي وقُتل ثلاثمائة هندي عُزّل من قبيلة سيوكس، بما فيهم بيغ فوت. كانت آخر معركة من حملة الإبادة الجماعية التي دامت أربعمائة سنة ضد الأميركيين الأصليين.

18 أيار، 1896: في دعوى بليسي ضد فيرغوسون قررت المحكمة العليا في الولايات المتحدة بأن وسائل الراحة الرديئة للسود في عربات القطار لا تشكل انتهاكاً لعبارة الحماية المتساوية في التعديل الرابع عشر. مهّد هذا القرار الطريق للسياسات "المنفصلة ولكن المتساوية" التي أدت إلى قوانين جيم كراو.

14 نيسان، 1914: مذبحة لودلو. نظّم عمال مناجم الفحم الحجري في كولورادو إضراباً عاماً بعد سنين من محاولاتهم للاتحاد في نقابة. بعد طردهم من منازلهم التي تملكها الشركة، أقام المضربون وعائلاتهم مستعمرات من الخيام على أرض عامة. وفي صباح يوم 14 نيسان، فتحت قوات الطوارئ في كولوراد ورجال فك الإضراب نيران أسلحتهم على المخيم فأحرقوه، مزهقين أرواح عشرين شخصاً – معظمهم من النساء والأطفال.

22 آذار، 1947: أصدر الرئيس ترومان الأمر التنفيذي 9835 لمعرفة هوية "الخونة المتسربين" ضمن الحكومة. أدى هذا القرار إلى عصر من الخوف وهوس

الارتياب بشأن الشيوعيين المزعومين، الأمر الذي قاد بدوره إلى استجواب أكثر من ستة ملايين شخص وطرد خمسمائة من وظائفهم بسبب "ولائهم المشكوك به."

1 كانون الأول، 1955: رفضت روسا باركس، خياطة تعبة وناشطة محلية في حقوق الإنسان في مونتغومري، ألاباما، التخلي عن مقعدها في الباص إلى راكب أبيض. أطلق هذا الفعل الهادئ مقاطعة الحافلات في مونتغومري، التي دامت 381 يوماً وثبّتت مارتن لوثر كينغ كقائد للحركة. انتهت المقاطعة بعد إصدار المحكمة العليا أمراً قضائياً يعلن بأن قوانين التمييز العنصري في وسائط النقل العامة غير قانونية.

30 نيسان، 1975: سقوط سايغون. بالرغم من أن قوات المشاة الأميركية كانت قد انسحبت رسمياً من فيتنام قبل سنتين، إلا أن هذا اليوم يمثل نهاية تلك الحرب الوحشية. بعد عدة أسابيع من الفوضى بشأن الاستيلاء الشيوعي الوشيك، انتهى الأمر بمشهد بائس حين أقلعت آخر طائرات الهليكوبتر الأميركية للإنقاذ من على سطح السفارة الأميركية مع القليل من الرهائن التي استطاعت حملهم.

وماذا إذا لم تشترط واحدة من تلك الجامعات الكبرى على طلابها الجهلة أن يأخذوا ولو مقرراً واحداً في التاريخ الأميركي حتى يتخرجوا؟ من سيحتاج إلى التاريخ إذا كنت ستصبح غداً سيداً على الكون؟

من يأبه إذا لم يكن مطلوباً من 70 بالمائة من أولئك الذين يتخرجون من الجامعات الأميركية تعلم لغة أجنبية؟ ألا يتكلم بقية العالم الإنكليزية الآن؟

ومن يهتم إذا كان، من مناهج الأدب الإنكليزي السبعين في سبعين جامعة أميركية كبرى، لا يطلب إلا ثلاثة وعشرون منهجاً من دارسي اللغة الإنكليزية أخذ مقرر واحد عن شكسبير؟ هل يستطيع أحد رجاء أن يشرح لي ما العلاقة التي تربط بين شكسبير واللغة الإنكليزية؟ أي نفع ستقدمه بعض من المسرحيات القديمة العفنة في عالم التجارة اليوم، على أي حال؟

ربما أنا أحس بالغيرة فقط لأنني لا أملك شهادة جامعية. نعم، أنا، مايكل مور، انسحبت من الجامعة.

ذات يوم في سنتي الثانية، درت ودرت بسيارتي حول أماكن التوقف المتنوعة في حرم جامعتنا في فلينت، باحثاً بيأس عن مكان أركن فيه سيارتي. لم يكن هناك ببساطة أي موضع لأتوقف فيه – كلها كانت مشغولة، ولم يكن من أحد مغادر. وبعد ساعة محبطة أنفقتها وأنا أدور بسيارتي الشيفي إمبالا 69، صرخت من نافذة السيارة، "انتهى الأمر، أنا سأنسحب!" وتوجهت إلى البيت وأخبرت والديّ بأنني لم أعد في الجامعة.

سألاني "لماذا؟".

"لم أتمكن من إيجاد مكان لأركن فيه سيارتي،" أجبتهما. ومنذ ذلك الحين لم أجلس على مقعد دراسي أبداً. بدأ كرهي للمدرسة منذ وقت قريب من الشهر الثاني من الصف الأول. لقد علمني والديّ – وليباركهما الرب إلى الأبد على هذا الصنيع– القراءة والكتابة منذ أن كنت في الرابعة. لذا، عندما دخلت مدرسة سانت جون الابتدائية، كان عليّ أن أجلس وأدعي الاهتمام بينما كان يغني الأطفال الآخرون، كالآليين، "إي، بي، سي، دي... الآن أنا أعرف الأحرف الأبجدية، أخبروني ما رأيكم فيّ!" في كل مرة كنت أسمع فيها هذا السطر، كنت أريد أن أصرخ، "إليكم ما رأيي بكم – توقفوا عن غناء هذه الأغنية! ليحضر شخص ما لي لعبتي تو ينكي!"

كنت سئماً بشكل لا يصدق. أدركت الراهبات ذلك، وذات يوم أخذتني الأخت جون كاثرين جانباً وقالت بأنهن قررن ترفيعي إلى الصف الثاني على الفور. كنت في غاية السرور. عندما وصلت إلى البيت أعلنت لوالديّ بحماس بأنني قد تقدمت صفاً في أول شهر لي من المدرسة. بدا عليهما وكأنهما قد صُدما بواسطة هذه الإشارة الجديدة على نبوغي فلم ينبسا ببنت شفة، وبدلاً من ذلك صرخا، "ماذا–،" ثم دخلا إلى المطبخ وأغلقا الباب. كنت أستطيع سماع والدتي على الهاتف وهي تشرح إلى الأم المسؤولة بأنه من المستحيل أن يحضر ابنها الصغير مايكل صفاً مع أولاد أكبر منه، لذا رجاء، يا أختاه، أعيديه إلى

الصف الأول.

لقد سُحقت. شرحت لي أمي بأنني إذا تخطيت الصف الأول فإنني سأبقى دائماً الولد الأصغر سناً والأصغر حجماً في الصف خلال سنوات دراستي كلها (ولكن، الكسل والوجبات السريعة أثبتا في نهاية الأمر بأنها كانت مخطئة في هذا الخصوص). لم يكن هناك أية إمكانية للالتجاء لأبي، الذي تخلى عن معظم القرارات المتعلقة بالتعليم إلى أمي، التي ألقت خطبة الوداع عن صفها في حفلة التخرج من المدرسة الثانوية. حاولت أن أشرح لها بأنني إذا أُرسلت ثانية إلى الصف الأول فسيبدو الأمر وكأنني قد رسبت في صفي الثاني من اليوم الأول – واضعاً نفسي تحت خطر ارتداد كلامي الذي قلته للصف الأول عليّ، "إلى اللقاء، أيها الرضّع!" ولكن أمي لم تكن لتُخدَع بهذا، وحينئذ فقط علمت بأن الشخص الوحيد الذي يملك سلطة أعلى من الأم المسؤولة كانت الأم مور.

في اليوم التالي قررت أن أتجاهل كل تعليمات والديَّ بالعودة إلى الصف الأول. في الصباح، وقبل الجرس الافتتاحي، كان على كل الطلاب الاصطفاف كل في صفه خارج المدرسة ومن ثم السير إلى الداخل في طابور واحد. بهدوء، ولكن بتحدٍّ، ذهبت ووقفت في رتل الصف الثاني، مصلياً لله بأن يعمي الراهبات حتى لا يرون في أي صف أقف. قُرع الجرس – ولم يُلاحظني أحد! بدأ رتل الصف الثاني بالتحرك، وذهبت معه. آه! فكّرت في نفسي، لو أتمكن فقط من النجاح في هذا، لو أتمكن فقط من الدخول إلى الصف الثاني ذاك وأجلس في مقعدي، عندئذ لن يقدر أحد على إخراجي من هناك. وفي اللحظة التي كنت سأدخل فيها من باب المدرسة، شعرت بيد تمسك بي من قبة سترتي. كانت الأخت جون كاثرين.

"أعتقد بأنك في الرتل الخطأ يا مايكل،" قالت بصرامة. "أنت الآن في الصف الأول ثانية." وبدأت بالاحتجاج: والداي "أساءا فهم" الأمر، أو "هؤلاء لم يكونا حقاً والداي،" أو ...

طوال الاثنتي عشر سنة التالية جلست في الصف، وقمت بواجبي، وبقيت على الدوام مشغولاً بالبحث عن طريقة للفرار. أنشأت صحيفة مدرسية سرية في الصف الرابع. ولكنها أُغلقت. وأنشأتها ثانية في الصف السادس. أُغلقت أيضاً. في الصف الثامن، لم أنشئ صحيفة فقط، وإنما أقنعت الراهبات الطيبات بالسماح لي بكتابة مسرحية ليمثلها صفنا في مهرجان عيد الميلاد. كانت المسرحية تتكلم عن كثرة الفئران التي كانت تقطن في قاعة الأبرشية وكيف نزل كل الفئران في المدينة على قاعة أبرشية سانت جون من أجل عقد "مؤتمر الفئران" السنوي. أوقفها الكاهن – وأغلق الصحيفة أيضاً. وبدلاً من ذلك، طُلب مني ومن أصدقائي الصعود إلى منصة المسرح وغناء ثلاثة من ترانيم الميلاد ومن ثم مغادرة المسرح بدون التفوه بكلمة واحدة. رتّبت الأمر مع نصف الصف بحيث نصعد ولا نخرج أي صوت. وهكذا وقفنا هناك ورفضنا غناء الترانيم، كناية عن احتجاجنا ضد مراقبة المطبوعات. مع الأغنية الثانية، انضم معظم المحتجين إلى الغناء، خوفاً من النظرات العابسة لآبائهم الموجودين بين الحضور – ومع الأغنية الثالثة، أذعنت أنا نفسي وانضممت إلى الغناء، واعداً نفسي بالقتال في يوم آخر.

المدرسة الثانوية، كما نعرف كلنا، هي نوع من العقاب السادي المريض للطلاب بواسطة بالغين يبحثون عن الانتقام لأنه لم يعد بإمكانهم عيش حياة خالية من المسؤولية، مليئة كلها باللهو – ما عدا الساعات السبع التي يقضونها في المدرسة– كالتي يتمتع بها الشباب. أي شيء آخر يفسر تلك السنوات الأربع من التعليقات المذلة، والإساءات الجسدية.

حالما دخلت المدرسة الثانوية – ونظام المدرسة الرسمية – نسيت كل ما قمت به من شكاوى بشأن قمع الأخوات في سانت جوزيف، إذ بدون فجأة جميعهن كالمثقفين والقديسين. إنني أمشي الآن في قاعات سجن مستأجَر يحوي أكثر من ألفي نزيل. وفي حين كانت الراهبات تكرسن حياتهن للتعليم بدون

رغبة في أي مكافأة دنيوية، كان لأولئك الذين يديرون المدرسة الثانوية الرسمية مهمة واحدة في غاية البساطة: "اصطادوا أولئك الخسيسين الصغار كالكلاب، وضعوهم في قفص حتى نتمكن إما من كسر إرادتهم أو شحنهم إلى مصنع الغراء!" افعل هذا، لا تفعل ذاك، ضع قميصك في بنطالك، امسح تلك البسمة من على وجهك، أين ممر قاعتك، إنه الممر الخاطئ! أنت – احتجاز!!

ذات يوم، عدت إلى البيت من المدرسة وتناولت الجريدة، وإذ بالعنوان الرئيسي يقول: "إقرار التعديل السادس والعشرين – انخفض سن التصويت إلى 18." وتحته عنوان رئيسي آخر: "رئيس مجلس التعليم يستقيل، المقعد موضوع للانتخاب."

همم. اتصلت بموظفة المقاطعة.

"أوه، أنا سأبلغ الثامنة عشر في غضون أسابيع قليلة. إذا كان بإمكاني التصويت، هل ذلك يعني، أقصد هل يمكنني أنا أيضاً ترشيح نفسي؟"

"دعني أرى،" أجابت السيدة. "هذا سؤال جديد!"

دليل لحقوق الطالب

كطالب أميركي ربما لم تعرف الكثير عن دستور الولايات المتحدة أو عن حقوقك المدنية، لذا، أقدم إليك دليلاً سهلاً يستند إلى معلومات مأخوذة من اتحاد الحريات المدنية الأميركية (ACLU). لمزيد من الحقائق عن حقوق الطالب، في مواضيع تتضمن قوانين اللباس، وسجلاتك المدرسية، والتمييز المرتكز على الانحياز الجنسي، اتصل بالفرع المحلي لـ ACLU في ولايتك أو تفحص موقعهم على الوب: www.aclu.org/students/slfree.html.

• يضمن التعديل الأول للدستور الحق في حرية التعبير وحرية المزاملة. ووفقاً للمحكمة العليا في الولايات المتحدة، فهذه الحقوق تنطبق حتى عليك أنت، الطالب ذو المرتبة المتدنية – على الأقل لبعض الوقت.

• في العام 1969، أصدرت المحكمة العليا (في دعوى تينكر ضد الوحدة

المدرسية الرئيسية المجتمع المستقل في مدينة ديس موينز) قراراً مفاده أن التعديل الأول ينطبق على الطلاب في المدارس العامة. لاشك أن المدارس الخاصة تملك حرية أكبر في وضع قوانينها الخاصة بشأن حرية التعبير، لأنها لا تُدار بواسطة الحكومة.

باستطاعة طلاب المدارس العامة التعبير عن آرائهم شفهياً أو كتابة (على أوراق، أو اللوائح شعارات، أو قمصان أو أشرطة الذراع)، طالما أن تلك الآراء لا توقع الفوضى "مادياً ومعنوياً" في الصفوف أو النشاطات المدرسية الأخرى.

ربما يستطيع مسؤولو المدرسة منع الطلاب من استخدام "لغة بذيئة أو غير محتشمة،" ولكنهم لا يستطيعون وضع رقابة على جزء واحد فقط من النقاش.

إذا أنشأت أنت وطلاب آخرون صحفكم الخاصة بكم وأردتهم نشرها في المدرسة، لا يمكن للمديرين مراقبتكم أو منعكم من توزيع الصحيفة (ما لم تكن "غير محتشمة" أو يشكل نشرها إيذاءاً للأنشطة المدرسية).

ولكن بإمكان المديرين مراقبة ما يظهر في الصحيفة المدرسية الرسمية (الصحيفة التي تُنشر بواسطة أموال المدرسة). في قرار صدر في العام 1988، مدرسة هازلوود ضد كوبلميير)، ألزمت المحكمة العليا في الولايات المتحدة مديري المدارس العامة بمراقبة كلام الطلاب في المنشورات أو الأنشطة المدرسية الرسمية (مثل مسرحية مدرسية، معرض فني، أو كتاب سنوي أو صحيفة) إذا اعتقد المسؤولون بأن الطلاب سيقولون شيئاً ما غير لائق أو مؤذٍ – حتى لو كان غير بذيء أو لا يضر بأي نشاط.

تملك بعض الولايات – من بينها كولورادو، كاليفورنيا، آيوا، كنساس، وماساشوستس– قوانين "حرية التعبير في المدارس الثانوية" تمنح الطلاب حقوقاً زائدة في مسألة حرية الكلام. راجع الفرع المحلي من ACLU لكي تتأكد إذا كانت ولايتك تملك مثل هذه القوانين.

تصفحت بعض الأوراق ثم عادت إلى الهاتف. "نعم،" قالت لي، "يمكنك ترشيح نفسك. كل ما عليك فعله هو تجميع عشرين توقيعاً لوضع اسمك على بطاقة الانتخاب."

عشرون توقيعاً؟ هذا كل ما في الأمر؟ لم تكن لديّ أدنى فكرة بأن الترشح

إلى منصب يحتاج إلى القليل من الجهد. حصلت على التواقيع العشرين، وقدمت طلبي، وبدأت حملتي. وماذا كان مشروعي؟ "طرد مدير المدرسة الثانوية ومساعده!"

استشعاراً بالخطر من فكرة أن طالباً في المدرسة الثانوية قد يجد فعلياً الوسائل القانونية لصرف نفس المديرين الذي كان يُعاقب من قبلهم، استصدر خمسة من "البالغين" المحليين عرائض لهم وأضافوا أنفسهم إلى بطاقة الاقتراع، أيضاً.

بالطبع، انتهى بهم الأمر إلى تقاسم أصوات البالغين الأكبر سناً بينهم – وفزت أنا، حاصلاً على صوت كل شاب بين الثامنة عشر والخامسة والعشرين (الذين استطابوا، رغم أن العديد منهم ربما لن يصوتوا ثانية، فكرة إرسال مديري مدارسهم الثانوية إلى المقصلة).

"صباح الخير، سيد مور،" قال بتهذيب. البارحة كان اسمي "هاي، أنت!" والآن أصبحت رئيسه.

بعد تسعة أشهر من تسلم منصبي في مجلس التعليم، قدم المدير ومساعد المدير "أوراق استقالتيهما،" وسيلة لحفظ ماء الوجه عندما "يُطلب" من المرء التنحي عن منصبه. وبعد سنتين أُصيب المدير بنوبة قلبية ومات.

لقد عرفت هذا الرجل، المدير، لعدة سنوات. عندما كنت في الثامنة من عمري، اعتاد أن يسمح لي ولأصدقائي التزلج ولعب الهوكي على البركة الصغيرة بجانب بيته. كان لطيفاً وكريماً، واعتاد أن يترك باب بيته مفتوحاً دائماً في حال احتاج أي واحد منا لتبديل مزلاجه أو إذا أُصبنا بالبرد وأردنا فقط أن نحصل على الدفء. وبعد سنوات، طُلب مني أن أعزف على الغيتار جهير الصوت في فرقة كانت تتشكل، ولكنني لم أكن أملك غيتاراً، فسمح لي أن أستعير غيتار ابنه.

أنا أقدم هذه المعلومة لأذكّر نفسي بأن كل الناس في الواقع طيبون في جوهرهم، ولأتذكر بأن الشخص الذي حصلت بيني وبينه خلافات جوهرية

عندما كبرت هو نفس الشخص الذي كان يقدم لنا نحن الصغار المرتعشين من الحي كوباً مجانياً من القهوة.

لقد أصبح المدرسون الآن كيس الملاكمة المفضل للسياسيين. إذا استمعت إلى أمثال تشيستر فين، مساعد سابق لوزير التعليم في إدارة بوش الأب، فستعتقد بأن كل شيء انهار في مجتمعنا يمكن عزوه إلى المدرسين المتراخين، الكسولين، غير الأكفاء. "إذا وضعتم قائمة بأخطر عشرة مطلوبين لقتلهم التعليم الأميركي، لست متأكداً من ستضعونه في مرتبة أعلى في القائمة: نقابة المعلمين أو الهيئات التعليمية والإدارية في المدارس،" كما يقول فين.

بالتأكيد، يوجد العديد من المدرسين غير الأكفاء، ولكن الغالبية العظمى هم مربّون مخلصون اختاروا مهنة تمنحهم أجراً أقل مما يكسبه بعض طلابهم لقاء بيعهم إكستازي، ومقابل تلك التضحية نحن نسعى لمعاقبتهم. أنا لا أعرف شيئاً عنك، ولكنني أريد من الأشخاص الذين يرعون ابنتي رعاية مباشرة لساعات تفوق الساعات التي أقضيها معها أن يُعامَلوا معاملة حنونة ومحبة. إنهم أطفالي الذين "يعدونهم" لهذا العالم، إذاً لماذا أريد أن أثير غضبهم؟

ربما تعتقد بأن موقف المجتمع سيكون كما يلي:

"أيها الأساتذة، شكراً جزيلاً لكم لتكريس حياتكم من أجل ابني. هل هناك أي شيء آخر أستطيع مساعدتكم به؟ هل أنتم بحاجة إلى أي شيء؟ أنا هنا من أجلكم. لأنكم تساعدون ابني – طفلي – على التعلم والنضج، لن تكونوا مسؤولين فقط عن قدرته على العيش، وإنما سيكون تأثيركم كبيراً على الطريقة التي ينظر فيها إلى العالم، وماذا يعرف عن الشعوب الأخرى في هذا العالم، وكيف سيشعر حيال نفسه. أريده أن يعتقد أن بإمكانه المحاولة في أي شيء – لا أبواب مقفولة ولا أحلام بعيدة جداً. أنا أعهد لكم بأهم شخص على الإطلاق في حياتي لمدة سبع ساعات في اليوم. وبهذا، أنتم من أهم الأشخاص في حياتي! شكراً لكم".

وبدلاً من ذلك، إليك ما يسمعه المعلمون:

* "لابد أن تتعجب من المدرسين الذين يدّعون وضع الاهتمام بالأولاد أولاً على سلم أولوياتهم – ومن ثم يسعون لاستنزاف النظام عبر زيادة الأجور." (نيويورك بوست، 26/ 12/ 2000)
* "تتراوح تقديرات عدد الأساتذة الفاسدين بين 5 بالمائة و18 بالمائة من المجموع الإجمالي الذي يبلغ 2,6 مليون." (مايكل تشابمان، إنفيستورز بيزنيس دايلي، 21/ 9/ 1998)
* "معظم المشتغلين في مهنة التعليم ينتمون إلى جماعة منغلقة من التابعين... الذين يتبعون فلسفات عامة بدلاً من البحث عن ما هو ناجح وفعّال." (دوغلاس كارمينن، مونتريال غازيت، 6/ 1/ 2001)
* "لقد ذهبت نقابات المعلمين لكي تعاقب المجرمين والمعلمين الذين مارسوا الجنس مع طلابهم، بالإضافة إلى أولئك الذين لم يكن بمقدورهم، ببساطة، التعليم." (بيتر شويزين، ناشيونال ريفيو، 17/ 8/ 1998)

أي نوع من الأولوية نضـــع في مسألة التعليم في أميركا؟ أوه، إنـــه موجود على قائمة التمويل – هناك في مكان ما بين إدارة الصحة والسلامة المهنية (OSHA) ومفتشي اللحم. يتلقى الشخص الذي يعتني بأولادنا يومياً ما معدله 41,351 دولار في السنة، فيما يتلقى النائب في البرلمان الذي يهتم فقط بمن سيدعوه إلى العشاء في هذه الليلة من جماعة الضغط التي تعمل لصالح شركات التبغ 145,100 دولار في السنة.

نظراً إلى الصفعة التي يعطيها مجتمعنا إلى الأساتذة يومياً، هل من المستغرب أن يختار القليل من الناس هذه المهنة؟ إن النقص الوطني في عدد المدرسين كبير جداً إلى درجة أن بعض المدارس تستخدم مدرسين من خارج الولايات المتحدة. استخدمت شيكاغو مؤخراً أساتذة من ثمانية وعشرين بلداً أجنبياً، من بينها الصين، وفرنسا والمجر. مع حلول الفصل الدراسي الجديد في

نيويورك سيتي، سيكون قد تقاعد حوالى سبعة آلاف مدرس قديم – و60 بالمائة من المدرسين الذين استُخدموا للحلول محلهم غير مصدّقين من قبل الوزارة.

ولكن، هذه الضربة موجهة لي: 163 مدرسة في نيويورك سيتي افتتحت في العام الدراسي 2000–2001 بدون مدير! نعم، لقد سمعت جيداً – مدرسة، بدون شخص مسؤول. من الواضح بأن المحافظ ومجلس التعليم يقومون باختبار نظرية في الفوضى – يرمون خمسمائة طفل مسكين في مبنىً متقوّض، ويراقبون الطبيعة تأخذ مجراها! في المدينة التي تسيطر على معظم ثروات العالم، المدينة التي تحوي من المليونيرات في القدم المربع أكثر ما تحويه من العلك على الأرصفة، نحن، لسبب ما، لا نستطيع إيجاد المال لدفع أجر ابتدائي للمعلم يزيد عن 31,900 دولار في العام. ونحن ندّعي الدهشة عندما لا نحصل على نتائج مرضية.

ليس المدرسون وحدهم الذين أُهملوا – فالمدارس الأميركية تنهار حرفياً. في العام 1999، أبلغت ربع المدارس العامة الأميركية بأن حالة بناء واحد على الأقل من أبنيتها غير ملائمة. في العام 1997، اضطر النظام المدرسي بأكمله في واشنطن العاصمة إلى تأجيل بداية العام الدراسي لأكثر من ثلاثة أسابيع لأنه تبيّن بأن ثلث مدارسها تقريباً غير آمنة.

ما يقارب 10 بالمائة من المدارس الرسمية الأميركية يفوق عدد المسجلين فيها قدرة أبنيتها على الاستيعاب بأكثر من 25 بالمائة، ولهذا يُضطر الأساتذة لإعطاء الدروس في الممرات، أو في الخارج، أو في صالة الرياضة، أو في الكافتيريا؛ وفي مدرسة زرتها أُعطي الدرس حتى في حجرة البواب. ويبدو بأن حجرات البواب لا تُستخدم لأي شيء له علاقة بالتنظيف، على أي حال – في نيويورك سيتي، حوالى 15 بالمائة من 1100 مدرسة رسمية بدون حراس بدوام كامل، مرغمين الأساتذة على مسح أرضيات صفوفهم والطلاب على استخدام المرحاض بدون ورق تواليت. ولذلك نحن نرسل أولادنا الآن إلى الشارع

ليبيعوا ألواح الحلوى حتى تتمكن مدارسهم من شراء الآلات الموسيقية – وماذا بعد؟ غسيل السيارات لجمع المال من أجل ورق التواليت؟

برامج محو الأمية

مؤسسة باربرة بوش لمحو الأمية العائلية
1112 شارع NW 16th
شقة 340
واشنطن العاصمة، 20036
202-955-6183
www.barbarabushfoundation.com

متطوعو محو الأمية في أميركا
635 شارع جايمس
سيراكوز، NY 13203-2214
315-472-0001
www.literacyvolunteers.org

برنامج محو الأمية العائلية المتكافئة
وزارة التعليم في الولايات المتحدة الأميركية
واشنطن العاصمة، 20202
202-260-0991
.www.ed.gov/offices/OESE/CEP/programs.html#prog3

تحدي القراءة في أميركا
وزارة التعليم في الولايات المتحدة الأميركية
400 جادة ميريلاند SW
واشنطن العاصمة، 20202
202-401-0596
.www.ed.gov/inits/americareads/

المركز الوطني لمحو الأمية العائلية
وانترفرونت بلازا، شقة 200
325 W. الشارع الرئيسي.
لوسيفيل، KY 40202-4251
502-584-0172
.www.famlit.org

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

وهناك دليل إضافي على الوضع المميز الذي يعيشه أولادنا، وهو عدد المكتبات العامة وحتى المدرسية التي أُغلقت أو خُفضت ساعاتها. آخر شيء نحتاجه هو تحلّق مجموعة من الأولاد حول مجموعة من الكتب!

من الواضح أن "الرئيس" بوش يوافق على ذلك: في أول ميزانية له اقترح تخفيض 39 مليون دولار من الإنفاق الفدرالي على المكتبات، إلى 168 مليون دولار – أي تخفيض نسبته 19 بالمائة. وقبل أسبوع واحد فقط، أطلقت زوجته، أمينة مكتبة مدرسية سابقة، حملة وطنية من أجل المكتبات الأميركية، واصفة تلك المكتبات بـــ "خزائن المجتمع النفيسة، المحمّلة بكنوز المعلومات المتوفرة للجميع، بالتساوي." وترأس باربرة بوش، أم الرئيس، مؤسسة محو الأمية العائلية. حسناً، لا يوجد شيء يماثل المعاناة من تجربة مباشرة مع الأمية في العائلة لكي يدفع المرء للقيام بمثل هذه الأعمال الخيرية.

بالنسبة للأطفال الذين اعتادوا على وجود المكتبة في البيت، تُعتبر خسارة المكتبة أمراً محزناً. ولكن بالنسبة إلى الأطفال الذي يأتون من بيئات لا يقرأ فيها الناس، فخسارة المكتبة أمرٌ مأسوي قد يحرمهم إلى الأبد من اكتشاف متعة القراءة – أو من تجميع المعلومات التي يمكن أن تقرر مستقبلهم في الحياة. لقد أدرك جوناثان كازول، الذي كان مدافعاً عن حقوق الأطفال المحرومين طوال عقود، بأن المكتبات المدرسية "تبقى النافذة الأوضح إلى عالم من المغريات والمسرات غير التجارية لن يعرفه أبداً معظم الأطفال في الأحياء الفقيرة."

كما أن الأطفال المحرومين من الدخول إلى المكتبات الجيدة هم محرومون أيضاً من تنمية مهاراتهم المعلوماتية التي سيحتاجونها للاحتفاظ بأماكن عملهم التي يتعاظم اعتمادها على المعلومات المتغيرة بسرعة كبيرة. إن القدرة على إجراء بحث علمي "ربما هي أكثر المهارات التي يمكن أن يكتسبها [طلاب اليوم] ضرورة،" كما تقول جولي ووكر، المديرة التنفيذية للجمعية الأميركية للمكتبات المدرسية. "إن المعرفة التي يكتسبها [الطلاب] في المدرسة لن تخدمهم

خلال حياتهم، فالعديد منهم سيمارسون أربع أو خمس مهن في حياتهم، ولكنها ستشكل قدرتهم على الإبحار في المعلومات، وهذا هو ما يهم."

من هو الملام في مسألة انحطاط المكتبات؟ حسناً، فيما يتعلق بمكتبات المدارس، يمكنك توجيه إصبع الاتهام (نعم، ذلك الإصبع) إلى ريتشارد نيكسون. من الستينيات إلى العام 1974، كانت مكتبات المدارس تتلقى تمويلاً محدداً من الحكومة. ولكن في العام 1974، غيرت إدارة نيكسون القواعد، مشترطة توزيع تلك الأموال الفدرالية المخصصة للتعليم على شكل "منح غير محددة" على الولايات لتنفقها كيفما تشاء. اختارت ولايات قليلة إنفاق المال على المكتبات، وبدأ الانحدار منذ ذلك الحين. وأحد أسبابه أن المواد في المكتبات المدرسية اليوم يعود تاريخها إلى الستينيات وبداية السبعينيات، أي قبل تحويل التمويل. (لا، يا سالي، الاتحاد السوفييتي ليس عدونا. الاتحاد السوفييتي كان معطلاً تماماً لمدة عشر سنوات ...")

قد ينطبق هذا الوصف الذي أورده مراسل لصحيفة إديوكاشن ويك في العام 1999 عن "المكتبة" في مدرسة ابتدائية في فيلادلفيا على أي مدرسة مهملة أخرى:

> حتى أفضل الكتب حالاً في مكتبة مدرسة تي. إم. بيرس الابتدائية عتيقة، وممزقة، ومتغيرة اللون. أما الأسوأ - العديد منها في المرحلة الأخيرة من التفسخ- فهي قذرة وكريهة الرائحة وتترك بقايا عفنة على اليدين والثياب. الكراسي والطاولات إما عتيقة، أو غير متطابقة، أو مكسورة. ولا يوجد كمبيوتر في المكان... حقائق ونظريات ونماذج كريهة أكل عليها الزمن وشرب تثب من الصفحات الرسمية للموسوعات وسير الحياة، والكتب الروائية وغير الروائية. بين المجلدات على هذه الرفوف سيجد الطالب بأنه من المستحيل تحديد معلومات دقيقة عن الإيدز أو أي مرض معاصر، أو استكشاف القمر والمريخ، أو آخر خمسة رؤساء لأميركا.

وتكمن السخرية القصوى في كل هذا في أن السياسيين الذين يرفضون تمويل التعليم في أميركا هم نفس السياسيين الذين جن جنونهم لأن أولادنا قد تخلفوا عن الأولاد الألمان، واليابانيين، وعن كل بلد آخر آخذ في التقدم واقتصاده لا يعتمد على مبيعات التشيكلتس. وفجأة يريدون "المحاسبة." إنهم يريدون أن يُحمّل الأساتذة المسؤولية وأن يُفحَصوا. ويريدون فحص الأولاد أيضاً – مرة بعد مرة بعد مرة.

ليس هناك خطأ فادح في فكرة استخدام اختبار قياسي لتحديد ما إذا كان الأولاد يتعلمون القراءة والكتابة والرياضيات. ولكن العديد من السياسيين والبيروقراطيين التربويين قد أحدثوا هوساً وطنياً بالاختبار، وكأن كل ما هو خاطئ في النظام التعليمي في هذا البلد سيُصلح بشكل سحري إذا ما تمكنا فقط من رفع تلك النتائج.

الأشخاص الوحيدون الذين يجب اختبارهم (إضافة إلى المعلمين المنتخبين) هم أولئك الذين يُدعون القادة السياسيين. في المرة القادمة التي ترى فيها ممثل أو نائب ولايتك، أعطه هذا الامتحان العام السريع – وذكّره بأن أي ارتفاع مستقبلي في الأجور سيعتمد على مدى حسن علاماته:

1. ما هو الأجر السنوي لناخبك العادي؟
2. ما هي نسبة الأطفال الذين تستقبلهم مؤسسة الخدمة الاجتماعية؟
3. كم عدد الأنواع المعروفة من النباتات والحيوانات المهددة بالانقراض؟
4. كم مساحة الثقب في طبقة لأوزون؟
5. أي دول أفريقية تملك معدلات وفيات أطفال أدنى من ديترويت؟
6. كم عدد المدن الأميركية التي ما تزال تملك صحيفتين متنافستين؟
7. كم عدد الأونصات في الغالون الواحد؟
8. أيهما أكبر: احتمال موتي بواسطة عيار ناري في المدرسة أو بواسطة ضربة صاعقة؟

138

9. ما هي عاصمة الولاية الوحيدة التي لا تملك مطعماً للماكدونالد؟
10. صف قصة كل من الإلياذة والأوديسا؟

الأجوبة

1. 28,548 دولاراً.
2. 67 بالمائة.
3. 11,046.
4. 10.5 مليون ميل مربع.
5. ليبيا، جزيرة موريتيوس، جزيرة سيشيل.
6. 34.
7. 128 أونصة.
8. إن احتمال موتك بواسطة ضربة صاعقة هو أكبر بمرتين من احتمال موتك بواسطة عيار ناري في المدرسة.
9. مونبلييه، فيرمونت.
10. الإلياذة هي قصيدة ملحمية إغريقية قديمة لهوميروس عن حرب طروادة. الأوديسا هي قصيدة ملحمية أخرى لهوميروس تصف أحداث الرحلة التي دامت عشر سنوات للوصول إلى الوطن من حرب طروادة التي قام بها أوديسيوس، ملك إيثاكا.

من الأرجح أن العبقري الذي يمتلك في المجلس التشريعي لن يسجل أكثر من 50 بالمائة على الاختبار أعلاه. والخبر الجيد هو أن تسقطه خلال سنة أو سنتين.

هناك مجموعة واحدة في البلاد لا تجلس فقط لتنتقد المعلمين معطلي الدماغ – مجموعة مهتمة بشكل عميق بشأن نوع الطلاب الذين سيدخلون عالم

البالغين. يمكنك القول بأن لديهم مصالح مضمونة عند هذا الجمهور المأسور المؤلف من الملايين من صغار السن... أو في مليارات الدولارات الذين ينفقوها سنوياً. (أنفق المراهقون وحدهم أكثر من 150 مليار دولار في السنة الماضية.) نعم، إنها أميركا الشركاتية، التي يشكل كرمها على مدارس أمتنا مجرد مثل آخر على خدماتها الوطنية المستمرة.

إلى أي حد هذه الشركات ملتزمة بمدارس أولادنا؟

وفقاً للأرقام التي جُمعت بواسطة مركز تحليل الوسائل التجارية في التعليم (CACE)، فإن إحسانهم الخيري هذا قد شهد ارتفاعاً هائلاً منذ العام 1990. خلال السنوات العشر الماضية، شهدت البرامج والفعّاليات المدرسية ازدياد رعاية الشركات بنسبة 248 بالمائة. ومقابل هذه الرعاية تسمح المدارس للشركات بوضع اسمها في المناسبات الهامة.

على سبيل المثال، ترعى شركة إيدي بوير الجولة الأخيرة من اجتماع الجغرافية الوطنية. تُوزّع أغلفة للكتب تصور إعلانات لشركتي كالفين كلين ونايكي على الطلاب. ترعى شركة نايكي وشركات الأحذية الأخرى، باحثة عن سبل للدخول المبكر إلى نجوم الغد، فرق كرة السلة في المدارس الثانوية للمدن الداخلية.

وضعت بيتزا هات برنامجها "اقرأه!" لتشجع الأطفال على القراءة. عندما يحقق الطلاب غاية القراءة الشهرية فإنهم يُكافَئون بشهادة تؤهلهم للحصول على قطعة بيتزا شخصية من مطعم بيتزا هات. وفي المطعم، يقدم المدير شخصياً التهاني إلى الأولاد ويعطي كل واحد منهم شهادة وبطاقة لاصقة تحمل اسم المطعم. وتقترح بيتزا هات على مديري المدارس وضع لائحة شرف خاصة بالبرنامج في المدرسة ليشاهدها الجميع.

وخرجت شركتا جنرال ميلز وكامبلز سوب بفكرة أفضل، فبدلاً من إعطاء مكافآت مجانية، تملك كلاهما برامج تكافئ المدارس على حمل الآباء على شراء

منتجاتهما. وفق برنامج "أغطية العلب للتعليم" الخاص بشركة جنرال ميلز، تحصل المدارس على عشرة سنتات مقابل كل غطاء علبة يحمل شعارها، ويمكن أن تكسب تلك المدارس حتى 10,000 دولار في السنة. أي مبيع 100,000 منتج من منتجات جنرال ميلز. وبرنامج كامبلز سوب "الملصقات للتعليم" ليس أفضل حالاً، فهذه الشركة تروج لنفسها على أنها "تؤمن لأطفال أميركا معدات مدرسية مجانية!" يمكن للمدارس أن تكسب كمبيوتر واحد من طراز آبل آي ماك مقابل 94,950 ملصقة فقط. تقترح الشركة وضع هدف يتمثل بملصقة في اليوم لكل تلميذ. بحسب تخمين شركة كامبلز المعتدل، أي خمسة ملصقات في الأسبوع لكل طفل، كل ما ستحتاجه هو مدرسة من 528 تلميذاً لكي تحصل على كمبيوتر جديد.

هذا النوع من الرعاية التجارية ليس فقط هو كل ما يجمع هذه المدارس والشركات ببعضها البعض، فقد شهدت التسعينيات زيادة استثنائية نسبتها 1,384 بالمائة في الاتفاقات الحصرية بين المدارس وشركات المشروبات الخفيفة. لقد باعت مائتان وأربعون وحدة مدرسة رئيسية (بفروعها) في واحد وثلاثين ولاية حقوقاً حصرية إلى واحدة من شركات المشروبات الغازية الكبرى (كوكاكولا، بيبسي، دكتور بيبر) لتدفع بمنتجاتها إلى المدارس. وكلنا نتساءل لماذا يوجد أطفال بدينون أكثر من ذي قبل؟ أو عدد أكبر من الفتيات اللواتي تعانين من نقص الكالسيوم لأنهن يشربن كمية أقل من الحليب؟ تحظر القوانين الفدرالية بيع المشروبات الغازية في المدارس قبل بدء فترة الغداء، ولكن بعض المدارس المكتظة بالطلاب تبدأ فترة الغداء فيها في منتصف الفترة الصباحية. مياه مشبعة بالسكر مكربنة منكهة اصطناعية – إفطار الأبطال! (في آذار من العام 2001 استجابت شركة كوكاكولا إلى الضغط الشعبي، معلنة بأنها ستضيف إلى ماكينات البيع الخاصة بها في المدارس الماء، والعصير وبدائل أخرى للمياه الغازية بحيث تكون خالية من السكر، خالية من الكافيين، وغنية بالكالسيوم.)

أعتقد بأن بإمكان هذه الشركات تحمل نفقات مثل هذه الامتيازات إذا ما نظرت إلى عقدها مع الوحدة المدرسة الرئيسية في كولورادو سبرينغس. لقد كانت كولورادو رائدة في مجال الروابط بين المدارس وشركات المياه الغازية. في كولورادو سبرينغس، ستتلقى الوحدة المدرسية 8.4 مليون دولار خلال عشر سنوات من عقدها مع كوكاكولا – وأكثر من ذلك إذا تجاوزت متطلباتها من بيع 70,000 علبة من منتجات الكوكاكولا في السنة. ولضمان تحقيق المستويات المرغوبة، حث مسؤولو الوحدة المدرسية الرئيسية المديرين على منح الطلاب إذناً مفتوحاً في استخدام ماكينات الكوكاكولا، كما سمحوا لهم أيضاً بشرب الكوكاكولا في الصفوف.

ولكن شركة كوكاكولا ليست وحدها، ففي الوحدة المدرسية الرئيسية (أساس مدرسة كولومباين الثانوية) في مقاطعة جيفرسون، كولورادو، ساهمت شركة بيبسي بمبلغ 1.5 مليون دولار للمساعدة في بناء ملعب رياضي جديد. بينما جربت بعض مدارس المقاطعة برنامجاً علمياً، طُوِّر في قسم منه من قبل بيبسي، دُعي "شركة المشروبات المكربنة." وفي هذا البرنامج اختبر الطلاب بواسطة حاسة التذوق زجاجات الكولا، وحللوا عينات من الكولا، وشاهدوا شريط فيديو يصور جولة في مصنع تعليب زجاجات البيبسي، وزاروا مصنعاً محلياً.

الوحدة المدرسية الرئيسية في وايلي، تكساس، وقعت عقداً في العام 1996 يسمح لها بمشاطرة حقوق بيع المشروبات الخفيفة في المدارس بين شركتي كوكاكولا ودكتور بيبر. دفعت كل شركة 31,000 دولار في السنة. ثم، في العام 1998، غيرت المقاطعة رأيها ووقعت عقداً مع كوكاكولا يساوي 1.2 مليون دولار على مدار خمسة عشر عاماً، فرفعت شركة دكتور بيبر دعوى قضائية بحق المقاطعة لخرقها العقد، الأمر الذي اضطر المقاطعة إلى شراء عقد الدكتور بيبر مقابل 160,000 دولار – إضافة إلى 20,000 دولار كأتعاب

قضائية.

وليست الشركات وحدها التي تُطرد أحياناً، فالطلاب الذين يفتقرون إلى الروح الشركاتية المناسبة التي تتمتع بها مدارسهم قد يقعون في المشاكل أيضاً. عندما لبس مايك كاميرون قميص بيبسي في "يوم الكوك" في مدرسة غرينبيير الثانوية في إيفانز، جورجيا، أُوقف عن الدوام ليوم واحد. كان "يوم الكوك" جزءاً من مسابقة "اتحد مع كوكاكولا" الوطنية، التي تقدم جائزة قدرها 10.000 دولار إلى المدرسة التي تبتدع أفضل خطة لتوزيع بطاقات الحسم الخاصة بكوكاكولا. قال مسؤولو مدرسة غرينبيير أن كاميرون أُوقف عن الدوام لأنه "كان هذاماً ويحاول تشويه صورة المدرسة،" وذلك عندما خلع القميص الخارجي وأظهر قميص بيبسي في الوقت الذي كانت تؤخذ فيه صورة لطلاب وقفوا أمام الكاميرا وهم يهمون بكتابة كلمة كوك. قال كاميرون بأن القميص كان مرئياً طوال اليوم ولكنه لم يقع في المشاكل إلا عندما وقف أمام الكاميرا. لا إيطاء أو كسل في قسم التسويق، فقد أرسلت بيبسي على الفور صندوقاً من قمصان وقبعات بيبسي إلى مدير المدرسة.

وإذا كان تحويل الطلاب إلى لوحات إعلانية ليس كافياً، تعمد المدارس والشركات إلى تحويل المدرسة نفسها إلى لافتة مضيئة كبيرة لأميركا الشركاتية، فقد ارتفع تخصيص حيز المدرسة، بما فيه لوحات التسجيل الرياضية، والأسقف، والجدران، والكتب المدرسية، لشعارات الشركات والإعلانات بنسبة 539 بالمائة.

ملأت كولورادو سبرينغس، التي لم يرضها بيع نفسها إلى كوكاكولا فقط، باصات مدارسها بالملصقات الإعلانات لشركات برغر كينغ، ووينديز، وعدة شركات كبرى غيرها. كما وُزعت على الطلاب أغلفة كتب مجانية تحمل إعلانات لشركة كيلوغ وصور لشخصيات من محطة فوكس تي في.

بعد أن قرر أعضاء الوحدة المدرسية المستقلة غرايبفاين كوليفيل في

نموذج جنرال موتورز فوائد الرأسمالية وكيف تدير شركة – مثل GM.

وأي طريقة أفضل لغرس شعار شركة ما في أذهان أطفال الأمة من التلفزيون والإنترنت الموجهين مباشرة إلى داخل الصف. ارتفع التسويق الإلكتروني 139 بالمائة، وفيه تقدم الشركة البرامج أو المعدات للمدرسة مقابل حقها في توجيه إعلاناتها إلى الطلاب.

أحد الأمثلة هي شركة زاب مي، التي تقدم إلى الطلاب مخبر كمبيوتر مجاني وحق الدخول إلى مواقع مختارة سلفاً على الإنترنت. ومقابل ذلك، على المدرسة أن تعد باستخدام المختبر على الأقل أربع ساعات في اليوم. وما الهدف من ذلك؟ يحتوي مستعرض الوب لموقع زاب مي إعلانات مجدولة دائمة – وبذلك تجمع الشركة معلومات عن عادات الطلاب في الاستعراض (التصفح)، معلومات يمكنها بيعها بعد ذلك إلى الشركات الأخرى.

وربما يكون تلفزيون القناة الأولى هو الأسوأ من بين المسوقين إلكترونياً. يشاهد ثمانية ملايين تلميذ في 12,000 صف دراسي القناة الأولى، برنامج من الأخبار والإعلانات داخل المدرسة، يومياً. (هذا صحيح: يومياً.) يقضي التلاميذ الآن ما يعادل ستة أيام دراسية كاملة في العام بمشاهدة القناة الأولى في حوالى 40 بالمائة من المدارس الأميركية المتوسطة والثانوية. وما مقدار الوقت التدريسي الضائع لصالح الإعلانات لوحدها؟ يوم كامل في السنة. وهذا يتحول إلى كلفة سنوية تقع على عاتق دافعي الضرائب مقدارها 1.8 مليار دولار.

بالتأكيد يتفق الأطباء والمثقفون على أن أطفالنا لا يتمكنون أبداً من مشاهدة التلفزيون بالقدر الكافي. وربما هناك متسع من الوقت في المدرسة لبعض البرامج التلفزيونية – لدي ذكريات أثيرة عن عرض انطلاق رواد الفضاء على التلفزيون في قاعة الاستماع في مدرستي. ولكن من الاثنتي عشرة دقيقة التي تبثها القناة الأولى يومياً، 20 بالمائة فقط من البث المباشر مخصص لقصص عن السياسة، والاقتصاد، والقضايا الثقافية والاجتماعية. وذلك يترك 80 بالمائة

تكساس بأنهم لا يريدون إعلانات تجارية في الصفوف، سمحوا برسم شعارات شركتي الدكتور بيبر وسفن أب على أسقف اثنين من مدارسها الثانوية. تقع هاتان المدرستان، ليست مصادفة، تحت طريق الرحلات الجوية لمطار دالاس.

ولا تبحث الشركات عن وسائل للإعلان فقط، فهي مهتمة أيضاً بالمفاهيم التي يحملها الطلاب عن المنتجات المتنوعة. وهذا هو السبب الذي يدعو الشركات، في بعض المدارس، لإجراء أبحاث تسويقية في الصفوف خلال ساعات المدرسة. تذكر مؤسسة المصادر التسويقية التعليمية في كنساس "بأن الأولاد يجيبون بصراحة وسهولة على الأسئلة والمنبهات" في حالة الصف. (بالطبع، هذا ما يُفترض عليهم فعله في الصف – ولكن لما يفيدهم هم وليس لمنفعة بعض المستطلعين الشركاتيين.) على كل حال، إن إجراء تحقيقات عن التسويق بدلاً من التعليم ليس هو ما ينبغي عليهم القيام به.

كما تعلمت الشركات أيضاً أن بإمكانها الوصول إلى هذا الجمهور الضيق عن طريق "رعاية" المقررات التعليمية، التي ازدادت، كالوسائل الأخرى، بنسبة هائلة بلغت 1,875 بالمائة منذ التسعينيات.

لقد عرض المعلمون شريط فيديو عن شركة النفط شل أويل يعلم الطلاب بأن الطريقة المثلى لاختبار الطبيعة تتمثل بالذهاب إلى هناك – بعد ملء خزان سيارتك الجيب من محطة وقود شركة شل. وأعدّت شركة إكسون موبايل برامج تدريسية عن الحياة الطبيعية المزدهرة في خليج برينس ويليام ساوند، موقع الكارثة البيئية التي تسبب بها تدفق النفط من ناقلة النفط إيكسون فالديز. إضافة إلى كراس ترعاه شركة هيرشي للشوكولاته استُخدم في العديد من المدارس يعرض "ماكينة شوكولاته الأحلام،" ويتضمن دروساً في الرياضيات، والعلوم، والجغرافيا – والتغذية.

يُزوّد مقرر الاقتصاد في عدد من المدارس الثانوية من قبل شركة جنرل موتورز، التي تكتب وتؤمن الكتب المدرسية ومخطط المقرر. يتعلم الطلاب من

للإعلانات، والرياضة، والطقس، والأفلام، والأمور الترويجية الخاصة بالقناة الأولى.

تُشاهَد القناة الأولى بشكل غير متكافئ في مدارس المجتمعات ذات الدخل القليل التي تحوي أعداداً كبيرة من الأقليات، حيث يُرصد أقل الأموال للتعليم، وحيث يُنفَق أقل المبالغ على الكتب المدرسية والمواد التعليمية. وطالما تتلقى هذه الوحدات المدرسية حسنات من الشركات، فسيبقى إخفاق الحكومة في تأمين الاعتمادات المالية المدرسية المناسبة بدون أي انتقاد.

هل يحتمل أن تطلق النار في المدرسة؟

القائمة التالية هي قائمة بالصفات التي عرّفتها FBI على أنها "عوامل خطورة" بين التلاميذ الذين يمكن أن يرتكبوا أفعالاً عنيفة. ابتعد عن أي تلميذ يظهر علامات مثل:

- ضعف في المهارات القتالية.
- القدرة على الوصول إلى الأسلحة.
- الإحباط.
- إساءة استعمال الكحول والأدوية.
- العزلة.
- النرجسية.
- حس غير ملائم بالفكاهة.
- استعمال غير محدود وغير مراقَب للتلفزيون والإنترنت.

بما أن هذه القائمة تشملكم كلكم، انسحبوا من المدرسة على الفور. إن التعليم المنزلي ليس خياراً قابلاً للتطبيق، لأنك يجب أن تكون أيضاً بعيداً عن نفسك.

بالنسبة للعديد منا، المرة الوحيدة التي ندخل فيها إلى مدرسة ثانوية أميركية هي عندما نصوت في دائرتنا الانتخابية المحلية. (من السخرية أن يدخل المرء للاشتراك في الطقس المقدس للديمقراطية في الوقت الذي يرزح فيه

وما هي حقوقك في القانون وفي سياسة الوحدة المدرسية الرئيسية أيضاً. سيساعدك هذا الأمر في الحيلولة دون الوقوع في مشاكل لست بحاجة لها.

يذكر دافيد شانكيولا، طالب جامعي ساعدني في هذا الكتاب، بأنه عندما كان في المدرسة الثانوية في كنتاكي، وجد هو وأصدقاؤه قانوناً غريباً في الولاية يقول بأن أي طالب يطلب يوم إجازة للذهاب إلى معرض في الولاية يجب أن يُعطى هذا اليوم. ربما أصدر المجلس التشريعي في الولاية هذا القانون منذ سنوات لمساعدة فتىً مزارع في أخذ خاروفه الثمين إلى المعرض بدون أن يُعاقب في المدرسة. ولكن القانون كان ما يزال في الكتب، وكان يعطي أي تلميذ الحق بطلب يوم إجازة للذهاب إلى معرض ولاياتي – بغض النظر عن السبب. ويمكنك أن تتصور النظرة على وجه المدير عندما قدم دافيد وأصدقاؤه المدنيون طلباتهم لأخذ يوم إجازة من المدرسة – ولم يكن بوسع المدير أن يفعل أي شيء.

إليك بعض الأشياء القليلة التي يمكنها القيام بها:

1. اسخر من التصويت.

إن مجلس الطلاب وانتخابات الصف أكبر تضليل تقوم به المدرسة لتعزيز الوهم بأن لك في الواقع صوتاً في إدارة المدرسة. ومعظم الطلاب الذين يرشحون أنفسهم لهذه المناصب إما أنهم يأخذون هذه اللعبة التمثيلية على محمل الجد – وإما أنهم يعتقدون بأن هذا الأمر سيبدو جيداً عندما يتقدمون إلى الجامعة.

إذاً لماذا لا ترشح نفسك؟ رشح نفسك فقط لتسخر من هذه المسألة السخيفة برمتها. شكّل حزبك الخاص، مع اسم غبي خاص به. خض حملتك بوعود مثل: إذا انتُخبت، فسأغير الشعار الجالب للحظ للمدرسة إلى رمز لوحيد الخلية، أو إذا انتُخبت، فسأصر على أن يأكل المدير وجبة الغداء المدرسية يومياً قبل أن تُقدم

إلى الطلاب. ضع لوحات تحمل شعارات: "صوتوا لي – فاشل حقيقي!"

وإذا انتُخبت، يمكنك عندئذ أن تكرس طاقاتك من أجل القيام بأمور ستقود الإدارة إلى الجنون، ولكن عليك أن تساعد زملاءك الطلاب (طالبوا بتقييمات للأساتذة من قبل الطلاب، وكمية أقل من الفروض المنزلية لكي تتمكنوا من الخلود إلى النوم قبل منتصف الليل، إلخ).

2. أسس نادياً مدرسياً.

لديك الحق بالقيام بذلك. ابحث عن أستاذ متعاطف ليكفل النادي. نادي تأييد الاختيار. نادي الكلام الحر. نادي توحيد مدينتنا. اجعل من كل عضو فيه "رئيساً" للنادي حتى يستطيع الجميع الادعاء بذلك عند تقديم طلباتهم إلى الجامعة. حاول طالب أعرفه إنشاء نادٍ للمساواة بين الجنسين، ولكن المدير لم يسمح به لأنهم حينئذ سيصبحون ملزمين بإعطاء وقت موازٍ لنادي شوفيني (مغالٍ في حب الوطن) ذكوري. ذلك هو نوع التفكير الذي ستواجَه به، ولكن لا تستسلم. (إذا وجدت نفسك في نفس الموقف، ما عليك إلا أن تقول حسناً – واقترح بأن يدعم المدير ذلك النادي الشوفيني.

3. أصدر صحيفتك أو مجلتك على الإنترنت.

يصون لك الدستور هذا الحق. وإذا راعيت ألا تكون بذيئاً، أو مشهّراً، أو تعطهم أي سبب لإقفال ما تقوم به، يمكن أن تكون هذه طريقة رائعة لنشر حقيقة ما يجري في مدرستك. استعمل الفكاهة، فالطلاب سيحبون ذلك.

4. كن فاعلاً في المجتمع.

اذهب إلى اجتماعات مجلس التعليم وأعلمهم بما يجري في المدرسة. طالبهم بتغيير أشياء معينة. سيحاولون تجاهلك أو حملك على الجلوس في

اجتماع طويل ممل قبل السماح لك بالكلام، ولكنهم مجبرون على السماح لك بالكلام. اكتب رسائل إلى رئيس تحرير صحيفتك المحلية. لا يملك البالغون دليلاً على ما يجري في مدرستك الثانوية. زودهم بالمعلومات، وهناك احتمال كبير بأنك ستجد شخصاً لمساندتك.

ستُحدث أي من هذه الأشياء أو كلها بلبلة حقيقية، ولكن هناك من يمكنه المساعدة إذا احتجت لها. اتصل بالفرع المحلي لاتحاد الحريات المدنية الأميركية إذا حاولت المدرسة الانتقام. هدِّد بالدعاوى القضائية – يكره مجلس إدارة المدرسة هذه الكلمة. تذكَّر فقط: لا يوجد أبداً شيء يشعرك بالرضا مثل رؤية تلك النظرة على وجه المدير عندما تكون يدك هي العليا. استعملها.

ولا تنسى أبداً:

لا يوجد سجل دائم!

الفصل السادس

يا له من كوكب جميل، موطن ليس لأحد

أود أن أبدأ هذا الفصل بالكشف عما أعتقد بأنه أحد أعظم الأخطار التي تهدد بيئتنا.

أنا...

ذلك صحيح... أنا كوم من بيتي يجلس على الأرض.

أنا أساس كل الكوارث البيئية في العالم.

لنبدأ بهذا الأمر: أنا لا أحب تدوير النفايات.

دعني أسألك هذه الأسئلة: هل تعرف حقاً أين تذهب كل تلك الحراة بعد إنزالها في مركز إعادة التدوير؟ أو أين تصبح زجاجات المياه الغازية بعد ... تضعها في حاويات إعادة التدوير الزرقاء؟ أي مرفق سيعيد تدويرها؟ من يقول ذلك؟ هل لحقت يوماً الشاحنة التي تأخذ نفاياتك القابلة لإعادة التدوير لترى إلى أين تذهب؟ هل تهتم؟ هل يكفيك أن تفصل زجاج عن البلاستيك والورق عن المعدن – وتترك سير العملية حتى نهايتها لشخص آخر؟

لا أستطيع الكف عن الاندهاش من طبيعة الحلقات المفرغة التي تشبه طبيعة الفواكه وطاعتنا العمياء للسلطة. إذا كانت الملائكة تقول "إعادة تدوير"، فنحن نقوم بدورنا، ونفترض بأن كل شيء نضعه هناك سيعاد تدويره. إذا كانت صفيحة القمامة زرقاء، فنحن سنعتقد بأن تلك صمالة أكيدة بأن الفوازير الزجاجية التي نضعها هناك ستُسحق، وتذاب، وتُحول إلى زجاجات جديدة.

عليك أن تعيد التفكير ثانية.

ذات ليلة، لدى عودتي من العمل في وقت متأخر، شاهدت عمال القمامة يرمون أكياس النفايات الزرقاء الصافية المليئة بالزجاج في الآلة الساحقة للنفايات في الشاحنة إلى جانب النفايات الأخرى. سألت الرجل الذي يعمل في بنائنا إذا كان ذلك طبيعياً.

قال "لديهم الكثير من النفايات ليرفعوها"، "أحياناً لا يجدون متسعاً من الوقت للفصل بين كل الأشياء."

تساءلت إذا كان ذلك الأمر مجرد حالة شاذة – أو هي العادة.

وهنا بعض الأشياء التي اكتشفتها:

في منتصف التسعينيات، اكتشف الناشطون الهنود بأن شركة بيبسي كانت تخلق مشكلة معقدة في مسألة التخلص من النفايات في بلادهم. كانت زجاجات بيبسي البلاستيكية المستعملة المسلَّمة إلى الولايات المتحدة من أجل إعادة التدوير تُشحن ثانية إلى الهند لكي يعاد تدويرها إلى زجاجات بيبسي أو أي علب بلاستيكية أخرى. ولكن المدير الأول لمعمل فوتورا الصناعي الذي يقع خارج مدينة مدراس، حيث تُلقى معظم النفايات، اعترف بأن الكثير منها لم يُعد تدويره أبداً. ولزيادة الطين بلة، في نفس الوقت الذي انكشفت فيه حقيقة إعادة التدوير تقريباً، أعلنت شركة بيبسي بأنها ستفتح شركة في الهند لصنع – بالطبع – زجاجات تستعمل لمرة واحدة قابلة للتخلص منها معدة للتصدير إلى الولايات المتحدة وأوروبا، مخلفة المنتجات الثانوية السمية وراءها في الهند. وهكذا بينما كانت الهند تتحمل العواقب الصحية والبيئية، كان المستهلكون في البلدان الصناعية يستخدمون المنتجات البلاستيكية بدون معاناة من أية مخلفات. وطوال ذلك الوقت كنا نحن المستهلكون نتجول بسعادة غامرة، واثقين من أننا كنا نحسّن من بيئتنا بواسطة إعادة التدوير.

في مثال آخر، تعاقدت مجلة في سان فرانسيسكو مع شركة لإعادة تدوير الورق من أجل انتشال نفايات كل أوراقها شهرياً. وعندما لحق أحد الموظفين بالشاحنة ذات يوم، رأى الورق الذي كان سيُدوَّر وهو يُرمى مع نفايات مغلفات ماكدونالد وأكواب ستارباكس. وعندما ووجهت الشركة بذلك أنكرت الأمر.

في عام 1999، وفي تحقيق عن مصير كل النفايات التي ينتجها الكونغرس تبين أن 71 بالمائة من 2,670 طن من النفايات الورقية التي استُخدمت في تلك السنة بواسطة المجلس التشريعي لم يُعد تدويرها لأنها اختلطت مع بقايا الأطعمة ومواداً أخرى غير قابلة لإعادة التدوير. وفي تلك السنة بالذات رُمي حوالى 5,000 طن من الزجاجات، وعلب الألمنيوم، والكرتون، والنفايات الأخرى القابلة للتدوير ببساطة في مكب للنفايات تحت الأرض، في كابيتول هيل (المنطقة التي يوجد فيها البيت الأبيض والكونغرس والمحكمة العليا) ولم يستفسر أحد عن الموضوع. لو أعاد الكونغرس تدوير هذه المخلفات بطريقة مناسبة لوفر على دافعي الضرائب ما يزيد عن 700,000 دولار.

وهكذا في مثال بعد الآخر، وجدت الشيء ذاته، إذ لم يكن هناك عملية إعادة تدوير حقيقية تحدث. لقد كنا نتعرض للخديعة.

لهذا السبب توقفت عن إعادة التدوير. لقد استنتجت بأنني عندما كنت أعيد التدوير، كنت في حقيقة الأمر أبتعد عن تحمل المسؤولية، إذ طالما كنت أقوم بواجبي الصغير المتمثل بالفصل بين الورق والمعدن والزجاج، لم يكن مطلوباً مني فعل أي شيء آخر للحفاظ على كوكب الأرض، وبما أن جرائدي وزجاجاتي وعلبي أُلقيت في البراميل الملونة المناسبة، يمكنني حينئذ أن أريح ضميري وأثق بأن هناك شخص ما سيكمل بقية العمل. أما هناك في الخلف داخل سيارتي المغلقة الصغيرة، بالوعة الوقود، فمسألة أخرى.

نعم، أنا أملك سيارة مغلقة صغيرة. إنها تقطع 15 ميلاً في الغالون، حوالى 7 أميال أقل مما تقول الملصقة. إنها واسعة وتسير بطريقة ناعمة وترتفع قدماً

واحداً عن بقية السيارات أمامي وهكذا أتمكن من رؤية كل شيء.

كيف تستخدم وقوداً أقل

• تطفّل على السيارات واطلب منهم أن يأخذوك معهم (hitchhike). ستعرفك هذه الطريقة بأناس جدد وستدخل في حوارات ممتعة. ميزة إضافية: هناك احتمال قوي بأن تظهر في برنامج أكثر المطلوبين في أميركا (في دور مساند) أو في فيلم تلفزيوني عن حياة "امرأة في خطر."

• عش في مدينة يكون فيها نظام للنقل العام. ولكن أرجوك لا تأتِ إلى نيويورك فهي مزدحمة سلفاً. جرب مدينة أميركية أخرى يكون نظام النقل العام فيها شامل ويمكن الاعتماد عليه مثل... مثل... حسناً... أوه، انسَ الأمر، تعال إلى نيويورك. لدي مكان إضافي، يمكنك الإقامة معي.

• اسحب الوقود من السيارات المتوقفة في المطارات. إنها لن تذهب إلى أي مكان. من المعيب أن يُهدَر كل هذا الوقود القابع هناك في هذه الأيام التي تعرف تماماً ماذا يعني الهدر. وعلاوة على ذلك، إنها خطر يهدد الأمن: تخيّلْ فقط ماذا سيحصل لو أن طائرة ستتحطم فوق واحدة من تلك الأماكن المخصصة لإيقاف الآلاف من السيارات الممتلئة عن آخرها بالوقود شديد الانفجار. من المؤكد أن حلقك قد جف.

• قُدْ سيارتك خلف أنصاف الشاحنات الكبيرة حتى تخف مقاومة الريح لك. ربما ينصح خبراء الأمان في الطرق العامة بعكس هذه الطريقة، ولكنها ناجحة. يمكنك قيادة سيارتك على السرعة الاقتصادية والجلوس والاستمتاع بالمناظر الطبيعية. ولكن هناك عائق: قد تجد نفسك في موقف بعيد للشاحنات وأنت تُضرب من قبل شخص بوشم على جبينه يقول "استفزني."

• اسكن في مكتبك أو مكان عملك. سيخلصك ذلك من ثمن استهلاك الوقود للانتقال بين البيت ومكان العمل وكذلك من دفعات بدلات الإيجار الشهرية المزعجة. ميزة إضافية: ستثير إعجاب المدير لكونك دائماً أول من يدخل وآخر من يغادر.

أعرف بأن بعض الناس يقولون بأننا نحن الأميركيين مدللين للأسعار المتدنية للوقود بالمقارنة مع بقية العالم الذي يدفع أكثر مما ندفع بثلاثة أضعاف.

ولكن، هاي، هذه ليست بلجيكا، حيث يمكنك التجول في البلد بأكمله تقريباً في غضون خمس وثلاثين دقيقة تقريباً. نحن نعيش في بلد ضخم. ونحن بحاجة للتجول! لدينا أماكن نقصدها، وأموراً نقضيها. يجب أن يفهم العالم بأنهم يستفيدون من قدرتنا على التنقل من النقطة (أ) إلى النقطة (ب). وإلا فكيف سيتمكن الأميركيون من الانتقال من وظيفتهم الأولى في النهار إلى وظيفتهم الثانية في الليل – وذلك كله جزء من خطة أكبر لتكوين اقتصاد عالمي – إذا لم يكن لديهم سيارات؟

أنت تعلم، فأنا من فلينت، ميتشغان – مدينة السيارات، حتى لا أزعجك بقولي مدينة المحركات. ونحن نبعد ساعة واحدة إلى الشمال من ديترويت، وفي وقت من الأوقات كانت كل سيارات البويك في العالم تصنع في مسقط رأسي. ولكننا لم نعد نصنع سيارات بويك الآن.

لقد أدت تنشئتنا في حضارة السيارات إلى النظر إلى السيارة على أنها امتداد لأنفسنا، فالسيارة هي غرفة الستيريو الخاصة بنا، وغرفة أكلنا، وغرفة نومنا، وغرفة المكتب، وغرفة القراءة، وأول مكان تقوم فيه بأي شيء له معنى في حياتنا.

عندما بلغت سن الرشد، قررت بأنني لا أريد سيارة جنرال موتورز، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى أنها كانت تتعطل أكثر مني. ولذلك كنت أشتري سيارات فولسفاغن وهوندا وأتجول بها في أنحاء المدينة بفخر. وإذا سألني أي شخص لماذا لم "تشتر سيارة أميركية،" كنت أجعلهم يفتحون غطاء محرك سيارتهم وأريهم الصفيحة الموجودة على محركهم المكتوب عليها صُنع في البرازيل، وعبارة صُنع في المكسيك المنقوشة على حزام مروحتهم، وبطاقة التعريف صُنع في سنغافورة على الراديو. ماعدا البطاقة الموجودة على لوحة أجهزة القياس التي توحي بأن السيارة بأكملها مصنوعة في أميركا، ما هو الشيء الذي يستطيعون الإشارة إليه في سيارتهم يدل على أنه قد منح بالفعل

عملاً لشخص ما في فلينت؟

لم تتعطل سيارتي الهوندا سيفيك أبداً. طوال ثماني سنوات و115,000 ميل، لم آخذها إلى محل التصليح لأي سبب باستثناء أعمال الصيانة الاعتيادية المنتظمة. وفي اليوم الذي توقفت فيه عن العمل كنت مفلساً وعاطلاً عن العمل وعالقاً في وسط جادة بنسلفانيا على بعد أربعة شوارع من البيت الأبيض. خرجت منها، وركنتها إلى جانب الطريق، ونزعت الصفائح المعدنية وقلت لها وداعاً.

ولم أشتر سيارة أخرى لمدة تسع سنوات، فعملي في نيويورك لمعظم الوقت لم يدعني أحتاج لها، وذلك بفضل نظام النقل العام في المدينة وسائقي الأجرة الموثوقين. ولكن، لأنني الآن أقضي الكثير من الوقت في ميتشيغان، فقد سئمت من استئجار السيارات من شركة آفيس واشتريت سيارة مغلقة صغيرة من طراز كريسلر. وإلى هذه الدرجة سأقول – لن تروني أبداً أحشر نفسي كقطعة نقانق وأتجول في واحدة من تلك العلب الصفيحية الصغيرة ثانية!

إن تأثير محرك الاحتراق الداخلي في ما يخص مسألة سخونة الأرض أكبر من تأثير أي شيء آخر على هذا الكوكب، إذ أن نصف المواد الملوّثة في هوائنا تقريباً تأتي من ذلك الشيء المنبعث من سياراتنا – وتلوث الهواء ذاك هو المسؤول عن 200,000 حالة وفاة في العام. وتزيد سخونة الأرض من درجة حرارة العالم سنة بعد سنة، الأمر الذي قد يؤدي إلى ارتفاع خطر الجفاف في بعض البلدان وإلى عواقب خطيرة على الزراعة والصحة. في الواقع، إننا قريبون جداً من إحداث كارثة فظيعة إذا لم نعرف كيف نخفض درجة الحرارة.

ولكن يجب أن ترى كيف تعمل هذه السيارة المغلقة الصغيرة! إنها هادئة جداً في الداخل – طبعاً قبل أن أرفع صوت مجموعة التسجيل التي تجمع بين نظامي الشريط والقرص المدمج، والمستكملة بواسطة ثماني مكبرات للصوت. بهذه السيارة يمكنني قطع 400 ميل في الساعة والموسيقى على أعلى صوت،

والمكيف على أعلى درجة، والهاتف المتصل بالأقمار الصناعية الذي لا يحتاج إلى اليدين جاهز لتلقي المكالمة البالغة الأهمية من روبرت مردوك لكي يشكرني على العمل البديع في كتابي هذا وإعلامي بأن موعد إعدامي قد تأجل إلى يوم الخميس حتى لا يتعارض مع برنامج أكثر شرائط الفيديو الخاصة بحوادث إطلاق النار في المدارس إضحاكاً في أميركا.

لقد أثبتت ديترويت بأنها تملك التكنولوجيا الكفيلة بإنتاج سيارات بالجملة تقطع 45 ميلاً في الغالون وشاحنات وسيارات مغلقة تقطع 35 ميلاً في الغالون. في السنة التي أبلغت فيها شركات السيارات عن تحقيق أفضل نسبة في الأميال المقطوعة في الغالون الواحد – عام 1987، خلال حكم الرئيس رونالد ريغان– كانت السيارة تقطع 26 ميلاً في الغالون. ومع ذلك، بعد ثماني سنوات من حكم بيل كلينتون المحب للبيئة – الذي وعد بأن السيارات ستقطع 40 ميلاً في الغالون مع نهاية رئاسته– انخفضت النسبة إلى 24.7 ميلاً في الغالون. أقامت جنرال موتورز حفلة سخية بذخة في واشنطن لكلينتون في يوم توليه الحكم من عام 1993. أعتقد بأنه من غير اللائق إزعاج مضيف الحفلة التي أُقيمت على شرفك.

وكانت عطية كلينتون الكبرى إلى أكبر ثلاث شركات لصناعة السيارات هي إعفاء سيارات SUV من متطلبات نسبة الأميال المقطوعة في الغالون الواحد التي تحققها سيارات الركاب العادية. وبسبب هذا الإعفاء، تستخدم هذه السيارات الشرهة للبنزين 280,000 برميل إضافي من الوقود يومياً. إن الحاجة للوقود واحدة من أسباب ضغط إدارة بوش من أجل التنقيب عن البترول في المحمية الوطنية القطبية الشمالية في ألسكا. يقول بوش بأن التنقيب سيجلب لنا 580,000 برميل إضافي يومياً، ما يكفي لمضاعفة عدد سيارات SUV على الطرقات.

ومع ذلك، فكّر فيما يلي: لو أُجبرت سيارات SUV من قبل إدارة كلينتون

ربما يملك جورج الشاب وجهة نظر في هذه المسألة. مع ذلك، فأنا أحبها دافئة. في الواقع، لو أنني آتٍ من ميتشيغان، بلد الشتاءات القاسية والصيف الذي يدوم ثلاثة أسابيع، لاستمتعت أكثر بهذا الطقس "المعتدل." اسأل الناس إذا كانوا يفضلون قضاء يوم محرق جميل على الشاطئ أو يوم قارس يجعل ألسنتهم تلتصق إلى أسنانهم في ألبرتا، وسأراهنك بأن 9 من 10 أميركيين سيضعون منذ الآن نظاراتهم الشمسية. وماذا إذا كنت بحاجة إلى واقٍ من الشمس يعادل 125 SPF؟

على أي حال، حصل أمر في الصيف الماضي وجدته مروعاً إلى حد ما. أعلنت نيويورك تايمز بأنه وللمرة الأولى في التاريخ المعروف يذوب القطب الشمالي. أحدث الخبر هلعاً كبيراً إلى درجة أن الصحيفة اضطرت إلى تعديله، محاولة التأكيد لنا: إنه لم يذب فعلاً، ولكنه مجرد ذوبان بسيط. صحيح. ما زلت أذكر آخر مرة حاولوا فيها تهدئة الأمور – في التسعينيات، عندما أخبرونا عن الكويكب الكبير الذي كان في طريقه إلى الاصطدام بالأرض في وقت ما من العشرين سنة القادمة. ومرة أخرى سحبوا الخبر على الفور، ولكن عليهم أن يعرفوا بأننا نستطيع أن نتبين الحقيقة من بين هذه التراجعات. لن تخبرنا القوى الموجودة متى ستصبح النهاية وشيكة، لما قد يسببه ذلك من فوضى هائلة وإلغاء في الاشتراكات في الصحيفة.

حصل العصر الجليدي الأخير نتيجة تغير في درجة حرارة الأرض بلغ 9 درجات فقط. في الوقت الحالي، نحن مازلنا في منتصف الطريق. يتوقع بعض الخبراء ارتفاعاً في درجة الحرارة يبلغ 10.4 درجة في القرن القادم فقط. في فنزويلا، ذاب أربعة من ستة أنهار جليدية في البلاد منذ العام 1972. لقد انتهت تقريباً الثلوج الخرافية في كيليمانجارو. وعندما بُنيت المنارة في كايب هاتيراس في العام 1870، كانت تبعد 1,500 قدماً عن الشاطئ، والآن ارتفع المد ووصل إلى 160 قدماً منها، ولهذا توجب نقل المنارة إلى مسافة أبعد داخل البر.

158

على تحقيق نفس معايير الأميال المقطوعة في الغالون الواحد التي تحققها سيارتي المغلقة الصغيرة (تحسُّن يبلغ بضعة أميال فقط في الغالون)، لم يكن لبوش أي عذر للتنقيب في ألسكا.

مع كل سيارات SUV على الطرقات، لم يعد بإمكاني رؤية أبعد من السيارة التي تسير أمامي. إنها كبيرة جداً ومرعبة، وتشبه سيارات سباق بثمانية عشر دولاباً وهي في أقصى سرعتها. ما هو الهدف بالضبط من سيارات SUV؟ في البداية، لقد طُوِّرت لكي تسمح للمرء بالسير في مكان مجهول حيث لا يوجد طرقات. أنا أتفهم بأن هذا يعتبر منطقياً في مونتانا، ولكن ما الذي يفعله كل هؤلاء الشبان المدنيون المتعلمون داخل هذه السيارات في منتصف شارع مزدحم في مانهاتن؟

في حزيران من العام 2001، أعلنت مجموعة من أكبر العلماء الأميركيين بأن ارتفاع درجة حرارة الأرض هي مشكلة حقيقية، وبأنها تزداد سوءاً. في دراستهم هذه، التي طُلبت من قبل بوش، استنتجت هذه المجموعة المؤلفة من أحد عشر عالماً جوياً (من بينهم عدة علماء كانوا متشككين بخصوص حجم المشكلة) بأن النشاط البشري مسؤول إلى درجة كبيرة عن ارتفاع درجة حرارة جو الأرض – وأننا في مشكلة خطيرة من حيث النتيجة.

لقد وضع نشر الدراسة جورج "أنا أنام نوماً هنيئاً" بوش في موقف صعب، فقد تجنب هو وأعضاء آخرون من إدارته عمداً استخدام عبارة "سخونة العالم" وعبروا مراراً عن شكوكهم حيال فكرة أن تلوث الهواء كانت تسخن الجو بأشكال خطيرة. كما أثار بوش غضب قادة العالم في تموز من العام 2001 عندما رفض بروتوكول كيوتو، معاهدة تفاوض عليها في الأساس أكثر من 160 دولة (بما فيها الولايات المتحدة) وكانت تهدف إلى تخفيض سخونة الأرض.

ولكن، الآن، علماء بوش أنفسهم هم الذين يقولون بأن الأرض في طريقها نحو كارثة كبرى.

قد يؤدي ذوبان الجليد القطبي إلى ارتفاع مياه المحيطات حتى 30 قدماً، الأمر الذي سيؤدي إلى مسح كل مدينة ساحلية موجودة – وإزالة ولاية فلوريدا بالكامل (حجرات الاقتراع وكل شيء).

كيف تبقى حياً رغم سخونة العالم

- حدد الأشياء المنزلية المألوفة التي تصلح لأن تكون أدوات تساعد على الطفو عندما تذوب قمم الجليد. اهتم بشكل خاص بالأشياء المصنوعة من المواد الاصطناعية المركبة، التي تميل لأن تكون مقاومة للماء.
- لا تنسى أن تنظر في الخارج، أيضاً – تلك الكراسي المقاومة للماء، بمقابضها التي تشبه ماسكة الفنجان، ستطفو في المحيط تماماً كما تطفو في حوض السباحة في الفناء الخلفي لمنزلك. من يقول بأن الذوبان القطبي الكارثي لا يمكن أن يكون ممتعاً؟
- تفحص الخرائط الطبوغرافية لمنطقتك لكي تحدد أعلى ارتفاع فيها. حدد أسرع الطرق إلى هناك. احتفظ بمثاقب النجاة.
- استثمر أموالك في أكياس زيبلوك وتلك الكاميرات الصفراء المقاومة للماء.

اتصل بالفرع المحلي من جمعية الشباب بخصوص دروس في السباحة. خذ دروساً. والآن: انتبه بشكل خاص إلى التعليمات المتعلقة بإبقاء جسدك طافياً بواسطة الرفس بقدميك ومساعدة يديك.

- غيّر خططك لقضاء العطلة من فلوريدا إلى مونتانا. أخبر أولادك بأن يحولوا حفلتهم في عطلة الربيع من دايتونا بيتش إلى بويز.

بمناسبة الحديث عن فلوريدا، فهذه الولاية يمكن أن تكون مسؤولة عن هذه الورطة المؤسفة. لماذا؟ اسأل السيد فيرون. قبل التكييف الهوائي، كانت فلوريدا وبقية المدن الجنوبية قليلة السكان، فقد كانت الحرارة والرطوبة لا تطاقان. أقصد بأنه بالكاد يمكنك التحرك في درجة حرارة تبلغ 38 درجة نهاراً في تكساس. والهواء كثيف جداً في نيو أورليانز إلى درجة أنك بالكاد تتنفس. لا

عجب أن الناس في الجنوب يتكلمون بطريقة غير مفهومة، فقد كان الطقس حاراً جداً إلى درجة تمنعهم من تشكيل سلسلة متصلة من الأحرف الصوتية والساكنة. وأعتقد أيضاً بأن هذا الحر اللاذع المثل للحركة هو السبب في عدم بروز أي إبداعات عظيمة، أو أفكار عظيمة، أو إسهامات في تطوير حضارتنا في الجنوب (مع استثناءات قليلة: ليليان هيلمان، ويليام فولكنر، آر جاي رينولدس). عندما يكون الطقس حاراً إلى هذه الدرجة، من يمكنه التفكير، يا رجل، دع جانباً القراءة؟

أمور كان الجنوب محقاً بشأنها

حتى أعدّل من وصفي للجنوب على أنها أرض أعضاء جمعية الكوكلوكس KKK الملطخين بألوان التعذيب والقواعد العسكرية المتحدة الحالية، طُلب مني أن أكتب قائمة بالأشياء التي ندين بالفضل للجنوب في إعطائها لنا.

هاهي:

- لحم البقر المحفوظ بالتجفيف.
- الليموناضة.
- الحفلات الفاخرة.
- السلوك الحسن.
- الموسيقى الريفية.
- القيلولة في الأرجوحة الشبكية.
- ملكات الجمال.
- مايكل جوردان.
- مخازن وال مارت.
- مصارعة التمساح.
- عالم والت ديزني.

بعدئذ، اختُرع المكيف الهوائي – وفجأة أصبح بإمكانك إنجاز بعض الأعمال في الجنوب. وامتلأت المنطقة بناطحات السحاب – وجاء الشماليون، السئمون من الشتاء، بأعداد كبيرة. لقد وجدوا أن بإمكانهم الذهاب إلى العمل بسياراتهم المكيفة، والعمل طوال النهار في مكاتبهم المكيفة، والدراسة طوال اليوم في جامعاتهم المكيفة. وبعد ذلك يمكنهم الذهاب في المساء إلى منازلهم المكيفة لكي يخططون لحفلة الشواء التي سيقيمونها لنادي الحي في عطلة نهاية الأسبوع.

وقبل أن ندرك ما يجري، تطور الجنوب وأصبح يسيطر على البلاد. واليوم، أمسكت الإيديولوجية المحافظة التي وُلدت في الجنوب الأمة بأكملها في قبضتها، واضعة إعلانات تحمل الوصايا العشر في الأماكن العامة، معلمة سفر التكوين، مصرة على الصلاة في المدرسة، محرّمة الكتب، مثيرة للحقد ضد الحكومة الفدرالية (الشمالية)، داعية لتخفيض الخدمات الحكومية والاجتماعية، متعطشة للذهاب إلى الحرب عند أقل إنذار، وساعية لحل أي مشكلة بواسطة العنف – هذه هي كل مزايا مشرعي القانون المنتخبين من الجنوب "الجديد."

ويحكم الجنوب الآن المحكمة العليا – وإذا كنت ما تزال غير مصدق، ما عليك إلا النظر إلى آخر أربعة انتخابات رئاسية. إذا أردت أن تكسب، فيجب أن تكون إما قد وُلدت في الجنوب أو اتخذته موطناً لك. في الواقع، في آخر عشرة انتخابات رئاسية، كان الفائز (أو مرشح المحكمة العليا) هو الشخص الأشد انتماءً إلى الجنوب أو الغرب. لم يعد بإمكان أي شخص من الشمال أن يُنتخب لقيادة هذه الأمة بعد الآن.

لقد جعل التكييف الهوائي من كل هذا الأمر ممكناً. والآن، بعد أن فتحنا الباب أمام السياسيين الجنوبيين والمناخات الجنوبية، أصبح بالإمكان أيضاً تصدير الرياح الجنوبية إلى العالم بأجمعه – عن طريق جعل الثقب في طبقة

الأوزون أمراً واقعياً. يوجد ذلك الثقب الآن فوق القارة القطبية الجنوبية، وهو أكبر من مساحة أوروبا بمرتين ونصف!

تحمينا طبقة الأوزون الموجودة في الغلاف الجوي للأرض من الأشعة فوق البنفسجية (UV)، التي تجلب السرطان لنا وتقتلنا. هذا الثقب الذي أحدثناه سببته كربونات الفلوريد المعالجة بالكلور (CFCs)، المواد الكيميائية المستخدمة بشكل رئيسي في المكيفات الهوائية والثلاجات التي تعمل بواسطة التبريد الهوائي والمستخدمة كمواد دافعة في العلب التي ترش المبيدات الحشرية والمواد التجميلية. عندما تنطلق هذه المواد الكيميائية في الجو، وتُضرب بواسطة موجات ضوئية عالية الطاقة مثل الأشعة فوق البنفسجية، فإنها تشكل مركبات كيميائية تدمر الأوزون. ومن هو المشارك الأكبر لـ CFCs في استنزاف الأوزون؟ إنها وحدات التبريد الهوائية في السيارات – أحد أفضل رفاق السفر في أميركا.

وهذا يذكرني بالشيء الكمالي الآخر الذي لا يستغنى عنه (حرفياً) وخاصة لشباب الأميركيين الفياضين بالطاقة: الماء المعلب بالزجاجات. ولماذا تشرب الماء من الحنفية أو النافورة مجاناً عندما تستطيع دفع 1.20 دولاراً مقابل نفس الشيء – والحصول على زجاجة بلاستيكية يمكنك الادعاء بأنك ستعيد تدويرها لاحقاً؟

كيف تتأكد من أن ماء شربك آمن

- اضغط على الكونغرس لجعل الماء المعلب الشراب الرسمي للأمة.
- أعد تمديد أنابيب المياه في المدينة وأوصلها مباشرة بمصادر مياه الينابيع المستخدمة بواسطة شركات تعليب المياه. وإذا كان ذلك يعني تمديد أنابيب تغذية تحت المحيط الأطلسي لاستجرار بعض من المياه النقية من جبال الألب، فليكن. إننا نملك كبلاً تلفونياً ممدداً تحت المحيط – يمكننا بالتأكيد وضع أنبوب بجانبه لكي نروي عطشنا.

لم أكن أشرب دائماً المياه المعلبة في نيويورك. في الواقع، اعتدت أن أضع ثقتي في الأسطورة الشعبية التي تقول بأن مياه نيويورك هي من بين أنظف المياه في العالم. لقد علمت بأن المياه نفسها تُجمَّع وتُخزّن في اثنين وعشرين مستودعاً مفتوحاً في جبال كاتسكيل والمنطقة العليا لنهر هادسون وتُجلَب إلى المدينة عبر نظام محكم من قنوات جر المياه. وكان الأمر كله يبدو جيداً.

ولكن ذات ليلة، في حفلة في منزل صديق، علَّق أحد معارفي بأنه هو وعائلته "تحاول الذهاب إلى كوخنا على مستودع كروتون كلما سنحت لنا الفرصة."

سألت، "كيف يمكن أن يكون لكم كوخ على شواطئ مياه شربنا؟"

"أوه، إنه ليس فوق المستودع تماماً. ولكنه على الطريق."

"تقصد بأنه يوجد طريق يحيط بالمياه التي نشربها؟ وماذا عن كل الترسبات من الطريق، كل ذلك البنزين المراق وما يقشط من الإطارات وغيرها؟"

"أوه، إنهم يعقمون كل شيء حالما تصل المياه إلى نيويورك،" أجاب.

"لا يمكنك تعقيم أي شيء حالما تصل المياه إلى هنا!" اعترضت. "حالما تصل إلى نيويورك ينبغي أن تكون قد عولجت مسبقاً بواسطة كل قاتل معروف للجراثيم."

ثم بدأ يتحدث بحماسة مفرطة عن روعة التجول بالقارب في أنحاء المستودع.

"قارب؟" صرخت. "أنت تتجول بالقارب في مياه شربي؟"

"أوه، بالتأكيد – وأصطاد، أيضاً! تسمح لنا الحكومة بإبقاء قاربنا بمحاذاة الشاطئ تماماً."

وهنا بدأت علب المياه المعدنية إيفيان تدخل إلى شقتي.

إضافات أخرى إلى الماء أود رؤيتها

تضيف الحكومة حالياً الفلورايد إلى مخزون المياه، بينما تصنع العديد من الشركات الممتازة منتجات تضيف الكافيين، والفيتامينات، ونكهات الفواكه، ومتعضيات مجهرية مسببة للأمراض إلى المياه المعلبة. ولكن، ألا يمكنهم القيام بما هو أفضل من ذلك؟ لماذا نوقف شيء يقول أطباء الأسنان بأنه مفيد لنا؟ ولكن، يوجد الفلورايد مسبقاً في معجون الأسنان! لم لا نوفر الماء مع هذه النكهات الشائعة:

- حساء لحم البقر.
- الأكلات التي تمزج بين المطبخ المكسيكي والتكساسي.
- معزز بالبروزك (دواء مضاد للاكتئاب النفسي).
- التوابل الحارة التي تتميز بها أكلات أهل لويزيانا!
- حلوى التوفي (toffee) بالصويا.
- بندورة مكتنزة.
- كوول رانش (خفيفة).

بالطبع، إن المظهر السلبي لماء الشرب المعلب (عدا ثمنه الباهظ)، كحاويات إعادة التدوير، يمنعني من إعارة أدنى اهتمام لحالة الماء في أميركا. طالما أستطيع بيع ما يكفي من الكتب بحيث أتمكن من دفع ثمن مياه الينابيع "الفرنسية،" لماذا أهدر الوقت في القلق بشأن المركبات السامة، كلور البيفينيل المتعـــدد (PCB)، التي ألقتها شركة جنرال إلكتريك في نهر هادسون؟ على أي حال، منذ مئات السنين كان الهنود يلقون نفاياتهم في ذلك النهر أيضاً، والمستوطنون البيض الأوائل استخدموه كمصرف دائم لبواليعهم. وانظر إلى العاصمة العظيمة التي بنوها!

كانت مانهاتن من أفضل الأماكن التي تحصل فيها على شريحة لحم بقر (ستيك). وحتى قبل بضع سنين فقط، لا أعتقد بأنه قد مر يوم واحد لم آكل فيه لحم البقر – وغالباً مرتين في اليوم. بعدئذ، وبدون سبب واضح، توقفت عن

وتكمن مشكلة PBB في أن الجسم لا يطرحها أو يتخلص منها بأي حال من الأحوال. إنها تبقى في معدتك وجهازك الهضمي. وعندما كُشف هذا الفشل الذريع – وعلمنا بأن ولاية ميتشيغان كانت تحاول كتم الخبر عن العامة– كان رد سكان ميتشيغان عنيفاً جداً. رؤوس دُحرجت، وسياسيون طُردوا من مناصبهم. قيل لنا بأن العلماء لم يكن لديهم أدنى فكرة عما يمكن أن تفعله PBB بنا – وأننا ربما لم نكن لنكتشف الأمر لمدة خمس وعشرين سنة أخرى.

أشياء أخرى أكلتها

كانت معدة للاستخدام الصناعي

- الكعك الشعبي المحشو بالمربى.
- المشروب الغازي تاب.
- رغيف اللحم الخاص بأمي.
- مشروب تانغ.
- معلبات سبام.
- كرات هوستس بينك سنو.
- المادة الموجودة ضمن "الشفاه" المطاطية.
- نقانق الإقطار في الطائرة.

ولكن هناك تهديد بقري أشد خطراً يسري بيننا اليوم – تهديد لا يعرف ولاية أو حدوداً إقليمية، تهديد يستحق اللقب الذي يلبسه كجرس حول الرقبة.

جنون البقر.

لم يواجه العرق البشري قط تهديداً أشد رعباً منه. إنه أسوء من الإيدز، وأسوء من الطاعون الأسود، وأسوء من عدم تنظيف أسنانك بالخيط.

مرض جنون البقر ليس له علاج. وليس له لقاح مضاد. وكل من يصاب به يموت، بدون استثناء، موتاً أليماً ورهيباً.

وأسوء ما في الأمر أنه مرض من صنع الإنسان – وُلد في لحظة جنون بشرية، عندما أخذنا أبقاراً بريئة وحولناها إلى حيوانات تأكل لحم جنسها. إليك كيف بدأت القصة:

ذهب باحثان إلى جزيرة بابوا نيو غينيا لدراسة ظاهرة أكل لحم البشر وكيف حولت هذه الظاهرة العديد من أبناء بابوا إلى مجانين. لقد وجدا بأن ما كان يعاني منه هؤلاء الأشخاص هو مرض دماغي إسفنجي الشكل قابل للانتقال (أو TSE). كان سكان البلاد يدعونه كورو. والذي يحدث في TSE هو أن البروتينات الشاذة (prions) تلتصق على الخلايا الدماغية وتتحول إلى أشكال غريبة. وبدلاً من الانقسام كما يُفترض بالبروتينات الجيدة أن تفعل، تستوطن وتعيث فساداً في نسيجك العصبي، تاركة دماغك مليئاً بالثقوب كجبن سويسري قديم.

تبين، في بابوا نيو غيني، أن هذه البروتينات الشاذة كانت تنتشر عن طريق أكل لحوم البشر. يبدو بأن أحداً لم يكن يعرف من أين أتت هذه البروتينات الشاذة أصلاً، ولكنها حالما تصل إلى جسدك فإنها تحدث الخراب. أشار البعض إلى أن مقداراً ضئيلاً جداً من اللحم الملوث بهذه البروتينات الشاذة – بحجم حب الفلفل فقط– كافٍ لإصابة بقرة. وما إن تتحرر هذه المواد الشاذة من لحم البقر الذي أكلته، حتى تنتشر كالجيش في جسدك، متوجهة مباشرة نحو دماغك وملتهمة كل شيء في طريقها.

أما الشيء الذي لا يصدق فهو أنك لا تستطيع قتلها... لأنها ليست حية.

دخل المرض السلسلة الغذائية أول مرة في بريطانية عبر الأغنام، ثم انتشر إلى الأبقار عندما أُطعمت أجزاء مطحونة من أجساد زملائها الأغنام والأبقار، إلى أن بيع، في نهاية الأمر، لحم البقر المريض إلى الشعب البريطاني. قد يرقد المرض هاجعاً لمدة تصل إلى ثلاثين سنة قبل أن يطلق العنان لجحيمه الرهيب. لم تعترف الحكومة البريطانية بوجود شيء ما في

مخزون اللحوم لديها إلا بعد موت عشرة أشخاص من شبابها – شيء كانوا يشكون به منذ عشرة أعوام.

وتمثل الحل البريطاني لاجتثاث المرض من جذوره في قتل أي بقرة يُشك بإصابتها بالكورو، أو مرض جنون البقر، بالابتكار. ولكنك عندما تحرقها لا ينتفي التهديد، إذ لا يمكنك قتلها، كما قلت لك سابقاً. سيحملها الدخان والرماد إلى موقع جديد، ويحررها لكي تجد طريقها مرة أخرى إلى المائدة البريطانية.

والأميركيون ليسوا محصنين من هذا المرض المميت، إذا يقدر بعض الخبراء بأن حوالى 200,000 مواطن مصاب بمرض الزهايمر، ربما، في الواقع، يحملون هذا البروتين الشاذ وأن خبلهم هو في حقيقة الأمر شكل من أشكال جنون البقر.

منذ ذلك الحين حظرت بريطانيا ودول عديدة أخرى تغذية الحيوانات بلحوم حيوانات من بني جنسها، ولم يعد بالإمكان استخدام فضلات أو بقايا الأطعمة المعدة للكائنات البشرية في مزارع الماشية. وحذت إدارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة حذو غيرها من الدول وحظرت تغذية الحيوانات على حيوانات أخرى من نفس النوع. ولكن المنتجات التي أُعدت من لحوم حيوانات تغذت على حيوانات من جنسها ما تزال تجد طريقها إلينا، وبشكل يدعو للرعب، إذ أن العديد من الأدوية واللقاحات، بما فيها تلك المعدة من أجل أمراض مثل شلل الأطفال، والدفتيريا، والكزاز، ربما تكون قد صُنعت بواسطة منتجات قد تحمل، نظرياً، مرض جنون البقر.

كانت بريطانيا والولايات المتحدة كلتاهما بطيئتين في التصرف حيال هذا الوباء المتنامي. على أي حال، إذا كان لابد لك أن تأكل برغر أو ستيك، فتأكد من طهو تلك القطعة اللعينة حتى تصبح سوداء. وكلما كان اللحم أقل احتواء على الدهن، كلما كانت فرصتك أفضل.

أنا؟ سأتوقف عن أكل كل لحم البقر حتى يتمكن أحدهم من الإثبات لي بأن

PBB التي أحملها في أحشائي يمكنها تبخير طفيليات جنون البقر الآكلة لدماغ الإنسان تلك.

لقد فكرت في الانتقال إلى كاليفورنيا وأن أصبح نباتياً. لا – لحظة! ليس كاليفورنيا. أنا أتكلم عن مكان أينما التفت فيه ستجد دماراً بيئياً. إذا لم تُضرب هذه الولاية الذهبية بالزلازل، فإنها ستُحرق عن بكرة أبيها بواسطة الحرائق الهائلة التي لا يمكن السيطرة عليها. وكل ما لم تستطع الحرائق تدميره ستكمل عليه الانزلاقات الطينية. وإذا لم تكن الولاية تعاني من جفاف خطير، فإنها ستُضرب بواسطة الظواهر المناخية لا نينا، أو إل نينو، أو إل لوكو. في الواقع، إن الشاطئ الغربي مكان خطير بالنسبة للبشر، وأنا مقتنع بأن الطبيعة لم تكن تريد أبداً لبني جنسنا الاستقرار هناك. إنه ببساطة لم يُخلَق، من ناحية التأقلم البيئي، لكي نبقى على قيد الحياة فيه. ولا يهم كم من المروج والأعشاب ستغطي بها رمل الصحراء أو كم من الماء ستضخ من نهر كولورادو على بعد آلاف الأميال، فإنك لن تستطيع خداع أمنا الطبيعة – وعندما تحاول ذلك، فإن أمنا الطبيعة ستغضب حقاً.

لقد اكتشف الهنود ذلك في وقت مبكر. يقول بعض العلماء بأن التلوث الذي كان موجوداً في حوض لوس أنجلوس عندما كان هناك عشرات الآلاف من الهنود مع نيران مخيماتهم أكبر مما هو الآن مع ثمانية ملايين سيارة تسير على طرقها الحرة. لم يستطع الهنود تحمل بقاء الدخان معلقاً في الهواء ومحتجزاً بواسطة الجبال. وعندما تحركت الأرض وانشقت، فهموا الرسالة ونفذوا بجلدهم.

ولكن ليس نحن، فكاليفورنيا حلمنا. يحتشد أربعة وثلاثون مليوناً من البشر – حوالى ثُمُن عدد سكاننا– على طول قطعة متطاولة من الأرض تقع بين سلسلة من الجبال والمحيط. وهذا يعني المن والسلوى بالنسبة إلى شركات الطاقة. أربعة وثلاثون مليون غبي للاستفادة منهم.

أهلاً بقطع التيار المستمر!

في الأيام السابقة الخيرة، كانت كهرباء كاليفورنيا تُزوّد بواسطة شركات إقليمية تُحدّد أسعارها من قبل الهيئة التشريعية في الولاية. بعد ذلك، في منتصف التسعينيات، أُعلن عن تخفيف القوانين والقيود كطريقة لمساعدة الشركات في التكلفة العالية التي جلبتها على نفسها من جراء بنائها لمصانع الطاقة النووية – وكطريقة لجمع المزيد من الأموال. وكانت شركة إنرون واحدة من أشد المناصرين الصريحين لتخفيف القيود – مساهمة أساسية للحزب الجمهوري، وجورج دبليو بوش على وجه الخصوص.

نُفذ تخفيف القيود في العام 1996، بفضل قانون تطلب سنه ثلاثة أسابيع بأكملها وتضمن دفع 20 مليار دولار لإنقاذ المؤسسات ذات المنفعة العامة في كاليفورنيا – معظم ذلك المبلغ استُخدم لتغطية قرارات استثمارية خاطئة في الماضي. وتجمدت الأسعار – عند مستويات أعلى من المعدل – لمدة أربع سنوات، وكذلك المنافسة التي يفترض أن تزداد في سوق خفّت عليه القيود. وبالنتيجة كان هناك مانع ضد بناء مصنع جديد للطاقة، ولهذا السبب ازداد اعتماد كاليفورنيا على شركات مستقلة مزوّدة للطاقة من خارج الولاية. وهكذا اشتُريت الطاقة، التي كانت تُقطع بشكل دوري العام الفائت، بشكل يومي – وبأسعار مضخمة باهظة.

واليوم لا يدفع زبائن هذه المؤسسات أسعاراً أعلى فقط، وإنما يُجبرون على قضاء فترات من يومهم بدون كهرباء. ولكن، لا يعود السبب في ذلك إلى عدم وجود الكفاية من الطاقة، إذا أن الوكالة التي تشرف على نقل الكهرباء في كاليفورنيا، مؤسسة الشبكة المستقلة، تملك إمكانية استخدام حوالى 45,000 ميغاواط من الطاقة – الكمية التي تتطلبها نقطة الذروة في فترة الصيف. وإنما السبب في ذلك هو استبقاء شركات الطاقة لحوالى 13,000 ميغاواط من طاقتها بعيداً عن الشبكة (لأسباب ليست مضطرة للبوح بها). ذكرت صحيفة وال

النفط. بعبارة أخرى، كانا يريدان جعل الأوضاع السيئة أكثر سوءاً. وفي هذه الأثناء، بنى بوش منزلاً جديداً في مزرعته في تكساس يُعتبر حلماً للمدافعين عن البيئة، فهو مزوّد بالطاقة الشمسية ومياه صرفه الصحي يعاد تدويرها. ومكان إقامة نائب الرئيس ديك تشيني مجهز بأحدث ما توصل إليه العلم من وسائل لحفظ الطاقة نُصبّت من قبل الرئيس، المنفي، آل غور.

طاقة نظيفة قابلة للتجديد، نعم، لهم، أما بالنسبة للبقية منا فقد وصلت الرسالة صارخة وصريحة:

"دعوهم يركبون السيارات المغلقة الصغيرة!"

"دعوهم يأكلون لحم البقر!"

الفصل السابع

نهاية الرجال

في وقت سابق من هذا العام، حضرت أنا وزوجتي معمودية ابن أختي لحديث أنتوني، طلب من ابننا المرافقة أن تكون عرابته، وهي مهمة تتطلب منه أن تكون إلى حانب أنتوني الصغير في حال احتاج إلى أحد ليقرك له ضيره كي يتجنا أو في حال احتاج إلى مساعدة في تربيته.

على أي حال، لقد اكتشفنا بأن حفلات المعمودية قد تغير كثيراً في الكنيسة الكاثوليكية.

في منتصف الصلاة تقريباً، طلب الأب آندي من العائلة بأكملها أن تجتمع حول حوض المعمودية الكبير حينما غمر أنتوني بروتر الصغير بالماء المقدسة ومن ثم لف في ثوب أبيض طاهر. بعد ذلك رفع نفس أنتوني عالياً حتى يراه الجميع وصفق كل من كان في الكنيسة احتفالاً سعيداً بالحدث السعيد.

ولم يصفق أحد بصوت أعلى مما صفقت أنا.

لأنها كانت المرة الأولى التي يولد فيها طفل في عائلتنا منذ ثلاثة عشر عاماً.

ثلاثة عشر طفلاً في ثلاث عشر سنة، وأحد عشر بنتاً وصبيين.

أعتقد بأن معظمنا سيوافق على أن الحصول على فتاة يعني، حسناً، عملاً أقل بقليل. ليس لأننا نحب الصبي بدرجة أقل بالتأكيد، فمع وجود خطة تأمين صحية مرتفعة تغطي الأذرع، والأسنان، والنظارة المكسورة، وتغطية إضافية للأصابع التي تعلق عليها أبواب السيارات ودعاوى الأضرار الشخصية من

الجيران الذين يدعون بأن ولدنا العزيز الجميل قد أحرق سيارتهم السيليكا بواسطة مشعل اللحام "لمجرد أنه يريد أن يرى مدى سرعة احتراق دهان تويوتا." تصبح تربية الصبيان ليست أصعب من تربية البنات على الإطلاق.

عشت حياتي كلها في أسر شكّل فيها الرجال أقلية بلا جدال. أنا لا أملك أخوة ذكور، ولكنني أملك أختين رائعتين، وكانتا مع أمي تتأكدان من قيامي بكل "الأعمال النسائية" في المنزل عندما يُمنح أبي إجازة لمشاهدة مباريات الغولف في يوم من أيام الأحد. حاولت أن أعدّل الأمور قليلاً مدعياً بأنني أستحق أكثر من أن يكون لي رأي في البيت، باعتبار أنني الأكبر، ولكن ذلك لم يكن يفيد سوى في إثارة الأغلبية الأنثوية الطفولية لأختاي. وحتى هذا اليوم، كدليل على سلوكهم الجازم، كل من يقابلنا عندما نكون معاً يخرج مقتنعاً بأنهما أكبر مني، وبأنني طفل العائلة المدلل.

وأنا أعيش الآن مع زوجتي وابنتي. مغلوباً بالعدد مرة ثانية. وكل العادات الذكورية الكريهة التي لم تفلح أختاي وأمي بتخليصي منها، قضت عليها هاتان الاثنتان بدون رحمة. آخر واحدة كانت تخليصي من نثر معجون الأسنان على كامل مرآة الحمام عند تنظيف أسناني بالفرشاة. تطلبت هذه العادة تسعة عشر عاماً. إنهما تخبراني الآن بأن القائمة قد انخفضت إلى صفحة واحدة فقط، مع بقاء ثلاثة أو أربعة تصرفات مرعبة بحاجة للإبادة (محاولة موازنة جرعتي الكبيرة من الماء وإنزالها في الفراغ المفتوح وأنا أقود السيارة؛ ترك بقع دائمة من الحبر على ذراع الكرسي الذي أنام عليه؛ الشخير – رغم أنني أخشى أن هذه العادة قد تُقوَّم في نهاية الأمر فقط بواسطة انزلاق وسادة على وجهي "بالصدفة" وإبقاؤها هناك، محكمة، بطريقة غامضة من ثلاث إلى خمس دقائق).

على أي حال، والحق يقال، أنا إنسان أفضل حالاً لوجودي محاطاً من قبل نساء قويات، ذكيات، ومحبات. ولكن، كم كان جميلاً لو أنني لعبت لعبة قذف الكرة والتقاطها. ولو مرة واحدة فقط.

ليس لوالداي أحفاد ذكور، فأختاي وأنا لا نملك سوى الفتيات. ووالدا زوجتي لديهما أربع فتيات وشابان فقط. وأخوا زوجتي وأنا لا نملك سوى البنات. لم تشاهد عائلتنا لعبة كرة قدم أو نزع وتد بواسطة الأسنان منذ المدرسة الثانوية. ويبدو بأن هذه التضحية قد مضت بدون أن يلاحظها أحد منهم.

أقدم هذه اللمحة إلى البنية الجنسية لعائلتي لكي أشير إلى اكتشاف أكبر بكثير، فبعد تفكيري العميق في هذه النسبة غير المتوازنة، بدأت بالاستفسار بين معارفي لكي أكتشف إذا كان بقية الناس يشهدون نفس الشيء – ولادة إناث أكثر من الذكور. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما علمت بأنني لم أكن الوحيد.

مؤخراً، عندما كان يُطلب مني إلقاء كلمة في جامعة أو جمعية ما، كنت أترك البرنامج المحضَّر للحظة لأسأل كم عدد الأشخاص الموجودين في الغرفة الذين يشاهدون ولادة إناث في عائلاتهم أكثر من الذكور. كان عدد الأيدي المرتفعة دائماً كبيراً.

وبدأ عدد لا يحصى من الناس يشاركونني سرهم – بأن أعداد الذكور في تضاؤل. حتى أن بعض العائلات، على ما يبدو، لا يوجد فيها ذكور أبداً. وأنا أؤكد لهم دائماً بأن لا حاجة للشعور بالعار لعدم قدرتهم على إنتاج ذرية مذكرة.

ثم خطر لي خاطر فجأة... يوجد شيء ما.

يؤكد مكتب الإحصاء بأن عدد المواليد الذكور ينحدر سنة بعد سنة في الولايات المتحدة منذ عام 1990! وعلاوة على ذلك، تعيش النساء عمراً أطول: 80 سنة، كمتوسط، مقابل 74.2 سنة فقط للرجال. عندما كنت طفلاً كانت البلاد منقسمة 50–50 بين الذكور والإناث، مع تقدم بسيط للإناث. ثم ارتفعت النسبة إلى 51–49، مع الأغلبية للنساء طبعاً، وستصبح قريباً 52–48.

إذاً يمكنني أن أقفز إلى استنتاج واحد كريه ولكن غير قابل للدحض:

يا شباب! الطبيعة تحاول القضاء علينا!

ولماذا تفعل أمنا الطبيعة ذلك؟ ألسنا حملة بذور الحياة؟ ماذا فعلنا نحن الرجال لكي نستحق هذا؟

كما تبيَّن، يبدو بأننا فعلنا الكثير.

في السنوات الأولى من عمر الإنسان قمنا بوظيفة حساسة وهامة في تطور الجنس البشري، فقد كنا نصطاد ونجمع الطعام، ونحمي النساء والأطفال من الحيوانات الكبيرة المتربصة بهم لأكلهم، وساعدنا في مضاعفة عدد الجنس البشري بشكل سريع عن طريق ممارسة الكثير من الجنس العشوائي غير المقيد. ومنذ ذلك الحين بدأ الانحدار بالنسبة لنا.

في القرون القليلة الماضية، يبدو بأن الأمور قد اتخذت منحىً مميتاً بالنسبة لجنسنا. كما هي عادتنا، بدأنا العمل في سلسلة من المشاريع التي لوثت كل شيء حولنا وزرعت الفوضى في عالمنا. النساء؟ لا يستحقن أي نوع من الملامة، فقد تابعن عملهن في بث الحياة في هذا العالم، بينما تابعنا نحن عملنا في تدميره كلما سنحت لنا الفرصة. كم عدد النساء اللواتي خرجن بفكرة إبادة عرق بأكمله من البشر؟ ولا واحدة ممن التقيتهن في صالة الرياضة. كم عدد النساء اللواتي أرقن النفط في المحيطات، أو ألقين المواد السامة في مخزوننا الغذائي، أو أصررن على أن تكون تصاميم سيارات SUV الجديدة أكبر، أكبر، أكبر؟ هممممم، دعني أرى....

من بين الأنواع الـ 816 التي انقرضت منذ أن تاه كولومبوس وحط رحاله هنا (اميركا) – معظمها حلقات ضرورية في نظامنا البيئي الحساس– كم برأيك عدد الأنواع التي أُبيدت بواسطة النساء؟ مرة أخرى، أعتقد بأننا جميعاً نعرف الإجابة.

لو كنت مكان الطبيعة، كيف سترد على هذا الاعتداء الوحشي؟ وماذا ستفعل إذا لاحظت بأن جنساً محدداً من البشر هو الذي يحاول تدميرك؟ بالتأكيد، ستحاول أمنا الطبيعة الدفاع عن نفسها بكل الوسائل الممكنة، هذا ما ستفعله.

ستحاول التخلص من أي عائق لتنقذ حياتها، لتبقى مهما كلف الأمر، حتى لو كان يعني ذلك إزالة نصف النوع نفسه الذي يُفترض بأنه سيحافظ على بقاء أكثر أجناسها تطوراً.

للمجرم حد شعر متراجع، وكرش كبير، ولا يعيد إغلاق سدادة أي شيء أبداً.

حسناً، أيها الشباب، لقد أُشير إلينا بالإصبع، ولا سبيل للاختباء من عقاب الطبيعة. لا يمكننا إلقاء اللوم على النساء، فلم تكن امرأة من أسقطت قنابل النابالم، أو اخترعت البلاستيك، أو قالت، "اللعنة، نحن بحاجة إلى علبة بيرة بغطاء يمكن فتحه بواسطة اليد!" كل عملية سلب ونهب، كل اعتداء على البيئة، كل شيء جلب الرعب والدمار على كل ما كان ذات مرة نقياً وطاهراً قامت به أيد، إذا لم تكن مشغولة بجلب المتعة لنفسها، كانت مشغولة بعمل إضافي يتمثل بتدمير هذا الوطن الجميل والرائع الذي مُنح إلينا بدون أي رسوم إضافية – لا حاجة لعربون ضمان، ولا للتحقق من الخلفية الاجتماعية.

لا عجب أن الطبيعة تتخلص منا.

لو كنا نحن الرجال نملك أي حس أو وعي لحاولنا جعل الطبيعة تغفر لنا عن طريق تصحيح خطئنا. تعلم ما أقصد، أن نقوم بالأمور الشديدة الوضوح: التوقف عن تدنيس منطقة القطب الشمالي، التنظيف خلفنا، الامتناع عن رمي المخلفات الكبيرة من نافذة السيارة.

ربما كانت الطبيعة ستتحمل الكثير من سخافاتنا لو كنا ما نزال نخدم غاية ذات أهمية. منذ عصور بعيدة ونحن نمتاز بأمرين لا تمتاز بهما النساء جعلا منا ضروريين: (1) نحن نؤمن الحيوانات المنوية للحفاظ على استمرار النوع، و(2) ونستطيع الوصول إلى كل شيء يحتجن له فوق الرف.

لسوء حظنا، قام شخص خائن باختراع التخصيب خارج الرحم، الذي يعني

بأن النساء الآن لا تحتاج إلا إلى الحيوانات المنوية من بعض الرجال لكي تنجب الأطفال. في الواقع، لقد أعلن شخص ما (ربما كان امرأة) في أريزونا بأن العلم قد اكتشف طريقة في تناسل البشر لا تتطلب حتى إلى الحيوانات المنوية لتخصيب البويضة – يمكنهم الآن القيام بذلك بواسطة الحمض النووي DNA. لم تعد النساء بحاجة للرجال. إن كل ما هن بحاجة له الآن هو أنبوب اختبار.

كيف تخدع الطبيعة لكي تصنع المزيد من الرجال

• طورت شركة في فيرجينيا طريقة تسمح لك باختيار جنس طفلك. تستخدم الجمعية الوراثية والتخصيب خارج الرحم (IVF)، وهي عيادة للعقم في فايرفاكس، فيرجينيا، طريقة تفصل الكروموسوم الذكري من الكروموسوم الأنثوي في السائل المنوي، متيحة بذلك للآباء تحديد جنس طفلهم قبل الحمل به. كن لطيفاً جداً مع زوجتك قبل الذهاب إلى هذه العيادة، ففي النهاية هي التي تملك حق اتخاذ القرار فيما يوضع داخل جسدها. وامنح هؤلاء الأشخاص في فيرجينيا المزيد من الأموال الفدرالية!

• حافظ على سائلك المنوي كثيفاً. توقف عن تدنيس نفسك يومياً، فذلك يضعف السائل المنوي ويقلل من أعداد الحيوانات المنوية.

• قبل ممارسة الجنس، فكر بأفكار رجولية. ارجع إلى الشريط المسجل في رأسك مرة أخرى. كان من الممكن أن لا تدع تلك الكرة تمر من بين قدميك في اللعبة ستة من السلسة العالمية لعام 1986. أنصت إلى الجمهور في ملعب "شي" وهو يزمجر بينما تخطف الكرة وترمي راي دايت خارجاً! لقد فعلتها! أنت هو رجلنا!

• أنجب الأطفال في وقت مبكر من حياتك، فقد استنتجت دراسة حديثة في علم الأوبئة بأن الآباء الأكبر سناً أكثر عرضة لإنجاب البنات من الصبيان.

الاختراع الآخر الذي قام بوظيفة الذكور كان السلم. ولأكون دقيقاً، السلم النقال سهل الحمل المصنوع من الألمنيوم. من هو السافل الذي خرج بهذه

اهتممنا جيداً بأن لا تستلم أي امرأة لا المنصب الأول ولا الثاني فيه. وفي الجزء الأكبر من ذلك الزمن تأكدنا من عدم استلام أي منهن أي منصب على الإطلاق. في الواقع، في أول 130 عاماً من الانتخابات الرئاسية، كان من غير الشرعي للنساء حتى أن يصوتن.

بعدئذ، في العام 1920، فقط كي نظهر للنساء بأننا نملك روحاً رياضية، منحناهن الحق بالتصويت. وهل تدري ماذا حصل؟ لقد بقينا في السلطة!

فجأة، أصبحت النساء تملك أصوات أكثر، وكان بإمكانهن رمينا في كومة النفايات السياسية. ولكن ماذا فعلن؟ لقد صوتن لنا! كم جميل هذا؟ هل سمعت يوماً بمجموعة من الناس المضطهدين الذين يصبحون فجأة، بواسطة أعدادهم فقط، في موقع المسؤولية – ومن ثم يصوتون بأعداد ساحقة من أجل إبقاء مضطهديهم في السلطة؟

لا، الشيء الطبيعي الذي سيقوم به أي مجتمع عاقل هو طرد الأشخاص الذين كانوا يقمعونه منذ سنين طويلة.

مع ذلك، بعد أكثر من ثمانين سنة على اكتسابهن حق التصويت – وبالرغم من نمو حركة نسائية ضخمة– إليك ما وصلنا إليه الآن:

* لم توضع امرأة واحدة على بطاقة الاقتراع الأساسية للأحزاب لمنصبي الرئيس ونائب الرئيس في عشرين من واحد وعشرين انتخاب وطني منذ العام 1920.
* يوجد حالياً خمس نساء فقط في منصب حاكم ولاية من خمسين ولاية.

تشكل النساء 13 بالمائة فقط من المقاعد في الكونغرس.

* 496 من أكبر 500 شركة في أميركا تُدار بواسطة رجال.
* أربع فقط من أهم واحد وعشرين جامعة في الولايات المتحدة تُدار بواسطة نساء.

الفكرة اللامعة؟ والآن، ما هو عذرنا في البقاء هنا؟

للطبيعة أسلوبها في التخلص من أضعف حلقاتها، تلك الحلقات التي لم تعد تخدم أي غاية مفيدة. هذا ما وصل إليه حالنا يا أصدقائي. علم التناسل وثلاث درجات صغيرة من الألمنيوم جعلا منا نحن الشباب أشخاصاً بلا أية فائدة.

أشياء أخرى أصبحت غير ذي فائدة بفعل الطبيعة

- الطابعون على الآلة الكاتبة.
- أعضاء مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة.
- المشي.
- السروال النسائي القصير الذي كان يبدو كتنورة من الخلف.
- الإشارة المشغولة.
- أمناء الصندوق في المصارف.
- شهادة جامعية.
- وجبة من الشعير.
- الشعر على ظهر الرجل.
- سكاكر فقدان الوزن AYDS.
- المحكمة العليا.

حسناً، انظر إلى الجانب المشرق: لقد عشنا فترة طويلة رائعة! آلاف السنين من السيطرة المطلقة على النظام الاجتماعي – وما نزال! فكر في الأمر، لا يوجد يوم واحد لم نكن فيه في موقع السلطة، يوم واحد لم نحكم فيه العالم! حتى الشماليين يمكنهم الادعاء بمثل هذا الحكم المتواصل من السلطة المطلقة. أقصد، أننا نحن الرجال نشكل الأقلية، ومع ذلك فنحن حكمنا الأغلبية النسائية منذ العصور السحيقة. في بلدان أخرى، ندعو هذا الأمر تمييزاً عنصرياً، ولكننا في أميركا ندعوه أمراً طبيعياً. منذ ولادة هذا البلد، لمدة تزيد عن 225 عاماً،

* 40 بالمائة من كل النساء المطلقات بين الخامسة والعشرين والرابعة والثلاثين من أعمارهن يعشن في الفقر، بالمقارنة مع 8 بالمائة فقط من النساء المتزوجات اللواتي يعشن تحت خط الفقر.
* يبلغ متوسط أجر النساء 76 سنتاً مقابل كل 1 دولار يكسبه الرجال – ينتج عنه خسارة ما يزيد عن 650,133 دولار عن العمر بأكمله.
* حتى تحصل على نفس الراتب السنوي الذي يحصل عليه نظيرها الذكر، يجب على المرأة أن تعمل طوال العام إضافة إلى أربعة أشهر أخرى.

عاجلاً أم آجلاً، ستكتشف النساء السبيل للإمساك بزمام الأمور – وعندما يحصل ذلك، لنصلي إلى الله كي يرحمنا. على أي حال، وبالرغم من كل ذلك، فالنساء هم الجنس الأقوى، بعكس ما تقول الأسطورة، والرجال هم الجنس الأضعف، حسب الدلائل التالية:

* نحن لا نعيش عمراً أطول من النساء.
* أدمغتنا منظمة بنسبة أقل من أدمغة النساء وتتقلص بنسبة أسرع عندما نتقدم في العمر.
* بشكل متناسب، نحن أكثر قابلية من النساء للمعاناة من أمراض مفجعة مثل مرض القلب، والسكتة الدماغية، والقرحة، وفشل الكبد.
* الرجال أكثر عرضة لحمل أمراض منقولة بواسطة الجنس (ومن ثم ينقلونها إلى زوجاتهم وصديقاتهم الغافلات).
* أجهزة الجسم الأساسية في الرجال – الدورة الدموية، الجهاز التنفسي، جهاز الهضم، وجهاز التبرز – كلها عرضة للانهيار قبل وقت طويل من النساء (رغم أنني أعتقد بأن انهيار جهاز التبرز ليس مستغرباً، نظراً إلى وجود علبة ملطف الجو تحت مغسلة حمامك).
* جهازنا التناسلي فقط – القدرة على إنتاج النطاف – يدوم لمدة أطول من

قدرة النساء على إنتاج البويضات، ولكن نظام أدائنا يتداعى قبل سنوات من اكتشاف المرأة فوائد الاستمتاع بحمام دافئ ورواية جيدة.

* الرجال غير قادرين على الإنجاب، لا يملكون القدرة على استمرارية الجنس البشري.
* الرجال يفقدون شعرهم.
* الرجال يفقدون عقولهم (نحن أكثر احتمالاً من النساء بأربعة أضعاف في محاولة الانتحار).
* الرجال أكثر عرضة للموت في حوادث بثلاثة أضعاف من النساء.
* الرجال ليسوا أذكياء كالنساء: تحصل الفتيات عادة على علامات أعلى من الصبيان في المدرسة الابتدائية – ولنواجه الأمر، فنحن لا نصبح أفضل عندما نكبر.

قائمة مايك الخيالية للرئيسات

- الرئيسة سينثيا ماكيني (أفضل شخص في الكونغرس اليوم).
- الرئيسة هيلاري كلينتون (فقط إن تمكّنتْ من الحصول على دعوة).
- الرئيسة أوبرا (إن الأحاديث المنزلية مع الدكتور فيل ستنقذنا جميعاً).
- الرئيسة كاترينا فاندين هوفيل (مؤلفة الأمة؛ مرشحة مثالية لمنصب رئيس الأمة!).
- الرئيسة شيري لانسينغ (تدير شركة بارامونت السينمائية؛ لقد وضعتني في فيلم؛ يكفي ما قيل).
- الرئيسة كارين دافي (مراسلة لتلفزيون الأمة؛ ستقضي على أي قائد أجنبي يتجرأ على تحديها).
- الرئيسة كارولين كينيدي (فقط لأن ذلك سيكون أمراً صائباً).
- الرئيسة بيلا أبزوغ (حتى وهي ميتة ستكون خيراً من جورج الصغير).
- الرئيسة لاي تايلور يونغ (بطلة فيلم الارتداد الكبير، ويشاركها البطولة أيضاً راي أونيل).

ربما ليس هناك تفسير منطقي لهذا التفاوت. ربما، كما علمتنا الراهبات، إنه مجرد جزء من النظام الإلهي. ولكن إذا كان الأمر كذلك، لماذا جعل الله النساء أفضل إلى هذه الدرجة؟ لابد أن الراهبات كن يعرفن المعلومات الموثوقة عن هذا الأمر – ففي النهاية إنهن نساء. لابد أنهن كن يعرفن السر الإلهي، ومن المؤكد بأنهن لم يكن ليبحن لأمثالي به.

وهكذا فقد بعض الرجال عقلهم، انطلاقاً من إحساسهم بالتحيز، وتملكتهم الرغبة بالقتال بكل الوسائل الممكنة. لقد تصوروا بأنه ما دامت الطبيعة تفضل النساء، إذاً فعليهم الحصول على ما يريدون بالقوة. وكان لسان حالهم يقول: إذا لم يكن باستطاعتنا التفوق عليهن، فلنسحقهن إذاً.

كيف تنجو عندما تشب النار في سريرك

- انبطح على الأرض وازحف. ابقَ منخفضاً.
- إذا استطعت، ضع منشفة أو قماشة رطبة على وجهك.
- توجه إلى حيث تعتقد أنه الباب. تحسس دائماً الباب قبل أن تفتحه. إذا وجدته ساخناً، لا تفتحه. ابحث عن طريقة أخرى للخروج.
- إذا كنت قد أغلقت كل الأبواب، اكسر النافذة وتسلق لكي تخرج.
- احتفظ دائماً بمطفئة الحريق في متناول اليد. ضعها بجانب المسدس تحت وسادتك إذا اقتضت الضرورة. ويُنصح أيضاً بوضع دلو من الماء البارد قريباً منك.
- إذا كنت تسيء معاملة زوجتك، من الأفضل أن لا تلبس سوى البيجامات المضادة للحريق في السرير. إنها قد تنقذ حياتك.
- اتصل بقسم الطوارئ المحلي وسجل اسمك في لائحة "الأغبياء" الخاصة – قائمة بالرجال المحليين الذين يعتقدون بأن احتمالات قتلهم بواسطة "شخص عزيز" كبيرة جداً. سيعرف حينئذ قسم الطوارئ بالضبط مكان إقامتك وموضع سريرك أيضاً.

في هذه الأيام، يُنظَر لميل الرجال إلى إيذاء، أو تشويه، أو قتل النساء على أنه تصرف "غير لائق سياسياً." ولهذا السبب عُززت القوانين لحماية النساء منا.

ولكن، كما نعرف جميعاً، فالقوانين توضع فقط كي تفرض العقوبة بعد ارتكاب الجريمة. قلة من القوانين تمكنت من إيقاف أولئك الرجال العازمين على الانتقام من النساء. وتعرف النساء تماماً بأن الرقم 911 موجود فقط لإعلام الشرطة بأن بإمكانهم جلب كيس الجثة وبعض المطهرات القوية، لأنه مع وصولهم إلى هناك سيكون الأمر المقيّد الذي أصدرته المحكمة لإبعاده عنها قد حُشر في فمها وتصلب جسدها وانتهى الأمر، شكراً لكم.

يلجأ الرجال الذين يتمتعون بحدة أكبر في الذهن إلى وسائل غير الجريمة المباشرة من أجل تعديل النتيجة بين الرجال وبين النساء، فعلى سبيل المثال، لقد كانت شركات التبغ (تُدار كلها بواسطة رجال) ناجحة إلى حد بعيد في إقناع النساء بالتدخين – في الوقت الذي تتناقص فيه أعداد الرجال من المدخنين. وبفضل هذا التدخين النسائي الجديد، تفوّق سرطان الرئة الآن على سرطان الثدي كالسرطان الذي يحتل المرتبة الأولى في قتل النساء. يبلغ الرقم الإجمالي للنساء المقتولات بواسطة التدخين سنوياً: 165,000!

رفض العلاج حيلة أخرى يستخدمها الرجال في تخفيض عدد النساء. إذا كنت بحاجة إلى عملية زرع عضو ما كي تبقى على قيد الحياة، فإن احتمال حصولك عليه إذا كنت رجلاً أكبر بـــ 86 بالمائة. إن احتمال خضوع الرجال الذين يعانون من مرض القلب لعملية تحويل قلبي أكبر بـــ 115 مرة من النساء الذين يعانون من نفس الحالة. وإذا كنتِ امرأة، فأنت معرضة لدفع أقساط تأمينية أكبر من الرجل مقابل هذه الرعاية الرديئة.

بالطبع، عندما يفشل كل ذلك، يمكنك العودة إلى الجريمة، فهي تنجح عادة. إن النساء أكثر عرضة للقتل بواسطة أزواجهن أو أصدقائهن من الرجال الذين يُقتلون بواسطة زوجاتهم أو صديقاتهم.

استمروا على هذا النحو، من يدري، فقد ننجح في نهاية الأمر رغم كل شيء.

كيف يستطيع الرجال تجنب الانقراض

رغم المستقبل السيئ الذي ينتظرنا، مازال هناك بارقة أمل لنا، نحن الرجال، في أن نتمكن من تأخير زوالنا – إذا تعلمنا بعض التصرفات الجديدة الفائقة الأهمية. هناك العديد من الأشياء التي يمكننا تعلمها من النساء وكيفية توظيفها بطريقة معقولة. إليك بعضاً منها:

1. تذكّر أن سيارتك ليست سلاح دمار شامل. توقف عن الإحساس بالغيظ من مجرد أن سيارة ما قد تجاوزتك. لماذا تأبه لذلك حقاً؟ في كل الأحوال ستصل إلى البيت في نفس الوقت تقريباً. لا تهتم النساء لأمر كهذا أبداً، وتعشن عمراً أطول بسبب ذلك أيضاً. عندما يرون أحمقاً على الطريق، فهن لا يفعلن شيئاً سوى أنهن يهززن رأسهن ويضحكن – وذلك ينجح! أيها الشباب، علينا أن نهدأ، فنحن نؤذي قلبنا في كل لحظة نقوم بها بتصرف غاضب، متوتر وعصبي.

خفّف من الطعام والشراب. ينبغي علينا أن نفكر أكثر فيما ندخله في أفواهنا. إذا أكلنا أنا وأنت أقل وشربنا أقل، فسنعيش عمراً أطول. متى كانت آخر مرة رأيت فيها امرأة تلتهم الطعام وكأن تلك كانت آخر وجبة لها؟ لماذا برأيك يصاب الكثير منا بسرطان القولون والمعدة ومرض القلب؟ لأننا لا نستطيع أن نقول لا لباوند ونصف الباوند من لحم بقر نصف مطهو متوج بحلقات من البصل المقلي، والفلفل الحريف وصلصة تاباسكو.

2. تنحى، وستعيش أطول. اسمع، لماذا لا نستقيل ونترك النساء يحكمن العالم؟ لا بأس، إذاً فأنت لا تريد أن تتسلم النساء السلطة، لأنك محافظ جنوبي أبيض. ولكن ما رأيك إذا قلت لك بأن تركهن يقلقن بشأن إنشاء ذلك المعمل النووي ذلك البلد، أو إعلان الحرب ضد الصين، أو إيجاد حل لقاعدة الضربة العالية ضمن الملعب (البايسبول)، سيمنحنا ثمانية سنوات إضافية من الحياة؟

لنتنحى جانباً ونغلق أفواهنا! هل هو ذلك الأمر العظيم فقط أن تكون "المدير" وتضطر للتعامل مع مئات الموظفين وكل مشاكلهم؟ من يحتاج لذلك؟ لنتراجع، ونأخذ استراحة، وندع النساء يملكن هذا العالم المجنون صعب القيادة في العشرة آلاف سنة القادمة. فكر في كل القراءات التي ستحظى بها.

3. انتبه إلى يديك في أميركا. حان الوقت لكي نتعقل، فعاداتنا الشخصية مقززة إلى درجة أتعجب كيف تستطيع النساء مشاركتنا حتى في استنشاق الهواء الذي نتنفسه. لو أننا نستطيع نحن الرجال استجماع أنفسنا وتغيير أشياء بسيطة فقط، لتمكنا على الفور من الحصول على المزيد من التعاطف والرفقة. كبداية، ينبغي علينا إبقاء أيدينا حيث يجب أن تكونا، فهما لم تُخلقا كي تُستخدما في المنخرين، أو الأذنين، أو الشرج، أو السرة. وهما ليستا مصممتين لتمزيق فقرات من الجريدة قبل أن تتمكن، هي، من قراءتها، أو لانتزاع قطعة باقية من قشرة النقانق من بين أسنانك، أو لحك القشرة الموجودة في رأسك. – لم يختف أي شيء منذ آخر جرد لك، منذ دقيقة تقريباً. أبقِ رجليك متلاصقتين، حتى لا تشغل ثلاثة مقاعد في الباصات والقطارات. البس لباساً داخلياً – يُفضل أن يكون لباساً داخلياً غُسل هذا العام، في غسالة كهربائية، مع مسحوق تنظيف حقيقي.

4. تعلَّم كيف تستخدم كرسي المرحاض. حسناً، يا شباب، كنت أعتقد بأننا يجب أن نكون قد تجاوزنا هذا، ولكن الدلائل المعاكسة في المطارات ومحطات القطارات ومحلات الوجبات السريعة في طول هذه البلاد وعرضها تخبرني ما يلي: رغم انتقادات المسلسلات الهزلية التلفزيونية الدائمة في كل مكان، يبدو بأننا لم نفهم الرسالة. لذا، أقدم لكم هذه الإرشادات السريعة المنشطة للذاكرة:

• أولاً، ارفع الغطاء المتحرك البيضوي الشكل إلى وضع منتصب. ثم ارفع المقعد المتحرك البيضوي تحته إلى وضع منتصب. سيثبتان تلقائياً في مكانيهما، وذلك حتى تتمكن من استخدام يديك معاً. إن الأمر أشبه بقيادة

السيارة. أنت لا تريد لسيارتك أن تخرج من الطريق، أليس كذلك؟ جيد، وكذلك تشعر المرأة الموجودة في بيتك بشأن البول الذي يغطي ورق الجدران.

• بيد واحدة وبرفق أعد المقعد البيضوي وما فوقه إلى وضعهما السفلي. يجب أن لا يُسمع صوت ارتطام المقعد بالتجويف الخزفي.

• أمسك ذلك الخرطوم الفضي الصغير على يسارك واشطف التجويف الخزفي. (إنه ليس اختيارياً، حتى في حجرات المراحيض العامة.) وإذا لم تكن الشطفة الأولى كافية، يجب أن لا تغادر المكان؛ ابقَ هناك حتى ترى تجويفاً نظيفاً.

• نظِّف يديك. جففهما بأوراق التنشيف الموجودة من أجلك، وليس بالقميص الذي تلبسه. ضع أوراق التنشيف في حاوية النفايات – أو، إذا كانت منشفة عادية، أعدها إلى مكانها على مشجب المناشف (عادة تكون علاقة معدنية أو بلاستيكية تبرز من الحائط بجانب المغسلة). إذا كنت في بيتك، ضع المنشفة في الغسيل مرة واحدة في الأسبوع على الأقل. اغسلها. أعدها إلى الحمام.

5. اغتسل يومياً. إن رشق بعض الماء على وجهك كي تستيقظ في الصباح لا يعني اغتسالاً. ادخل إلى حوض الاستحمام. عدّل الماء بين الحار والبارد. ارفع ساق الحنفية لكي تعطي تأثير الدش. تناول لوحاً من الصابون وقماشة لتنظيف الجسد (ليفة) وافرك كل أنحاء جسدك. لا تضع لوح الصابون في تجاويف الجسد "حتى تمنحها نظافة إضافية." قد يستخدم أحد ما ذلك اللوح على وجهه. اشطف بالماء. عندما تنتهي، غادر مكان الدوش وتجفف، وحاول أن تترك أقل قدر ممكن من الماء على الأرض.

6. خفِّض من نبرة صوتك. حاول أن تصغي. عندما يتكلم أحد ما، انتبه جيداً لما يقول. حافظ على اتصال العيون. لا تقاطع. عندما ينهي، أو تنهي، كلامه، توقف لبرهة وفكّر في ما قيل. حاول ألا تقول أي شيء. لاحظ كيف ينبِّه ما سمعته أفكارك، ومشاعرك ومفاهيمك. قد يؤدي ذلك إلى أمر رائع.

سيكون بإمكانك حينئذ تبني تلك الأفكار، والادعاء بأنها لك، وتصبح مشهوراً.

7. افحص سمعك. إذا لم ينجح ما ذُكر أعلاه، ربما توجد علة جسدية ما فيك. تقدم العديد من المستشفيات والجمعيات فحصاً مجانياً لفقدان السمع. ابحث في جريدتك المحلية عن إعلانات لفحوص سمعية مجانية في منطقتك. إضافة إلى ذلك، معظم المستشفيات تمنح فحوصاً دورية مجانية للسمع على مدار السنة. كما يمكنك أيضاً إيجاد اختبارات موجزة على الإنترنت لمساعدتك في تحديد ما إذا كنت بحاجة لإجراء تقييم سمعي عند طبيب خاص أم لا. يمكنك إيجاد مثل هذا الاختبار في: health.aol.thriveonline.oxygen.com/medical/wgames/gen/health.hearing.html.

8. اعلم بأن النساء يعرفوننا جيداً. لا تحاول إقناع أي شخص بأنك "مناصر للنساء." أنت لست مؤهلاً لذلك، فأنت تلعب للفريق الآخر. إن الأمر أشبه بعضو من عصابة الكوكلوكس يغني، "حافظ على آمالك حية!" أنت عيّنة من الجنس الذي سيصنع دائماً المزيد من المال، الأمر الذي سيبقي دائماً الباب مفتوحاً على مصراعيه إلى كل ما تريده من الحياة.

وهذا لا يعني بأنك لا تستطيع المساعدة في تقويم الأمور قليلاً. والطريقة المثلى لمساعدة النساء تتمثل في العمل على رفاقك من الرجال. هناك يكمن التحدي الحقيقي – إدخال بعض التنوير إلى ذلك القالب الإسمنتي المعروف برأس الرجل.

ساعد على إنهاء الفجوة في الأجور وذلك عن طريق النظر إلى راتبك أنت شخصياً. تأكد من أن النساء اللواتي يقمن بنفس العمل في الوظيفة يحصلن على نفس الأجر الذي تحصل أنت عليه. شارك في يوم الأجر المتساوي، يُعقد عادة في أوائل شهر نيسان في اليوم الذي تكون فيه المرأة قد حصلت في العام الجديد على نفس الأجر الذي حصل عليه رجل في عمل مكافئ خلال السنة الماضية. راجع fairplay @aol.com للمزيد من المعلومات.

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

ويمكنك أيضاً المشاركة في الجهود التي تُبذل للضغط على الكونغرس من أجل سن قوانين وطنية تفرض أجوراً متساوية. سيسمح قانون الأجر العادل للنساء بالإشتكاء استناداً إلى مبدأ الأجر المتساوي للعمل المتساوي وسيسمح للموظفين ضمن الشركة الواحدة برفع دعاوى قضائية إذا كانوا يعتقدون بأنهم يتلقون أجراً أقل من شخص يعمل ذات العمل ولديه نفس التدريب. ويعوض قانون عدالة الأجر عن الأضرار العالية في هذه الدعاوى ويحمي الموظفين الذين يقدمون معلومات عن الرواتب. منذ خمس وعشرين سنة ومركز بدائل عقود التأمين يعمل من أجل تحقيق عدالة الأجر. لمعرفة المزيد، اذهب إلى www.cfpa.org, أو اتصل بهم على الرقم 202-387-6030.

أخيراً، انضم إلى نقابة – أو حاول إنشاء واحدة. وفقاً لاتحاد المنظمات العمالية الأميركية والمنظمات الصناعية البرلمانية AFL-CIO، أي امرأة نقابية في الثلاثين من عمرها تكسب 30,000 دولار في السنة، تخسر حوالى 650,133 دولار على مدى الحياة بسبب الأجر غير العادل. أما إذا كانت غير منتسبة إلى نقابة، فستخسر حوالى 870,327 دولار. إذا أقنعت الرجال الآخرين في العمل كي يوحّدوا المؤسسة، ستكون عندئذ قد حسنت من حياة زميلاتك النساء في العمل، وحياتك أنت أيضاً.

الفصل الثامن

نحن رقم واحد!

لم يكن هناك توضيح من ذلك العنوان الرئيسي: "كل أمم الأرض توقع على اتفاق ارتفاع حرارة الأرض، الولايات المتحدة ترفض."

نعم، مرة أخرى. العالم كله يكره شجاعتنا.

بوزو هوو هرو، ما الجديد في ذلك؟

نحن البلد الذي يحب الجميع أن يكرهه. ومن يستطيع لومهم؟ إننا بالأحرى نكره أنفسنا، وإلا فكيف نفسر وجود الرئيس بليو؟ في الأيام الغابرة، كنت سترى رأسه الآن يزين أحد الجسور على نهر بوتوماك. بدلاً من ذلك، هاهو يطوف العالم متبخترا يخبر الناس بأنه قائدنا المنتخب." ونحن نبدو كالمغفلين والجهلة. العالم يضحك علينا، ليس معنا.

كم هو أمر يدعو للحزن – مع ذلك. فقبل فترة قصيرة كانت الأمور تبدو في حالة ممتازة لأول مرة منذ وقت طويل جدا بالنسبة لنا على المستوى الدولي. لقد ساعدنا بنجاح في ولادة أول معاهدة سلام في ايرلندا الشمالية. وهدأنا من حدة النزاع العنيف في الأراضي المحتلة (ولأول مرة يحصل الفلسطينيون على قطعة أرض من أراضيهم). واعترف أخيرا بوجود فيتنام (رغم أننا لم نتحامل على نفسنا حتى الآن ونعتذر لقتلنا ثلاثة ملايين إنسان من شعبها). وساعد ضغطنا على جنوب أفريقيا في تحرير نيلسون مانديلا، ودفع البلاد باتجاه الديمقراطية. الأمر الذي أدى إلى انتخاب مانديلا رئيسا.

وأخيرا، أعدنا طفلا صغيرا إلى أبيه في كوبا – متنبهين لأول مرة إلى

وجود مجموعة من الميامين المجانين الذين لم يكونوا على قدر المسؤولية بخصوص سياستنا الخارجية في هذا النصف من الكرة الأرضية.

نعم، أنا مضطر للقول، لقد كانت الأمور تبدو جيدة جداً في أعين العالم بالنسبة لبلاد العم سام – إلى أن تسلم بوش الإبن الذي قيل لنا بأنه لم يعبر محيطاً في حياته، مقاليد الحكم في 1600 جادة بنسلفانيا.

في أول أربعة أشهر له في منصبه، إليك كيف تعامل جورج دبليو بوش مع بقية العالم:

- نكث اتفاقنا مع المجتمع الأوروبي بشأن تخفيض انبعاثاتنا من ثاني أكسيد الكربون.
- بدأ حرباً باردة جديدة، هذه المرة مع الصين، بعد اصطدام طائرة تجسس أميركية بواحدة من طائراتهم في الجو، متسببة بقتل الطيار.
- سمح بتداعي عملية السلام في الشرق الأوسط، الأمر الذي أدى إلى واحدة من أسوأ الفترات دموية.
- بدأ حرباً باردة جديدة مع روسيا بواسطة التحضير العملي لخرق معاهدات الحد من الصواريخ البالستية التي حصلت في السبعينيات.
- هدد من جانب واحد بالتخفيض من وجودنا في يوغوسلافيا السابقة، مما أدى إلى تجدد العنف بين المجموعات العرقية في المنطقة.
- تحدى اتفاقات حقوق الإنسان الخاصة بالأمم المتحدة، مما أدى إلى طرد الولايات المتحدة من لجنة حقوق الإنسان.
- قذف المدنيين في العراق بالقنابل، كما فعل والده تماماً.
- أجّج حرب المخدرات في أميركا الجنوبية، فساعدت الولايات المتحدة الكولومبيين بإسقاط طائرة مليئة بالمبشرين الأميركيين، وأدى ذلك إلى قتل أم من ميتشيغان وطفلتها.

* قطع أي أمل بتخفيف التوتر مع كوريا الشمالية، ضامناً ليس فقط استمرار المجاعة الكبيرة هناك وإنما عدم إعادة رئيسها، كيم جونغ إيل المولع بالأفلام، لأفلام الفيديو التي فات موعد استحقاقها إلى شركة بلوكباستر.

* جعل من كل دولة في العالم عدوة لنا عن طريق تصريحه بأنه سيمضي قدماً في إنشاء نظام الدرع الصاروخي المجنون "حرب النجوم."

أُنجز كل هذا في أقل من 120 يوماً – وذلك فقط بين فترات قضى فيها على سياستنا الداخلية، كما رأينا سابقاً.

وهكذا، عاد العالم إلى كرهه لنا. على الأقل نحن عدنا إلى موقع مألوف لنا.

ولكن، من جهة أخرى، من العار أن نعود إلى لعب دور المنبوذ، فقد كان جميلاً أن نجعل العالم يعتقد مرة بأننا كنا أشخاصاً طيبين. لقد سمح لنا سحر كلينتون بأن نفلت من العقاب رغم أمور منكرة كثيرة قمنا بها: زيادة استخدام العمال بأجور منخفضة وظروف سيئة وتشغيل الأطفال في العالم الثالث بواسطة شركات أميركية، التخلص من منتجات غير آمنة بدفنها في بلدان فقيرة، وتصدير حتى أسوأ أفلام هوليود إلى الخارج.

يوم نموذجي في حياة "الرئيس"

جورج دبليو بوش

8:00 صباحاً: يستيقظ رئيس الولايات المتحدة. يتحقق إذا كان ما يزال في البيت الأبيض.

8:30 صباحاً: الإفطار في السرير. يقرأ رامسفيلد له الأبراج والمقاطع الهزلية.

9:00 صباحاً: يمر تشيني "نائب الرئيس" لمساعدة جورج في ارتداء ملابسه، يتطرق إلى الوضع في أحد البلدان، ويذكّر جورج بأن ينظف أسنانه بالفرشاة.

9:30 صباحاً: يصل رئيس الولايات المتحدة إلى المكتب البيضوي، يحيي

السكرتيرة.

9:35 صباحاً: يغادر رئيس الولايات المتحدة المكتب البيضوي لكي يتمرن في الصالة الرياضية للبيت الأبيض.

11:00 صباحاً: التدليك والبيديكور (العناية بأظافر القدم).

منتصف الظهر: الغداء مع مندوب البايسبول باد سيليغ. يؤكد سيليغ بأن صناع القرار مازالوا بلا عمل حتى الآن.

1:00 ظهراً: القيلولة.

2:30 ظهراً: فرصة تصوير فوتوغرافية مع "فريق اليوم" في دوري كرة البايسبول للصغار والشباب.

3:00 بعد الظهر: يعود رئيس الولايات المتحدة إلى المكتب البيضوي لمناقشة التشريعات مع أعضاء الكونغرس.

3:05 بعد الظهر: ينفض الاجتماع؛ يخبر أعضاء الكونغرس الصحافة، "الاجتماع كان مثمراً. طلب منا الرئيس 'سن بعض القوانين،' ثم جعلنا نلتقط بعض الكرات على المرج الجنوبي."

3:10 بعد الظهر: يطلع تشيني رئيس الولايات المتحدة على سياسة الطاقة، يخبر بوش بأن "يرسل ملاحظات شكر" إلى رؤساء كل الشركات.

3:12 بعد الظهر: يطلب رئيس الولايات المتحدة خريطة للعالم كي يراها؛ يبدو مندهشاً "كم أصبح العالم كبيراً."

3:40 بعد الظهر: حفظ رئيس الولايات المتحدة عن ظهر قلب عواصم كل دول العالم البالغة عددها 191 دولة في أقل من نصف ساعة.

3:44 بعد الظهر: يتصل رئيس الولايات المتحدة برئيس وزراء رومانيا "فقط لأن بإمكاني فعل ذلك؛" يتحدى رئيس الوزراء الروماني في أن يسمّي عاصمة بورما؛ لم يستطع رئيس الوزراء فهم كلمة مما كان يقول، لأن الرئيس كان يتكلم بالإسبانية.

3:58 بعد الظهر: يقبل رئيس الولايات المتحدة أن يتلقى مكالمة يدفع المتلقي ثمنها من سجن أوستن. ابنة رئيس الولايات المتحدة معتقلة لأنها انتهكت حرمة صورة رئيس الولايات المتحدة المعلقة في مبنى الهيئة التشريعية في الولاية عندما كان حاكماً. يدعي رئيس الولايات المتحدة بأن الاتصال سيئ، يقلد صوت امرأة

مكسيكية دخلت على الخط، ثم يقفل الخط. "إنها فتاة تشبه والدها."

4:00 بعد الظهر: ينتهي عمل اليوم؛ ينسحب رئيس الولايات المتحدة إلى جناح الجلوس من أجل قيلولة صغيرة.

6:00 مساء: عشاء رسمي مع مسؤولين رفيعين أفارقة. يخبر تشيني بأنه "لا يستطيع التفكير بشأن أفريقيا الآن – إنها 'القارة السوداء،' كما تعلم!" يطلب رئيس الولايات المتحدة من نائب الرئيس الجلوس مكانه.

6:05 مساء: يذهب رئيس الولايات المتحدة للسباحة في بركة البيت الأبيض.

7:00 مساء: اتصال هاتفي مع لورا في المزرعة في تكساس ("أسجل حضوري فقط").

7:02 مساء: يذهب إلى غرفة العرض السينمائي في البيت الأبيض؛ يشاهد فيلم دايف (ثانية)؛ ثم يغط في النوم.

8:30 مساء: يوقظ تشيني رئيس الولايات المتحدة، يأخذه إلى غرفته، يضعه في السرير ويغطيه، يقول له ليلة هانئة. ينزل نائب الرئيس لكي يستأنف حبك المؤامرات من أجل تدمير كوكب الأرض.

في الحقيقة، لقد قام كلينتون بالعديد من الأشياء التي يقوم بها بوش اليوم – ولكنه فقط لم يضجر الناس بها. كما تعلم، فقد كان كلينتون هادئاً – هادئاً جداً إلى درجة أن القليل من الناس كانوا يعرفون بما ينوي فعله. لقد أمّن لنا كلينتون غطاءاً جيداً بحيث تمكنا لبضع سنوات من السفر في معظم البلدان بأمان، بدون خوف من تعقب بعض الرعاع لنا وقتلنا.

ولكن الآن، بفضل سياسة "عضّني" الخارجية لبوش، أصبح من الصعب تبرير لماذا نحن الذين نشكل 4 بالمائة من عدد سكان العالم، والأكثر تعجرفاً فيهم، ينبغي أن نمتلك أكثر من ربع ثروات الأرض. إذا لم ننتبه جيداً إلى أنفسنا، فسيعلم المتشككون والمعارضون الذين يكثرون في البلدان المضطهدة بأن ثلاثة فقط من أغنى الرجال في أميركا يملكون من الممتلكات الشخصية ما يفوق ممتلكات كل سكان البلدان الستين الأكثر فقراً في العالم.

بالإبادة النووية. بعد ذلك وبشكل مفاجئ رحل الشيوعيون وانتهت الحرب الباردة. وتُركنا مع أكثر من عشرين ألف رأس نووي – والسوفييت السابقون مع أكثر من تسعة وثلاثين ألف. كمية كافية لتفجير العالم بأكمله أربعين مرة.

أعتقد أن معظمنا نحن الذين وُلدنا في نهاية الأربعينيات قد تربينا على الاعتقاد بأننا ربما لن نفنى ما لم يُطلَق "بالصدفة" واحد من تلك الصواريخ. كنا نجثم تحت سحابة من الخوف أثرت على كل شيء قمنا به كأمة، ولذلك أنفقنا آلاف المليارات للتخفيف من ذلك الخوف – عن طريق صنع المزيد من الأسلحة النووية.

مع إنفاق كل هذه الأموال الآتية من الضرائب على رؤوس نووية لا نفع لها آملين بأن لا نستخدمها أبداً، سمحنا لمدارسنا بالانحدار إلى الهاوية، وفشلنا في تأمين العناية الصحية لمواطنينا، وانتهى الأمر بنصف علمائنا للعمل في مشاريع عسكرية بدلاً من عملهم في اكتشاف علاج للسرطان أو اكتشاف اختراع جديد يحسن من نوعية حياتنا.

إن الـ 250 مليار دولار التي خطط البنتاغون لإنفاقها في العام 2001 من أجل صنع 2,800 طائرة مقاتلة جديدة من نوع جوينت سترايك أكثر من كافية لدفع رسوم تعليم كل طالب جامعي في أميركا.

تبلغ الزيادة المقترحة في الأموال المقدمة إلى البنتاغون في السنوات الأربع القادمة 1.6 تريليون دولار. يقول مكتب المحاسبة العامة بأن المبلغ المطلوب لإعادة إحياء وتجديد كل مدرسة في أميركا هو 112 مليار دولار.

إذا قررنا عدم صنع بقية الطائرات النفاثة المقاتلة F-22 التي طلبتها القوى الجوية خلال الحرب الباردة (والتي أصر كلينتون من قبل ويصر بوش المنتخب الآن على تمويلها)، فسيغطي ذلك المبلغ، 45 مليار دولار، بشكل كامل تكاليف رعاية كل طفل في أميركا بحاجة إلى تلك الرعاية في المرحلة التي تسبق دخوله إلى المدرسة، للسنوات الست القادمة.

ماذا لو فكرت المليارات المحتشدة في آسيا، وأفريقيا وأميركا اللاتينية بأنه ينبغي أن يحصل المليار إنسان منهم ممن لا يملكون مياه شرب نظيفة على تلك المياه؟ هل تعلم كم يكلف ذلك؟ على الأقل 25 بالمائة من برنامجنا "حرب النجوم"!

ماذا لو أراد فجأة أولئك الـ 30 بالمائة من العالم الذين مازالوا غير موصولين بالكهرباء أن يضعوا مصباحاً كهربائياً ويقرؤوا كتاباً؟ ولو! احذروا!

أما أشد خوفي فهو من الـ 50 بالمائة من سكان الأرض الذين لم يجروا اتصالاً هاتفياً حتى الآن! ماذا لو خطر ببالهم أن يتصلوا بالبيت في عيد الأم، أو أن يجروا اتصالات لكي يطلبوا السوشي إلى منازلهم؟ ألم يسمعوا بأنه لم يعد هناك المزيد من الأرقام الهاتفية؟

لا داعي لزيادة الغضب في صدور أولئك الناس، فهم سلفاً غاضبون بما يكفي منا، وذلك بفضل الأداء المؤسف لبوش.

فكرة أي غبي، كانت تجاهل عرض الروس منذ خمسة عشر سنة للتخلص من الأسلحة النووية؟ هل نسي الجميع بأنهم كانوا على استعداد لتفكيك أسلحتهم النووية من جانب واحد بعد تفكك الاتحاد السوفييتي؟ في قمة حصلت في أيسلندا في العام 1986 (قبل تفكك الاتحاد السوفييتي)، وضع غورباتشوف على الطاولة هدفاً يتمثل "بالتخلص نهائياً من الأسلحة النووية بحلول العام 2000." (لم يستطع التوصل إلى اتفاق مع ريغان بسبب رفض الأخير التخلي عن تطوير – لقد حزرت – "حرب النجوم.") وفي حال أن ريغان لم يسمعه في المرة الأولى، فقد كرر غورباتشوف عرضه ثانية أمام بوش الأب المنتخب في العام 1989: "حتى نحافظ على السلام في أوروبا نحن بحاجة إلى الحد من الأسلحة النووية، وليس إلى الحفاظ على الأسلحة النووية بحجة الردع. والأفضل من ذلك كله إلغاء الأسلحة النووية."

في تلك الأثناء، كنا قد عشنا حوالى أربعين عاماً تحت خطر دائم ووشيك

في منتصف الثمانينيات، حدث شيء استثنائي آخر. أعلن غورباتشوف أيضاً، متحدياً ريغان كي يحذو حذوه، بأن الاتحاد السوفييتي سيتوقف عن إجراء أي اختبارات جديدة على الأسلحة النووية. وقال غورباتشوف بأنه سيقوم بذلك سواء انضمت إليه الولايات المتحدة أم لا. لقد كانت لحظة رائعة – ولكنني متأكد من أنها نُسيت الآن من قبل معظم الأميركيين. كانت تلك هي المرة الأول التي نحس فيها بشيء من الأمل بأننا لن نفجر أنفسنا ونتحول إلى هباء منثور في نهاية الأمر.

إن سباق التسلح المجنون الذي ابتدأنا به نحن واضطر الاتحاد السوفييتي لمواكبتنا أسهم في نهاية الأمر بإفلاسه. عندما صنع الاتحاد السوفييتي أول قنبلة ذرية له في العام 1949، كانت الولايات المتحدة تملك 235 واحدة منها. وبعد عشر سنوات كان لدينا 15,468 سلاحاً نووياً، بينما كان السوفييت متخلفين عنا كثيراً، مع 1,060 سلاحاً نووياً "فقط." ولكن، خلال العشرين سنة التالية أنفق السوفييت مليارات أخرى على القنابل – بينما كان شعبهم يرتجف من البرد– وتمكنوا في النهاية كما هو معلوم من اللحاق بنا. ومع حلول عام 1978، كانوا يملكون 25,393 رأساً نووياً، بينما كنا نملك نحن 24,424 رأساً.

إذا كنت تجد نفسك الآن وقد تملكتك نوبة عارمة من الغضب، وتود لو تترك الكتاب جانباً وتتصل بممثلك أو ممثلتك في الكونغرس، افعل ذلك. اتصل بـــ 202-224-3121 (مقسم الكونغرس في الولايات المتحدة). يمكنك إيجاد البريد الإلكتروني لممثلك على العنوان www.senate.gov أو www.house.gov. أو أرسل رسالة بطيئة إلى: مكتب السيناتور (الاسم)، مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة، واشنطن، DC 20515، أو مكتب الممثل في الكونغرس (الاسم)، مبنى الكونغرس في الولايات المتحدة، واشنطن، DC 20515. وبالنسبة لأولئك الأشخاص الذين يحاولون اكتشاف حقيقة من يمثلهم، تحققوا من www.vote-smart.org وسيوضحون لكم الأمر.

ورث غورباتشوف أمة مفلسة، شعبها جائع ويتوق لأن يحظى، من حين

لآخر، بلفافة من ورق التواليت.

ولكن حتى عندما كان الاتحاد السوفييتي على حافة الانهيار في العام 1989، كان ما يزال يحتفظ بـ 39,000 رأساً نووياً. في ذلك الوقت كان رجال البنتاغون جالسون يضحكون، سعداء بالرقم التافه الذي يملكونه من الرؤوس النووية، وهو 22,827. هل كانت مهمة واشنطن الحقيقية تتمثل بدفع الشيوعيين إلى تلك الحالة من الفقر بحيث تؤدي بشعبهم في نهاية الأمر إلى الثورة؟ رمى غورباتشوف، الذي اكتشف هذه الحقيقة، المنشفة معلنا استسلامه، ولكن الأوان كان قد فات، ففي نهاية العام 1991 لم يعد هناك شيء اسمه الاتحاد السوفييتي.

في فورة تلك اللحظة، خرج القادة الروس والأوكرانيون الجدد، متلهفين للنأي بأنفسهم عن الأيام القديمة، من البوابة وبأيديهم الحمائم وأغصان الزيتون ليقدموها إلى الولايات المتحدة. قال الأوكرانيون بأنهم انسحبوا من سباق التسلح، وأزالوا على الفور رؤوسهم النووية من الخدمة. وأطفأ الروس كل الإحداثيات المتصلة بالكمبيوتر والموجهة إلى مدن مختلفة في الولايات المتحدة، ثم عرضوا الانضمام إلى الأميركيين وإزالة الأسلحة الذرية بشكل دائم.

وماذا كان ردنا على هذا العرض المدهش غير المسبوق؟

لا شيء.

لم يثنِ هذا الأمر الروس عن عزمهم، وانتظروا الجواب بصبر وأناة. واستمروا بالانتظار. وانتظروا أكثر قليلاً، متأكدين من أننا سنقبل عرضهم الكريم في النهاية.

كما كانوا يأملون بأننا سنظهر القليل من التعاطف ونرسل لهم بعض الطعام، والقليل من الآلات الحديثة، ومجموعة من المصابيح الكهربائية – أي شيء ينتشلهم من بؤسهم. لقد افترضوا بأننا سنفعل لهم ما فعلناه لأوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية – إعانتهم والمساهمة في إعادة البناء، الأمر الذي

أدى إلى سلام دائم ومتواصل لمدة تزيد عن خمسة وخمسين عاماً، المدة الأطول منذ قرون.

نعم، تصور الروس بأن الحياة ستصبح أفضل، والعالم أكثر أمنا بما لا يقاس.

حسناً، أنت تعلم ما حصل. لاشيء. كل ما فعلناه هو تركهم هناك يتعفنون في الوقت الذي تسلمت فيه العصابات الروسية زمام الأمور هناك، الأمر الذي أدى إلى تنامي السخط والاستياء بين أفراد الشعب. ولم يأتِ الفارس ذو الدرع اللامع كما كان موعوداً. واستمر النقص في المواد الغذائية، وتداعت البنى التحتية، واستمر اضطرار العمال والكادحين للشقاء من أجل الحصول على الفتات. وتبين بأن رئيسهم الجديد، بوريس يلتسين، مهرج وسكير. ولأنهم لم يكونوا راغبين بتحويل بلدهم إلى مصنع بأجور زهيدة وظروف مجحفة للشركات الأميركية (كما فعلت الصين)، لم يكن هناك خط متدفق من الدولارات التي كانت تتدفق إلى الاتحاد السوفييتي السابق. وأمسك السياسيون المتشددون من الجانب المظلم من السياسة الروسية بمفاصل صنع القرار، وتلاشت فرصة إزالة الرؤوس النووية الـ 25,000 التي كانت ما تزال جاهزة للقيام بمهماتها.

والآن يتكلم القادة الروس الجدد عن بناء المزيد من الأسلحة – وعن بيع أسلحة إلى إيران وكوريا الشمالية.

بوريس يلتسين مقابل التوأمين بوش

نحن نعتقد بأن ابنتينا، ابنتي بوش، يفوقان دهاء وقدرة على شرب الكحول أياً من هؤلاء الروس. قارن بين هذه السجلات:

التوأمان بوش: قُبض عليهما تشربان في نادٍ ليلي في أوستن.

يلتسين: أُمسك وهو يشرب في اجتماع مجموعة الدول السبع.

التوأمان بوش: تملكان أساليب سرية لإطلاق سراح صديق لهما من السجن.

يلتسين: لديه المخابرات الروسية KGB لتقوده إلى مخزن للكحول.

التوأمان بوش: قُبض عليهما تستخدمان هوية شخصية مزيفة كي تشربان.
يلتسين: لم يُقبض عليه أبداً، ولكنه يلفق الأعذار كي يشرب.

لقد تركنا فرصة العمر تفلت منا لإنهاء سباق التسلح المحموم وخلق تحالف جديد في النظام العالمي الجديد. ولم تُفتح نافذة تلك الفرصة لوقت طويل – وانتهت بأسرع من تفتيش راسبوتين في حقيبة يد مونيكا لوينسكي.

مونيكا لوينسكي. هكذا قضينا النصف الأخير من التسعينيات، مركّزين بصرنا على بقعة حاصلة من الجماع على ثوب أزرق. لقد وضع الكونغرس جانباً كل المسائل التافهة كإنقاذ العالم من الإبادة النووية للتركيز على كيف بالضبط أدخل القائد الأعلى سيجاراً في متمرنة. هذا ما كان يأسر انتباهنا المشدود – إلى جانب الحركة البطيئة للجياد غير المروضة، وملكات جمال مخنوقات بعمر ست سنوات، والعادات الغرامية لهيو غرانت. كانت لدينا فرصة لجعل العالم آمناً لأجيال قادمة، ولكننا كنا مستمتعين باللهو والعربدة في حي وال ستريت. هذا ما يحصل في أمة من اللصوص والمتهربين من أداء واجبهم.

ولكن، هاي، لا تيأس! من بين أهم عشرين دولة صناعية، نحن الرقم واحد!!

نحن الرقم واحد في عدد المليونيرات.

نحن الرقم واحد في عدد المليارديرات.

نحن الرقم واحد في الإنفاق العسكري.

نحن الرقم واحد في عدد الموتى بواسطة الأعيرة النارية.

نحن الرقم واحد في إنتاج لحم البقر.

نحن الرقم واحد في معدل استخدام الفرد للطاقة.

نحن الرقم واحد في انبعاثات غاز ثاني أوكسيد الكربون (أكثر من أستراليا، والبرازيل، والهند، وإندونيسيا، وألمانيا، وإيطاليا، والمكسيك، والمملكة

المتحدة مجتمعة).

نحن الرقم واحد في كمية النفايات الداخلية الفردية والإجمالية (720 كغ لكل شخص في السنة).

نحن الرقم واحد في إنتاج النفايات الخطرة (أكثر بعشرين ضعف من أقرب منافس لنا، ألمانيا).

نحن الرقم واحد في استهلاك الوقود.

نحن الرقم واحد في استهلاك الغاز الطبيعي.

نحن الرقم واحد في أقل قدر من الدخل الحكومي الناتج عن الضرائب (بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي GDP).

نحن الرقم واحد في أقل قدر من الإنفاق الحكومي الفدرالي والولاياتي (بالنسبة إلى GDP).

نحن الرقم واحد في عجز الميزانية (بالنسبة إلى GDP).

نحن الرقم واحد في الاستهلاكي اليومي للوحدات الحرارية لكل فرد.

نحن الرقم واحد في أقل عدد من المقترعين.

نحن الرقم واحد في عدد الأحزاب السياسية الممثلة في الهيئة التشريعية المفردة أو المزدوجة (ذات مجلسين تشريعيين).

نحن الرقم واحد في عدد حالات الاغتصاب المسجلة (أكثر بثلاثة أضعاف من أقرب منافس لنا، كندا).

نحن الرقم واحد في عدد حالات الوفاة والإصابة من حوادث الطرقات (أكثر بمرتين تقريباً من كندا).

نحن الرقم واحد في عدد الأطفال المولودين لأمهات تحت سن العشرين (مرة أخرى، أكبر بمرتين من كندا ونيوزيلندا).

نحن الرقم واحد في عدد المعاهدات الدولية بخصوص حقوق الإنسان التي

توقَّع.

نحن الرقم واحد بين الدول التي تملك حكومات شرعية في الأمم المتحدة التي لم تصادق على معاهدة الأمم المتحدة لحقوق الطفل.

نحن الرقم واحد في عدد إعدامات المجرمين بحق الطفل.

نحن الرقم واحد في احتمال موت الأطفال تحت سن الخامسة عشرة بواسطة الأعيرة النارية.

نحن الرقم واحد في احتمال إقدام الأطفال تحت سن الخامسة عشرة على الانتحار بواسطة المسدس.

نحن الرقم واحد في أقل العلامات المحصلة في مادة الرياضيات للصف الثامن.

نحن الرقم واحد في كوننا أصبحنا أول مجتمع في التاريخ تكون فيه المجموعة الأكثر فقراً من بين سكانه هم الأطفال.

توقف لحظة وتأمل القائمة. ألا تجعلنا هذه القائمة نشعر بالفخر لمعرفة أننا نحن الأميركيين، ولا أحد غيرنا، نتربع على قمة هذه الفئات العديدة؟ يجعلك هذا الأمر تشعر بالحنين إلى تلك الأيام عندما فازت ألمانيا الشرقية بكل الميداليات في الألعاب الأولمبية. إنه عمل فذ ليس من السهل تحقيقه، يا قوم. امنحوا أنفسكم تربيتة على الظهر، وأنتم أيها الأغنياء حسماً آخر على الضرائب.

في محاولة لأن نكون أكثر فهماً لأولئك الذين يعيشون في الدول الـ 191 الأخرى على الأرض، أود أن أقدم بضع اقتراحات للمساعدة في جلب السلام إلى هذا العالم. وأدعوها بكل تواضع "خطة مايك للسلام الشامل." أنا أنظر إلى هذه الخطة على النحو التالي: كلنا عالقون على هذه الجزيرة الكبيرة، ولا أحد يمكنه استثناء نفسه أو ادعاء الحصانة. لذا، سواء كان هذا هو الصواب بعينه، أو أننا فقط لا نريد أن ينتهي بنا الأمر بأن يكمن لنا بن لادن ويترصدنا في كل

مطار في أميركا، فإننا بحاجة للمساعدة على إعادة بعض الأمور إلى نصابها في هذا العالم.

وأود أن أبدأ بالشرق الأوسط، وأيرلندا الشمالية، ويوغوسلافيا السابقة، وكوريا الشمالية.

الأرض المقدسة

يالله من اسم جميل – الأرض المقدسة – لمكان ينتشر فيه الرعب والشر في كل ميل مربع أكثر من انتشارهما في غرفة الشيطان الشخصية نفسها حيث يقيم فيها وليمته السنوية.

في كانون الثاني من العام 1988، بعد شهر واحد فقط من بداية أول انتفاضة فلسطينية، سافرت وعدة أصدقاء لي إلى فلسطين، لنرى بأنفسنا ما السبب وراء هذه الثورة.

رغم أنني قد سافرت قبل ذلك إلى أميركا الوسطى، والصين، وجنوب شرق آسيا، والمناطق الأخرى من الشرق المتوسط، إلا أنني لم أكن مستعداً بعد لمشاهدة مخيمات اللاجئين في الأراضي المحتلة. لم أصادف في حياتي مثل هذا البؤس المطلق. إن إرغام كائنات بشرية على العيش في هذه الظروف – وفعل ذلك بواسطة السلاح، لأكثر من خمسين عاماً – لم يكن له أي معنى على الإطلاق.

أنا حزين جداً ومستاء لما تحمله المواطنون اليهود في العالم من الرعب والبؤس، إذ لم تشهد أي مجموعة بشرية أكثر مما شهده اليهود من الموت والتعذيب، على يدي التعصب الذي دام ليس قروناً فقط، وربما آلاف السنين.

وما يذهلني ليس طبيعة هذا الحقد – فالحرب العرقية تبدو حقيقة من حقائق الحياة بالرغم من كل شيء– وإنما تواتره الثابت وانتقاله عبر آلاف السنين.

الحقد ليس ساعة ذهبية لجدك، يمكنك تركها لأبنائك من بعدك. لو أن جدي الرابع لأبي كان يكره الكنديين أو البروتستانتيين، لما كنت سأعرف ذلك أبداً. ومع ذلك وبطريقة ما انتقل كره اليهود عبر الأجيال كلغة أو أغنية أو تقليد شفهي، بين العديد من الناس.

حسناً، إليك أحد العوامل المعقدة المتعلقة بحالة الفلسطينيين، والتي ترتبط بالطبيعة المؤسفة فينا نحن البشر، وهي أنه عندما نتعرض للظلم، يميل بعضنا للسعي إلى ظلم الآخرين – ليس مستغرباً أن يسيء الأولاد الذين أُسيئت معاملتهم معاملة أولادهم هم بالذات. بعد قذف الأميركيين للكمبوديين المسالمين المحايدين بالقنابل مرات ومرات وقتل مئات الآلاف منهم أثناء الحرب الفيتنامية، ليس هناك ما يدعو للصدمة عندما يستمر مسلسل القتل ويتحول الكمبوديون إلى قتل بعضهم البعض. وبعد أن فقد الاتحاد السوفييتي ما يزيد عن عشرين مليوناً من مواطنيه في الحرب العالمية الثانية، ليس من المستغرب سعيهم إلى تأمين ضمانة من غزو مستقبلي بواسطة الإمساك والسيطرة تقريباً على كل بلد يجاورهم.

في بعض الأحيان يفقد الناس عقولهم من شدة الظلم والعنف فيتخذون إجراءات متطرفة ولا عقلانية لحماية أنفسهم.

لا أريد الخوض في الحديث عن الحجج المختلفة بشأن السبب وراء خلق إسرائيل، أو ما هي الادعاءات التوراتية أو التاريخية بالأحقية في تلك الأرض. بدلاً من ذلك أريد معالجة الوضع على الأرض، وهو القتل المستمر بين جانبي القضية: الكره المستمر لليهود من قبل الفلسطينيين، والاضطهاد المروع والمرعب للفلسطينيين بواسطة الإسرائيليين.

صحيح أيضاً أن الفلسطينيين يعانون من الكثير من الاضطهاد في البلدان العربية، حيث لا يُسمح للفلسطينيين بالتصويت أو التملك ويُعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية. ولكنني لن أصرف وقتاً في الحديث عن هذا الموضوع لأنني

الدماء الذي يُرتكب باسمها/باسمنا – وإلا فسنقطع عنها الثلاثة مليارات دولار كلها. إن الإرهاب الفردي سيئ بما يكفي، فكيف بالإرهاب الذي ترعاه الدولة. أنا أتفهم بأن العالم سيبقى دائماً يشعر بأنه مجبر على الانتقام للظلم الذي يعاني منه بوسائل عنيفة، ولكن، أن يفرض الإسرائيليون بشكل جماعي بالقوة نظاماً من الإرهاب ضد مجموعة من البشر لمجرد أنهم من عرق أو دين مختلف، فهذا أمر غير معقول وعديم الضمير. وأنت وأنا والملايين الآخرون من دافعي الضرائب الأميركيين نقدم المال لخدمة هذه الأفعال الإسرائيلية معدومة الضمير – أفعال لم يكن بمقدورها أن تحدث لو لم يؤخذ من كل واحد منا 4 سنتات من أجرنا يومياً (إلى هذا اليوم) لشراء الرصاص الذي يذهب إلى أسلحة الإسرائيليين التي تقتل الأطفال الفلسطينيين.

2. إذا كانت إسرائيل تريد المحافظة على تلقي الدولارات المُحصَّلة من ضرائبنا، فيجب أن تُمنح سنة لكي تعمل مع الفلسطينيين لإنجاح خطة تهدف إلى إنشاء دولة تدعى فلسطين (مكونة من الضفة الغربية، وغزة وقطعة من الأرض تصل بينهما). هذه الدولة الجديدة يجب أن تقدم دستوراً لا يمنع فقط أي شكل من أشكال الاعتداء ضد إسرائيل ولكنه يجب أيضاً أن يكفل حقوقاً ديمقراطية كاملة لكل رجل، وامرأة وطفل فلسطيني.

3. عندئذ، ستمنح الولايات المتحدة فلسطين ضعف ما كانت تعطيه لإسرائيل (ومن أجل سلام دائم، سأكون سعيداً بالتنازل عن حصتي في الأسبوع). وهذا ليس مبلغاً مجانياً لإفساد الموظفين الرسميين كالذين نملكهم في بلادنا. إنها مساعدة هادفة على نموذج خطة مارشال لبناء الطرقات، والمدارس، والمشاريع الصناعية التي تقدم وظائف ذات أجر لائق.

4. وعلى الولايات المتحدة حينئذ أن تلتزم بحماية حقوق الطرفين.

بالطبع، من سيصغي إلي؟ من الواضح أن متابعة هذه الأوبرا العبثية حول قطعة أرض يمكنك عبورها في الوقت الذي يتطلبه منك الذهاب من أوكلاند إلى

لا أستطيع فعل الشيء الكثير بشأنه. أنا وأنت لا نعطي 3 مليارات دولار إلى سوريا، كما نفعل إلى إسرائيل. وبما أن هذا المال مالنا، فيجب أن نعتبر أنفسنا مسؤولين عن ظروف الاضطهاد، والقتل، والتمييز العنصري الموجودة في الأراضي المحتلة بواسطة إسرائيل.

يجب إيقاف الصراع في الشرق الأوسط – والآن. تملك إسرائيل أسلحة نووية، وبعض البلدان ستفعل ذلك في القريب العاجل، لذا من الأفضل لنا إيقاف هذا الجنون بسرعة قبل أن ندفع كلنا ثمناً باهظاً مقابل ذلك.

أنا لا أريد أن يُموّل التمييز العنصري بإسمي – في أي مكان من العالم. أعتقد (أوقفني إذا سمعت هذا الكلام من قبل) بأن كل الكائنات البشرية تملك الحق بتقرير المصير، والحق بالاقتراع، والحق بالعيش، والحرية، والسعي وراء السعادة. والعرب الذين يعيشون في الضفة الغربية وغزة لا يملكون أي شيء من هذا القبيل. إنهم يعيشون تحت حظر التجول. تُفرض عليهم الضرائب بدون أن يكون لديهم تمثيل. إنهم يُعتقلون ويُسجنون بدون محاكمة. بيوتهم تُجرَف بدون إنذار. أراضيهم تُسرَق وتُعطى "للمستوطنين". وأولادهم يُقتلون لرميهم الحجارة – أو لمجرد أنهم يمشون في الشارع.

بالتأكيد إنهم يرمون الحجارة! بالتأكيد إنهم يقتلون الإسرائيليين! هذا ما يفعله المظلومون – إنهم يدافعون عن أنفسهم. من ينبغي أن يعرف هذا أكثر من الإسرائيليين؟ لقد ذُبحوا حتى شارفوا على الانقراض في القرن الماضي، وسيكونون ملعونين إذا ما أُبيدوا في هذه الألفية.

في مثل هذه الأوقات، أولئك المحظوظون بما يكفي منا لتجنب مثل هذه المعاناة في حياتهم الخاصة، يجب أن يتقدموا ويوقفوا القتل. هذا ما أريد لبلادي أن تقوم به. وإليك كيف: توقفوا عن إرسال شيك على بياض، وابدؤوا بالتدخل هناك والتوسط بين الفريقين لإيقاف تلك البربرية. هذه هي خطتي:

1. يجب أن يبلغ الكونغرس إسرائيل بأن أمامها ثلاثون يوماً لإنهاء سفك

سان فرانسيسكو، أمر ممتع جداً.

على أي حال، ربما يوجد شخص واحد سيصغي إلي.

عزيزي السيد عرفات:

نحن لم نتقابل أبداً. وهذه ليست محاولة للحصول على دعوة إلى العشاء أو ممارسة لعبة الحدوات، فأنت رجل مشغول، وأنا رجل مشغول (رغم أن بإمكاني حمل أي شخص في المكتب هنا على أن يدعوني الرئيس، أو يجيب على أوامري بـــ "حاضر سيدي!").

عفواً. إنه ذلك النوع من حس الدعابة الذي حافظ على ظهوري فقط على الكابل الرئيسي في أميركا (القناة 64، مباشرة بعد محطة اللغة الإيطالية في نيويورك).

أنا أملك المفتاح الذي يوصلك إلى النجاح. أنا أعلم كيف يمكنك، بمبادرة فردية منك، إنهاء القتل من الجانبين – وعلاوة على ذلك، الظفر بدولة فلسطينية!

أعرف بأنك تفكر الآن، "هاي، من هو هذا الشخص؟" وأنت محق.

ولكن أصغ إلي جيداً. أريد أن أقترح عليك شيئاً ثورياً جداً إلى درجة أنه سيقلب الطاولة على رأس كل يميني إسرائيلي متطرف ويرسل كل إسرائيلي مؤيد للسلام راكضاً إلى صفك.

اقتراحي هذا ليس فكرة جديدة، وهو لا يتعلق بجيوش، أو أموال، أو قرارات من الأمم المتحدة. إنه رخيص جداً، وجُرِّب مرات عديدة في بلدان عديدة – ولم يفشل أبداً. يتطلب اقتراحي عدم وجود أي حقد أو أسلحة. في الواقع، يتعلق الأمر برمته بعدم وجود أسلحة.

إنه يُدعى العصيان المدني السلمي الشعبي. لقد نجح مع مارتن لوثر كينغ، فقد أنهت حركته التمييز العنصري المشرّع في أميركا. ونجح مع غاندي، فهو

وموطنيه من الهنود جعلوا الإمبراطورية البريطانية تركع على قدميها بدون طلقة واحدة. ونجح أيضاً مع نيلسون مانديلا، الذي أوقف هو والمؤتمر الوطني الإفريقي التمييز العنصري بدون ثورة عنيفة.

إذا كان قد نجح معهم، ثق بي، فهو سينجح معك.

بالتأكيد، مازال بإمكانك أن تربح بواسطة العنف، فقد أثبت الفيتناميون أن بإمكانهم هزيمة الدولة الأكثر قوة على الأرض.

إذاً، فالقتل ينجح بالفعل، على ما أعتقد. ولكن المشكلة الوحيدة هي أنه بعد توقف القتل ستحس ببعض الدوار في رأسك، وسيتطلب منك الأمر فترة من الوقت حتى تتعلم كيف تلقي أسلحتك (225 سنة ولما نتعلم بعد).

ولكن إذا أردت تجربة الطريقة التي لا تعتمد على العنف، فأنت لن تحصل فقط على عدد أقل من القتلى، وإنما ستحصل على دولتك في نهاية الأمر!

إليك كيف تنجح هذه الطريقة:

1. اجلسوا فقط. هذا كل ما في الأمر. إنه شيء بسيط. ما عليكم إلا أن تجلسوا على الأرض – غالباً بضع آلاف في وسط الطرق ستنفع– ولا تتحركوا ولا تقاوموا عندما يحاولون سحبكم بعيداً. وبدلاً من إغلاق إسرائيل الطرق المؤيدة إلى غزة والضفة الغربية، أنتم من سيغلق عليهم الطريق. سيروا بشكل هادئ ومسالم إلى حواجز التفتيش واجلسوا. لن يتمكن أي إسرائيلي من الوصول إلى مستوطنته. ولن يتمكن أي إسرائيلي من نقل البضائع والموارد الطبيعية من أرضكم إلى إسرائيل. ولا يوجد أي حافلة إسرائيلية على حد علمي يمكنها أن ترحّل مجموعة مكونة من الآلاف من البشر. بالطبع هم سيحاولون، وربما سيُجرح بعض منكم أو يُقتل، مع ذلك، لا تتحركوا. اجلسوا فقط، فالعالم كله سيكون شاهداً على ما يجري – وخاصة إذا أثبتم للعالم نواياكم الطيبة وأعلمتم وسائل الإعلام بخططكم. (ثق بي، ستتلقى حينئذ CNN اتصالك.) وستحصل في نهاية الأمر على عدد أقل من القتلى الفلسطينيين مما تحصل عليه

شعبكم. سيجرُّون نساءكم من شعرهن، وسيحرضون الكلاب عليكم، وربما سيفتحون عليكم خراطيم المطافئ (وأساليب أخرى تعلموها منا نحن الأميركيين). ينبغي عليكم أن لا تقاوموا أبداً! ثقوا بي، عندما تصل صور معاناتكم على أيدي هؤلاء المتوحشين إلى العالم، سيكون هناك صرخة احتجاج كبرى لن يكون بمقدور الحكومة الإسرائيلية معها الاستمرار في قمعها واضطهادها.

وإذا أردت، سآتي وأشارككم في احتجاجكم المسالم. على أي حال، إنه أقل ما يمكنني القيام به بعد مساعدتي في تمويل الرصاص والقنابل التي قتلت شعبكم.

المخلص لك

مايكل مور

المملكة المتحدة البريطانية العظمى وايرلندا الشمالية

مرة أخرى، السمعة ذاتها تلتصق بهذه القضية، والناس المسؤولون عنها يعلمون بأنهم يقومون بضرب من ضروب الخداع. لو كانت المملكة المتحدة تشعر بأن لها الحق بإدعاء السيادة على ايرلندا الشمالية، لأعلنتها ببساطة جزءاً من بريطانيا العظمى وتركتها على هذا الوضع منذ زمن بعيد.

الآن لا تسئ فهمي، فأنا أحب الشعب البريطاني. لقد موّلت استوديوهات التصوير والشبكات التلفزيونية البريطانية عملي عندما لم تفعل ذلك مثيلاتها الأميركية. إن البريطانيين – إذا سمحت لي بإطلاق حكم عام يمكن إثبات بطلانه في أي حوادث شغب في لعبة كرة القدم في بريطانية– شعب ذكي مع الكثير من حس الفكاهة والإعجاب المتطرف بالسخرية السياسية. وعلى عكسنا نحن، إنهم يملكون إصدارات إعلامية متعددة (لندن وحدها تملك إحدى عشرة

صحيفة يومية، وشبكاتهم الوطنية الأربع تملك ما تقدمه في أي ليلة أكثر مما تقدمه قنواتنا التي تزيد عن مائتي قناة مجتمعة). تقدم وسائل الإعلام البريطانية مجموعة واسعة ومتنوعة من آراء رؤساء التحرير السياسية. لا أحد مُسقَط من الحديث السياسي في المملك المتحدة.

ماعدا الكاثوليك في ايرلندا الشمالية.

كما هو الحال مع "الوضع" الفلسطيني، لن أصرف وقتاً في استرجاع ثمانمائة سنة من التاريخ، لذا دعني أدخل فوراً إلى صلب المشكلة المحيرة. إن الكاثوليك في ايرلندا الشمالية هم مواطنون من الدرجة الثانية، تُنتهك حقوقهم على الدوام، ويُبقون في الطبقة الدنيا اقتصادياً، ويعيشون تحت رحمة قوة احتلالية من الجنود البريطانيين. لقد أدى هذا الأمر إلى الكثير من القتل العشوائي على مدار الثلاثين سنة الماضية. استطاع بيل كلينتون أن يجمع بين الطرفي خلال مدة رئاسته، وساعد على إنجاح تسوية سلمية ضمت الكاثوليكيين في تركيبة الحكم في ايرلندا الشمالية. وكان الجميع مرتاحاً ومفعماً بالأمل.

ولكن ذلك الأمل لم يدم طويلاً، وذلك عندما أصر البروتستانتيون بعد وقت قصير على عدم مشاركة السلطة حتى تُسلَّم كل قطعة سلاح من أسلحة الجيش الجمهوري الأيرلندي. رأى معظم الناس هذا الأمر على أنه حجة للانسحاب من الاتفاق، ونتج عن ذلك سفك جديد للدماء. ومنذ ذلك الحين أصبح المنظر أكثر كآبة.

واستمر هذا الهراء وقتاً طويلاً بما يكفي. أنا أملك حلاً سيجلب سلاماً دائماً إلى هذه المنطقة:

لا مزيد من الخصام والقتال حول الدين عندما ينتمي الجميع إلى نفس الدين! بشكل فطري، لن يريد البروتستانتيون الارتداد عن دينهم – ولكن منذ متى أوقف هذا الأمر الكنيسة الكاثوليكية؟ منذ الصليبيين في العصور الوسطى إلى الفاتحين الإسبانيين لأميركا اللاتينية، عرفت الكنيسة تماماً كيف "تقنع" أبناء

البلد برؤية النور.

بما أن الكاثوليكيين يشكلون 43 بالمائة من ايرلندا الشمالية، فنحن بحاجة فقط إلى ارتداد 8 بالمائة من البروتستانتيين لتكوين أغلبية كاثوليكية. وهذا سيكون سهلاً للغاية. وخاصة بما أن البروتستانتيين يعتبرون الأمور التالية من مزايا المرء عندما يكون كاثوليكياً رومانياً:

* شخص واحد مسؤول – البابا. توجد عدة آلاف من الطوائف البروتستانتية. بعضها يُدار بواسطة لجنة، وبعضها بواسطة شخص منتخب، فيما تُدار البقية ببساطة بواسطة المشاركة، مع عدم وجود أحد يدعي بأنه المسؤول. أما أن تصبح كاثوليكياً، فهذا يعني أن تملك قائداً مدى الحياة، شخصاً لا يخاف من اتخاذ القرارات، وإعطاء المؤمنين مجموعة ثابتة من القواعد والحدود التي تمنح حياة المرء النظام والوضوح. وبعد موت البابا، لن يكون هناك أي فوضى انتخابية – يجتمع عدة مئات من الأشخاص بثيابهم الحمراء في غرفة، ويصوتون، وينفخون دخاناً أبيضاً من المدخنة تخبر الجميع بأن القرار قد اتُخذ. لا خطابات، ولا حملات ولا تملق إلى الناخبين، ولا إعادة تصويت.
* المزيد من المتعة. الكاثوليكيون، كما نعرف كلنا، يملكون أطفالاً أكثر، إذاً، أنت تعلم، فذلك يعني شيئاً واحداً فقط – المزيد من الجنس! عفواً، ولكن في الكنيسة الكاثوليكية لا يمكنك الحصول على الأولاد بدون الجنس. اسمع مني، دع أولئك البروتستانتيين الايرلنديين يعلمون بأنهم سيحصلون على القليل منه، وانظر كيف سيتركون على الفور مواكبهم السخيفة.
* المزيد من أيام العطل. تملك الكنيسة الكاثوليكية ستة أيام رسمية مقدسة. في البلدان التي يعتنق فيها أغلبية المواطنين الكاثوليكية، توجد ستة أيام كاملة مدفوعة الأجر كعطلة من العمل ومثلها من الأيام لأطفال المدارس. هل يمكنك أن تسمي لي يوماً مقدساً بروتستانتياً – بدون حساب اليوم الذي يعلنه كاتالوغ إيدي بوير لعيد الميلاد؟ لا أعتقد ذلك.

* الفتيات الكاثوليكيات (انظر أعلاه).
* بقعة مضمونة في الجنة جعل المسيح من بطرس رأس الكنيسة، ثم أعلن بشكل واضح أن أعضاء "الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية الواحدة" فقط سيعبرون الحبل المخملي عند البوابات اللؤلؤية. إذاً، يمكنك الاستمرار بولائك للملكة والاحتراق في نار جهنم إلى الأبد – أو يمكنك أن توضع على "قائمة النخبة" والاستمتاع بمقعد من الدرجة الأولى إلى الأبد.

ما أن تصبح قائمة كتلك المذكورة أعلاه متوفرة للسكان البروتستانتيين في ايرلندا الشمالية، ما هي إلا مسألة ساعات حتى نشهد تدفقاً محموماً باتجاه بوابات شارع فولز. وإليك الجزء السهل: بإمكان أي كاثوليكي أداء الطقس المقدس للمعمودية إذا اعتقد بأن هذا الشخص غير الكاثوليكي سيموت بدون حصوله على الخلاص.

كل ما ستحتاجه هو القليل من الماء لصبه فوق مقدمة رأس أي بروتستانتي، ثم ترداد الكلمات التالية: "أنا أعمّدك باسم الأب، والابن، والروح القدس، آمين."

هذا كل ما في الأمر! سيتطلب انضمامك إلى النادي الدولي للتحكم بالوزن "ويت واتشرز" وقتاً أطول من ذلك. (وإذا كان البروتسانتيون يبدون غير راغبين، يمكن للكاثوليكيين حينئذ المرور بين الأحياء البروتستانتية – ليس مع البنادق، ولكن مع خراطيم لسقي الحدائق مباركة بواسطة قس في أبرشية ما. رش المياه المعمّدة عليهم، قل الكلمات – وبعد ذلك ابدأ بالعدو بأقصى سرعتك.)

يوغوسلافيا السابقة

هذه الزاوية المنبوذة من العالم كانت مصدراً للكثير من شقائنا الجماعي في القرن الماضي. يمكن إرجاع عدم قدرة سكانها على التقدم – مع الصرب

يحاربون الكروات الذين يحاربون المسلمين الذين يحاربون المقدونيين الذين يحاربون الألبان الذين يحاربون الكوسوفيين الذين يحاربون الصرب- إلى الحادثة التالية فقط: في العام 1914 يقوم فوضوي صربي ثائر يدعى غافريلو برينسيب بقتل الأرشيدوق (الأمير) فيرديناند. أشعلت هذه الحادثة الحرب العالمية الأولى التي قادت إلى الحرب العالمية الثانية. ومات ما يزيد عن خمسين مليون إنسان من جراء هاتين الحربين.

لا أعلم طبيعة هؤلاء القوم. أقصد، أنا لا أطوف متجولاً وأقتل التكساسيين، ولا أحرق قرى بأكملها في فلوريدا. لقد تعلمت أن أتعايش مع الأمر. لماذا لا يستطيعون التعايش هم أيضاً؟

بعد الحرب العالمية الثانية، تسلّم أولئك الذين حاربوا ضد هتلر (على الأغلب أن الصرب، والكروات والآخرون رحبوا بالنازيين وحلهم النهائي بذراعين مفتوحين) السلطة وشكلوا حكومة شيوعية تحت قيادة الماريشال تيتو. رفض تيتو الاستماع إلى موسكو، ومضى في مهمته الخاصة المتمثلة بتوحيد الزمر العرقية المتصارعة في بلده.

لما يقارب الأربعين سنة توقف اليوغوسلافيون عن قتل بعضهم البعض، وأصبحت يوغوسلافيا بلداً متحضراً. لقد صنعتم سيارات يوغو. وأصبحت كرة السلة الرياضة الوطنية. كانت الحياة جيدة.

بعد ذلك مات تيتو، وانفتح باب الجحيم على مصراعيه من جديد. بدأ الكروات بقتل الصرب. وقتل الصرب المسلمين في البوسنا. وقتل الصرب الألبان في كوسوفو. ثم قصفت الولايات المتحدة كوسوفو بالقنابل، لكي تريهم بأن القتل كان أمراً خاطئاً. وفي السنوات القليلة الماضية عم السلام، ثم الحرب، والسلام ثانية، والآن عادوا إلى الحرب ثانية. لم تتوقف الحرب أبداً. هؤلاء الناس مدمنون.

وهذا يعني بأنه قد حان الوقت للتدخل.

ليس تدخلاً عسكرياً، وإنما تدخل ذو اثنتي عشرة خطوة، كالذي تقوم به مع المدمن على الكحول.

اثنتا عشرة خطوة للتعافي من الإدمان على القتل في يوغوسلافيا

بصراحة، أنتم لا تملكون الوقت الكافي لكل هذه الخطوات الاثنتي عشرة – ستموتون هناك. جربوا هذه الخطوات الثلاث – وقوموا بها بسرعة.

- اعترفوا بأنكم عاجزون أمام إدمانكم على العنف، وبأن حياتكم أصبحت صعبة.
- اتخذوا قراراً بتسليم إرادتكم وحياتكم إلى رعاية الأمم المتحدة، وحلف الناتو، وأي منظمة أخرى تقف بينكم وبين الرغبة القسرية بالصراع القبلي التي تشبه تلك التي كانت عند عائلتي هاتفيلد وماكوي (في الولايات المتحدة في نهايات القرن التاسع عشر).
- اعتنوا بكل الأشخاص الذين آذيتموهم من قبل، كلما كان ذلك ممكناً، إلا إذا كان قيامكم بذلك سيؤذيهم هم أو آخرين (أو عندما يكونوا، كالآلاف من اليوغوسلافيين الآخرين، ميتين سلفاً).

أقترح على شعب يوغوسلافيا السابقة بأن يتعهدوا بالإقلاع عن العنف. نظموا اجتماعات أسبوعية في الجزء الأسفل من الكنائس في طول البلاد وعرضها (ما تبقى منها)، واجلسوا على شكل حلقات، ونفّسوا عما بصدوركم (مهما كان ذلك الشيء). نعم، يمكنكم التدخين، وهناك الكثير من القهوة أيضاً.

إذا لم تفعلوا ذلك فنسقط الآلاف من تلك السيارات اللعينة الصغيرة (يوغو) من طائرات الشحن فوق بلدكم. لن تستطيعون الخروج من بيوتكم أبداً لأن ذلك لن يكون آمناً، فلن تعرفوا أبداً متى تسقط واحدة من تلك الأشياء الفاشلة التي تزن 2,000 باوند على رؤوسكم.

ربما يملك العلم حلاً أفضل: قد تكون هذه هي الفرصة التي كنا ننتظرها، لتجسيد أحد الأموات. لم يكن هناك أحد في أميركا يحب تيتو عندما كان حياً،

ولكنه الآن يبدو كزوجة الرئيس جونسون (ليدي بيرد جونسون). أنا لن أمانع إذا ما رأيت حكومة الولايات المتحدة تعهد ببضع مليارات من الدولارات إلى هذا المشروع. وستكون رؤية تلك العروة الكبيرة في قبعته السخيفة مرة أخرى بالنسبة لمواطنيه العنيدين منظراً مفرحاً لتلك العيون المتألمة. باسم الملايين الذين لم يكن هناك من داعٍ لموتهم في القرن العشرين بفضل سوء سلوك اليوغوسلافيين، ربما لا نملك أي أمل آخر بإعادة السلام والهدوء الأهليين إلى يوغوسلافيا. انهض يا تيتو!

كوريا الشمالية

هل تعرف هذا الشيء عن حاكم كوريا الشمالية، كيم جونغ إيل؟ إنه هاوٍ كبير للأفلام السينمائية، فهو يملك مجموعة منزلية تزيد عن خمسة عشر ألف فيلم فيديو. ربما كان يشاهد تلك الأفلام كي يجد فيها ما يرشده إلى طريقة لإنقاذ شعبه المضطهد والجائع. ولكن، بما أن أفلامه المفضلة (إضافة إلى الأفلام الإباحية) تشتمل على أفلام الغرب الأميركي، وأفلام إليزابيث تايلور، وسلسلة الجمعة الثالثة عشر، فهو بالتأكيد يشاهد الأفلام الخاطئة.

كما ألف الديكتاتور/ الهاوي للأفلام كتاباً عن فن السينما، حتى أنه أسس مدرسة سينمائية. "كيم جونغ إيل يشاهد كل فيلم يُعد في كوريا الشمالية،" قالت كيم هاي يونغ، ممثلة كورية شمالية ارتدت إلى الجنوب. "إنه يعطي ملاحظات حول التمثيل، والإخراج، وأي شيء آخر. وإذا مدح ممثلاً أو ممثلة فهو (أو هي) يصبح فجأة نجماً."

وهو يتشارك في إعجابه بعالم التسلية المتقلب الأهواء مع ابنه البكر، كيم جون نام، الذي طار مؤخراً إلى اليابان وهو في شوق كبير لرؤية عالم ديزني الياباني الجديد. استخدم كيم جواز سفر من جمهورية الدومينيكان (بالتأكيد كان

شاذ السلوك. "تشير التقديرات منذ بضع سنوات إلى أنه كان شخصاً غريب الأفكار سكيراً لا يفهم ما يجري حوله،" كما قال مسؤول رسمي رفيع في إدارة كلينتون. بعد أن خلف والده – الذي حكم البلاد منذ 1948 إلى 1994– كقائد رسمي للبلاد، اتُهم كيم بكونه مسؤولاً عن تفجير مجلس وزراء كوريا الجنوبية ومقتل عدة أعضاء فيه، وعن تفجير طائرة مدنية كورية جنوبية. إنه يملك جيشاً ضخماً ويُشك بأنه يمتلك القنبلة النووية.

في السنتين الماضيتين، على الرغم من ذلك، بدا كيم جونغ إيل بإظهار علامات تغيير في طبيعته وشخصيته، علامات تنبئ بأنه يخرج من العتمة إلى النور. عندما بدأت المجاعة في العام 1995، رفض كيم السماح لعمال المساعدة الأجانب بالدخول بحرية إلى البلاد، ووزع بعضاً من المساعدات الغذائية على الجيش. ولكنه سمح في السنة الماضية، لحوالى 150 ممثلاً عن منظمات حكومية دولية بنصب مخيم في كوريا الشمالية. كما استضاف مؤخراً قمة مع رئيس كوريا الجنوبية، الذي كان يحث كوريا الشمالية على إنهاء عزلتها الخطيرة. حتى أن كيم سمح بعد ذلك بزيارة من وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت، التي وجدته قادراً على تبادل حوار دبلوماسي جدي. (في الواقع لقد أصبحا صديقين حقاً، فقد جذبها إلى مجموعة من الحوادث – استعراضات، ولائم غداء... وأفلام.)

والآن بما أن كيم بدأ يتعقل – ويدرك، مثلي، بأن الجلوس في المسرح المظلم ومشاهدة كل أنواع الأفلام السينمائية يمكن أن يكون الطريق إلى السلام والطمأنينة (يُزعَم بأنه اختطف منتجيْن سينمائييْن من كوريا الجنوبية وجعلهما يقومان بصنع فيلم وثائقي في كوريا الشمالية)– لدي عدد من الأفكار التي قد تساعد الديكتاتور الغريب على إنقاذ بلده من الدمار الشامل:

* شاهد أفلاماً أكثر جودة. يجب أن يتجاوز كيم جونغ إيل الأفلام الإباحية وأفلام جون واين. لقد علّق مرة بأنه متأثر جداً لأداء ليوناردو دي كابريو

يبدو تماماً كشخص من الدومينيكان!) كي يحصل على حق بالدخول إلى البلاد. عندما اكتشف مركز الهجرة والجوازات من كان، اتصلوا بوالده وأرسلوه ثانية إلى غرفته في كوريا الشمالية.

بحسب بعض التقارير، يجري كيم جونغ إيل عمليات نقل دم من عذراوات شابات بشكل منتظم "كي يبطئ عملية الشيخوخة." كما أنه هاوٍ متحمس للرياضة، فهو يفهم تماماً الفرق بين دفاع المنطقة ودفاع رجل إلى رجل في كرة السلة الأميركية. وهو يلبس أحذية منبسطة لتزيد من طوله، كما يُشاع بأنه أكبر شارٍ للكونياك من ماركة هينيسي في العالم.

تكمن المشكلة في أن الملايين من شعبه يشارفون على الموت من شدة الجوع، وذلك لأن كيم جونغ إيل ديكتاتور ينفق 25 بالمائة من ميزانية بلاده على الجيش. الآن يمكنك أن تفلت من العقوبة إذا كنت أميركياً – أقصد أننا نملك الكثير من حقول القمح الصفراء، لذا فنحن لن نموت (كلنا) من الجوع لإعطائنا معظم مالنا إلى البنتاغون.

منذ العام 1948، عندما قُسِّمت شبه الجزيرة الكورية إلى شمالية شيوعية وجنوبية رأسمالية/ فاشية، عانى مواطنو الكوريتين كليهما من ظروف بالغة القسوة. لقد عاشوا خلال الحرب الكورية، التي لم تنته رسمياً أبداً (مازلنا في وضع "وقف إطلاق النار")، وعقود من القمع والعزلة (التي أدت في كوريا الجنوبية إلى ولادة حركة مناصرة للديمقراطية في الثمانينيات، ولكن بالنسبة لكوريا الشمالية مازال الوضع على حاله حتى هذا اليوم)، والحرمان الاقتصادي، والطوفانات، والمجاعة. سُمح للكوريين الشماليين بالاجتماع مع أفراد من عائلاتهم من كوريا الجنوبية مرتين فقط خلال خمسين عاماً: في العام 1985، خمسون شخصاً فقط من كل جانب سُمح لهم بالالتقاء مع أقاربهم، وفي آب من العام 2000، سُمح لمائة شخص إضافي بالاجتماع من جديد.

يُعرَف كيم جونغ إيل، يُشار إليه بـــ "عزيزي القائد،" بكونه ماجن مستهتر

إلى درجة أنه "ربما لن يتحمل مشاهدة فيلم تايتانيك مرة ثانية." نحن نفهم ذلك. هذه قائمة من الأشرطة التي أنوي إرسالها إليه بدلاً من متعته الصورية:

الراكب السلس (Easy Rider) – أول شيء يحتاج إليه عزيزي القائد هو الاسترخاء. هذا الفيلم سيساعده بدون شك.

200 موتيل (200 Motels) – إذا لم يستطع دينيس هوبر القيام بالمهمة، فرانك زابا سيفعل.

ديود، أين سيارتي؟ (Dude, Where's My Car) – كل ما تحتاج لمعرفته عن أميركا موجود في هذا الفيلم.

عشائي مع أندريه (My Dinner with André) – إنه مجرد فيلم يتحدث عن شخصين يتناولان طعام العشاء ويتكلمان لمدة ساعتين، ولكنه على الأقل سيرى الوجبة الحقيقية كيف تكون. سيساعده حوار العشاء على صقل مهاراته في التواصل.

* اجلبه إلى هوليود. لابد أن لديه آلاف الأفكار حول الأفلام السينمائية. واحدة منها ستكون بالتأكيد ملائمة لروب شنايدر. أخبر الديكتاتور بأننا سنجعل توم كروز يلعب دوره في فيلم يصور حياته، رحيل جونغ القوي. امنحه عقداً من النظرة الأولى وبيتاً من طابق واحد بجانب استوديو سينمائي. املأ يومه باجتماعات غير ضرورية مع المسؤولين التنفيذيين عن تظهير الأفلام والوكلاء الموهوبين. ذلك سيبقيه مشغولاً لمدة سنتين. في تلك الأثناء، لا بد أن كوريا الشمالية ستستفيد من غيابه وتخرج من ورطتها.

* إذا فشل كل شيء، موّل بناء حديقة للتسالي (theme park) في بيونغ يانغ. حدائق التسالي ناجحة دائماً. حتى إذا لم تُعدْ إحياء الاقتصاد، على الأقل ستجعل الناس يشعرون بالفرح. وخاصة الابن "الدومينيكاني" لعزيزي القائد. أليس هذا هو المهم؟ اجعله المدير المساعد.

الفصل التاسع

سجن سعيد واحد كبير

كانت العاشرة وبضع دقائق من مساء يوم الرابع من تشرين الأول، 2000، قبل شهر واحد من الانتخابات الرئاسية. في الليلة السابقة حدثت أول مناظرة من المناظرات الثلاث بين آل غور وجورج دبليو بوش.

في هذا المساء المنخفض من تشرين الأول في ليبانون، تينيسي، جلس جون آدامز، 64 سنة، على كرسيه الجلدي المتحرك المفضل لمشاهدة أخبار المساء. وكانت عصماء، نتيجة سكتة دماغية أصابته منذ سنوات قليلة، ترقد بجانبه. وهكذا أصبح آدامز، وهو عضو محترم في الجالية الأميركية الأفريقية في ليبانون، الآن عاجزاً جسدياً بعد عمله لسنوات طويلة في مصنع المطاط.

كان المذيعون في التلفزيون يقدمون تحليلاتهم على المناظرة، وكان آدامز وزوجته، لورين، يناقشان نيتهما في التصويت. آل غور. عندما سمعا دقات على الباب. خرجت السيدة آدامز من الغرفة وتوجهت نحو الباب وسألت من بالطارق. طلب رجلين منها أن تفتح الباب وتدعهما يدخلان. سألتهما ثانية من هما، ولكنهما رفضا الإفصاح عن هويتهما، فرفضت ثانية أن تفتح الباب لهما.

في تلك اللحظة، كسر رجلان غير معروفين من القوة الخاصة بالمخدرات التابعة لقسم الشرطة في مدينة ليبانون الباب، وأمسكا بالسيدة آدامز، وقيدا يديها على الفور. بينما اندفع سبعة رجال آخرين إلى داخل المنزل. وقد أشر منهم على الزاوية المؤدية إلى الغرفة الخلفية. وسحبا مستسلمين وأطلقا عدة رصاصات على جون آدامز. بعد ثلاث ساعات، أُعلن عن وفاته في المركز

الطبي التابع لجامعة فاندربيلت.

أمر بشن الغارة على منزل آدامز بعد شراء مخبر سري للمخدرات من المنزل الكائن في 1120 شارع جوزيف. حصلت وحدة المخدرات في مدينة ليبانون، تُموّل هي وآلاف الوحدات الأخرى في مختلف أنحاء البلاد كجزء من "الحرب على المخدرات" التي أعلنتها إدارة كلينتون، على مذكرة من قاضٍ محلي للقبض على القاطنين في المنزل.

المشكلة الوحيدة: يعيش الزوجان آدامز في المنزل 70 شارع جوزيف. لقد أخطأت شرطة الحرب على المخدرات في المنزل.

على بعد عدة أميال في ناشفيل، وبينما كان جون آدامز يُقتل بطريق الخطأ، كانت مجموعة كبيرة من المساعدين المتطوعين والمأجورين تعمل بنشاط داخل المركز الرئيسي لحملة آل غور الوطنية. انصب اهتمامهم الرئيسي في تلك الليلة على السيطرة على الأضرار، محاولين صرف انتباه الناخبين عن منظر مرشحهم وهو يتنهد من خلال إجابات بوش في الليلة السابقة. كانت الهواتف لا تتوقف عن الرنين، وشحنات اللاصقات التي توضع على مقدمة السيارات وإشارات الساحات يُعاد توزيعها، والاستراتيجيون يتشاورون من أجل التخطيط لمحطات الحملة في اليوم التالي. وعلى الطاولة وُضعت نسخ من مقترحات غور للحد من الجريمة، وتتضمن اعتمادات أكبر لشرطة إضافية والمزيد من المال للقتال في حرب المخدرات. لم يعرف أحد منهم بأن جهودهم العشوائية لاستئصال المخدرات قد كلفتهم للتو صوتاً مهماً – لرجل أسود مسن في المدينة.

قتل ناخبيكم ليس طريقة مناسبة للفوز بالانتخاب.

كانت تلك مجرد حادثة واحدة من بين حوادث كثيرة جداً حصلت في السنوات الأخيرة قُتل فيها أناس أبرياء بواسطة الشرطة المحلية أو الفدرالية لمكافحة المخدرات الذين كانوا يعتقدون بأنهم قد أوقعوا "بالرجل المطلوب."

والأسوأ من ذلك هي الطريقة التي سُجن فيها الكثير من الناس في العقد الماضي بفضل سياسات كلينتون/غور. في بداية التسعينيات، كان هناك حوالى مليون شخص في السجن في الولايات المتحدة. ومع نهاية سنوات كلينتون/غور، ارتفع ذلك الرقم إلى مليونين. ويعود السبب في تلك الزيادة الهائلة إلى القوانين الجديدة التي كانت تُفرض على مستخدمي المخدرات، وليس المروجين. ثمانون بالمائة من الذين زُجوا في السجن دخلوه بسبب حيازة المخدرات، وليس التعامل بها. وكانت عقوبات استخدام الكراك تبلغ ثلاثة أضعاف استخدام الكوكايين.

لا يتطلب الكثير من الجهد معرفة لماذا يُعامل استخدام المخدرات المفضلة في المجتمعات البيضاء بهذا التساهل الكبير بالمقارنة مع المخدرات التي تشكل المادة الغالية الوحيدة التي تُشترى في المجتمعات السوداء والإسبانية الفقيرة. لثماني سنوات كانت هناك محاولة جاهدة وعدائية لسجن أكبر عدد ممكن من مواطني الأقليات. وهكذا، بدلاً من تقديم المعالجة التي تستوجبها الظروف المحيطة بهم، نحن نعالج المسألة بإرسالهم إلى السجن كي يتعفنوا هناك.

لنترك موضوع مساعدة الأقل حظاً في هذه الحياة لبعض الوقت. من العبقري في إدارة كلينتون/غور الذي قال، "هاي، لدي فكرة، لم لا نطارد الأقليات السوداء والإسبانية، فالعديد من مستخدمي المخدرات موجود هناك! ونضعهم في السجن بأرقام قياسية، ونقضي على القسم الأعظم من القدرة الاقتراعية لمجموعة تصوت لصالحنا بنسبة 9 إلى 1!"

يبدو ذلك أمراً غير منطقي، أليس كذلك؟ أي حملة هي تلك التي تدمر عن عمد قاعدتها الانتخابية ذاتها؟ أنتم لا ترون الجمهوريين متحلقين يحاولون استنباط الوسائل من أجل سجن المدراء التنفيذيين للشركات وأعضاء الاتحاد الوطني السلاح. صدقوني، لن تروا كارل روف يعقد اجتماعاً في البيت الأبيض لإيجاد طريقة تمكنه من سجن وتجريد حقوق التصويت من مليون عضو من

الائتلاف المسيحي.

بل على العكس من ذلك تماماً، في الواقع. إن زمرة بوش ملتزمة بأن لا يحظى أي من أنصارهم بضيافة غرفة الاستحمام في السجن. في الحقيقة، لقد حدث الكثير منذ أن منح كلينتون العفو إلى أشخاص جشعين مريبين مثل ماير ريتش. كانت البلاد بأجمعها قاب قوسين أو أدنى من الدخول في دوامة من العنف عندما مُنح الغفران إلى الهارب الذي فر بدون دفع ضرائبه. رجل غني هرب بدون دفع ضرائبه! لقد صُدمنا – صُدمنا!

ومع ذلك لم يُعر أحد أي انتباه إلى "صكوك الغفران" التي مُنحت إلى دافيد لامب، أو فنسنت ميتليكي، أو جون وادسوورث، أو جايمس ويذرز الابن. ولم يطالب أحد بإجراء تحقيقات برلمانية حول سبب إسقاط التهم التجريمية لشركة كوتش إندستريز، أكبر شركة نفط تُدار بشكل سري في أميركا، التي يحتل فيها الأخوان تشارلز ودافيد كوتش منصبي المدير التنفيذي الأول ومساعد الرئيس. لماذا؟

لأن "صكوك الغفران" تلك جاءت أثناء حكم جورج دبليو بوش.

في أيلول من العام 2000، جمعت الحكومة الفدرالية 97 اتهاماً ضد شركة كوتش إندستريز وموظفيها الأربعة – لامب، ميتليكي، وادسوورث، وويذرز، مدراء المصنع والبيئة في الشركة – لإطلاقهم عمداً 91 طن متري من البنزين، وهو عامل مسبب للسرطان، في الهواء والماء، ولحجب هذا الإطلاق المميت عن المنظمين الفدراليين.

ولم يكن هذا هو الخصام الأول لشركة كوتش مع القانون، حتى أنه لم يكن خصامهم الأول في تلك السنة، ففي وقت أبكر من العام 2000، غُرِّمت الشركة بمبلغ 35 مليون دولار لتسببها بالتلوث غير الشرعي في ست ولايات.

ولكن، ما إن تقرر مصير انتخاب جورج دبليو بوش، حتى تغيرت حظوظ شركة كوتش بشكل مفاجئ. وهذا ليس مستغرباً، فقد منح المدراء التنفيذيون في

الشركة مبلغ 800,000 دولار لحملة بوش الرئاسية ولمرشحين جمهوريين وقضايا جمهورية أخرى. في كانون الثاني، بينما كان جون آشكروفت ينتظر في مكان خفي، كانت الحكومة تخفض التهم من 97 إلى 11 ومن ثم إلى مجرد تسع فقط.

على أي حال، كانت كونتش إندستريز ما تزال تواجه غرامات إجمالية تبلغ 352 مليون دولار. ولكن إدارة بوش، التي كانت قد تثبتت في موقعها، أصلحت الوضع على الفور. وهكذا، قبل يومين من وصول القضية إلى المحكمة، سُوِّيت المسألة بواسطة إدارة العدل التابعة لآشكروفت.

أُدينت شركة كونتش إندستريز بتهمة جديدة تتعلق بتزوير الوثائق، وأسقطت الحكومة كل التهم البيئية ضدها، بما فيها كل التهم التجريمية بحق مستخدميها الأربعة.

عقب كرمهم الكبير، أُعفي مسؤولو كونتش، الذين كانوا يواجهون أحكاماً محتملة بالسجن، من المحاكمة، وأُسقطت 90 تهمة من الفقرات الاتهامية التي كانت موجهة ضد الشركة نفسها ودفعت في نهاية الأمر غرامة ألغت التهم السبع الباقية. وفقاً لجريدة هيوستن كرونيكل، "احتفل مدراء كرونش بالخاتمة التي أفضت إليها القضية،" كما يتبجح المتحدث باسم الشركة جاي روسر الذي يعتبر بأن إسقاط التهم دليل على "براءة" الشركة.

لن أدافع عن أفعال مارك ريتش، ولكن أوقفني إذا كنت مخطئاً: أنا أعتقد بأن إطلاق المواد الكيميائية المميتة التي تسبب السرطان عمداً في الهواء والماء هو أمر أكثر خطورة بقليل من التغاضي عن هرب رودي غيلياني في رحلة تزلج لمدة ثمانية عشر عاماً إلى سويسرا. ومع ذلك فأنا متأكد بأن أحداً منكم لم يسمع بالعفو الذي مُنح لتشارلز ودافيد كونتش وشركتهما النفطية ومسؤوليها الأربعة. ولماذا ينبغي أن تسمعوا؟ إنها مجرد أمور تجارية اعتيادية، بالنسبة إلى الصحافة الوطنية الغافية عند العجلة.

228

لقد نسي أنتوني ليمار تايلور أن يرسل مساهمته إلى حملة بوش، وكان ذلك سيئاً للغاية. تايلور هو لص تافه قرر ذات يوم من العام 1999 أن يتظاهر بأنه نجم الغولف الكبير تايغر وودس.

رغم أن تايلور لم يكن يشبه وودس لا من قريب ولا من بعيد (ولكن، هاي، إنهم [السود] جميعاً متشابهين، أليس كذلك؟)، إلا أنه تمكن من استخدام شهادة سواقة وبطاقات اعتماد مزورة تدل على أنه تايغر وودس كي يشتري جهاز تلفزيون 70 إنش، وبعض أجهزة ستيريو، ويستخدم سيارة فاخرة.

ثم، ذات يوم اكتشف أحدهم أخيراً بأنه لم يكن تايغر وودس، فقُبض عليه وحوكم بتهمة السرقة والحنث باليمين.

وماذا كان حكمه؟ مائتا سنة للحكم المؤبد!

نعم، لقد قرأتها جيداً. مائتا سنة للحكم المؤبد، بفضل قانون "الضربات الثلاث" في كاليفورنيا الذي يقول بأنه بعد الإدانة التجريمية الثالثة، يُحكم عليك بالسجن المؤبد. حتى الآن، لم يُرسل أي مسؤول كبير في شركة ما إلى السجن المؤبد بعد إمساكه ثلاث مرات يلوث نهراً أو يسرق زبائنه. في أميركا، نحن نستحق هذه المعاملة الخاصة التي يحصل عليها أولئك الذين تصادف أنهم فقراء أو أميركيين أفارقة أو تخلفوا عن تقديم مساهماتهم إلى واحد من أحزابنا السياسية الرفيعة.

بالطبع، عادة يكون النظام القضائي متصلباً وطائشاً في معاقبة الفقراء ولا يكترث لمن يزج بالسجن، أكان بريئاً أم لم يكن.

كان كيري ساندرز، الأصغر من بين تسعة أولاد، يعاني من انفصام في الشخصية. ومع بلوغه السابعة والعشرين من عمره كان قد حارب العفاريت في رأسه لمدة سبع سنوات وقضى معظم ذلك الوقت من وإلى المصحات العقلية. وعندما كان يترك علاجه أحياناً، كان ينتهي به الأمر في شوارع لوس أنجلوس، كما فعل ذات يوم من تشرين الأول 1993.

بينما كان نائماً خارج المركز الطبي التابع لجامعة كاليفورنيا الجنوبية، اعتُقل كيري لتعديه على أرض لا يحق له دخولها. ولكن حظ كيري اتخذ منحىً أسوأ من ذلك عندما أظهر التحقق الروتيني بأن شخصاً يدعى روبرت ساندرز، وهو مجرم محترف، قد فر منذ خمسة أسابيع من سجن نيويورك، حيث كان يقضي عقوبته لمحاولته قتل رجل بسبب الكوكايين في العام 1990.

بالطبع، لم يكن كيري ساندرز من كاليفورنيا هو روبرت ساندرز من نيويورك. ولكنني أعتقد بأن "كيري" و"روبرت" قريبان بما يكفي، وكاليفورنيا ونيويورك... حسناً، هممم، كلاهما ولايتان كبيرتان، على أي حال...

من سوء حظ كيري أن الذي كان يجمع بينه وبين روبرت هو يوم الميلاد.

وكان ذلك كافياً لشرطة لوس أنجلوس، رغم أن البحث على الكمبيوتر أظهر بأن كيري ساندرز قد أُوقف لعبوره الطريق معرضاً نفسه للخطر في شارع من شوارع لوس أنجلوس في تموز من العام 1993 – بينما كان روبرت ساندرز ما يزال في سجن نيويورك.

لا يهم: أُرسل كيري ساندرز إلى نيويورك ليكمل مدة حكم روبرت ساندرز. وبقي في إصلاحية نيويورك سنتين، بينما كانت أمه تبحث عنه في كل أنحاء لوس أنجلوس. لسبب ما أهمل رجال الشرطة في لوس أنجلوس مقارنة السجلين – الأمر الذي كان سيبيّن بأن رجلهم كان يملك بصمات أصابع مختلفة.

كان كيري يملك شخصاً واحداً في كل تلك العملية يُفترض بأنه سيساعده – المحامي العام المعيَّن لحماية حقوقه. ولكن هذا المحامي العام 30 سنة حث كيري على عدم مقاومة تسليمه إلى سجن نيويورك. لقد شرح المحامي العام لكيري بأن المقاومة لن تفعل شيئاً سوى إطالة مدة بقائه في سجن مقاطعة لوس أنجلوس قبل عودته إلى نيويورك في كل الأحوال. من الواضح بأن المحامي العام لم يلاحظ بأن كيري كان "متبلد الذهن،" ويعاني من مرض عقلي شديد. أو هل كان لذلك أي أهمية؟

لقد قصّر المحامي العام في طرح أسئلة أساسية. وقصّر في قضاء أكثر من بضع دقائق وجيزة مع موكل بائس لا حول ولا قوة له. ولم ينتبه إلى أن كيري قد يكون له عائلة يمكن الاتصال بها لكي تساعد في الدفاع عنه.

وقصّر المحامي العام أيضاً في البحث في النظام عن أية قضايا معلقة، أو سجلات سابقة، أو عن الوضع المالي لموكله. حتى أنه لم يستفد من الوقت لكي يطابق بين الأوصاف الموجودة في مذكرة كيري. إذاً، ما قولك؟ في النهاية، كلا الرجلين أسودان، وبنفس العمر – حتى أنهما يتشاركان نفس عيد الميلاد! أليس ذلك كافياً؟

على أي حال، لقد ساءت الأمور أكثر من ذلك. خلال جلسة الاستماع لحمل كيري ساندرز على التنازل عن حقه في مقاومة تسليمه إلى نيويورك، طُلب منه أن يوقع وثيقة. كانت الوثيقة تقول: "أنا، روبرت ساندرز، أصرح بموجب هذه الوثيقة بحرية وبملء إرادتي بأنني أنا روبرت ساندرز نفسه" – ثم وقعها كيري "كيري ساندرز."

كما رسم وخربش بطريقة غير واعية على كامل نسخة الوثيقة نفسها.

لا أجراس؟ لا أعلام حمراء؟ ليس بالنسبة إلى هذا المحامي العام!

وأخيراً، عندما مُنح فرصة الوقوف أمام قاضٍ، سُئل كيري إذا كان قد قرأ الوثيقة التي وقعها، فقال بأنه لم يفعل، فأوقف القاضي عملية التسليم.

"هل وقعتها؟" سأل القاضي.

"أجل" أجاب كيري.

"لماذا وقعتها؟"

"لأنهم طلبوا مني أن أوقعها،" أجاب كيري ساندرز.

أمر القاضي المحامي العام بأن يراجع الوثيقة مع موكله. وخلال دقائق أقنع القاضي وانتقل هو والمحامي العام إلى القضية التالية.

بعد بيع كيري ساندرز بواسطة محاميه العام من لوس أنجلوس، شُحن لكي يقضي سنتين في سجن غرين هافين المحاط بتدابير أمنية شديدة، على بعد ستين ميلاً شمال نيويورك، حيث تعرض للاعتداء الجنسي بواسطة النزلاء الآخرين.

في تشرين الأول من العام 1995، بعد إلقاء عملاء فدراليين في كليفلاند القبض على روبرت ساندرز الحقيقي، أُعيد جمع كيري ساندرز مع أمه، ماري ساندرز لي. لو لم تقد الصدفة للقبض على روبرت ساندرز، لكان كيري اليوم ما يزال في السجن.

أُرسل كيري إلى البيت من سجن غرين هافين مع 48.13 دولار، وكيس بلاستيكي يحوي بعض الأدوية، ومياه غازية، وعلبة سجائر. أخبر أخته، روبرتا: "لقد أخذوني إلى نيويورك. كان الجو بارداً جداً هناك. وضعوني في هذه الغرفة الصغيرة."

هذه ليست حالة نادرة لنظام يرتكب مثل هذه الغلطة الفظيعة. أي أنها ليست حتى غلطة. إنها نتيجة طبيعية لمجتمع يسجن أي شخص يمكن أن يكون مجرماً، حتى إذا لم يكن مجرماً، لأنه من الأفضل أن تكون آمناً على أن تكون محقاً. في الواقع، ليست محاكمنا سوى خط تجميع اتفاقي لترحيل الفقراء بعيداً عنا، بعيداً عن نظرنا.

حسناً، هذه هي أميركا، وأنا أعتقد بأنه إذا كان ممكناً إزالة آلاف الرجال السود البريئين من سجلات التصويت في فلوريدا، فيجب أن يكون ممكناً سجن رجل أسود بريء من دون بيِّنة في لوس أنجلوس.

في النظام القضائي الذي يشبه خط التجميع هذا الشيء الوحيد الذي يلوث عملية نقل أو بيع المتهم إلى السجن هو المحاكمة بواسطة هيئة المحلفين. لماذا؟ لأنهم يرغمون الجميع على القيام بعملهم. يفعل القضاة، والمدعون العامون، والمحامون العامون كل ما بوسعهم لإكراه المتهم على القبول بالاعتراف بذنبه حتى تتجنب السجن الوحشي الذي سنعطيه لك إذا ما طالبت بمحاكمة بواسطة

هيئة المحلفين. إذا استطاعوا حمل المتهم على الاعتراف بذنبه، وعلى توقيع وثيقة تنازله عن حقه بالاستئناف، فسيكونوا قد حققوا ضربة موفقة – ويمكن للجميع حينئذ أن يضحكوا ساخرين من القضية برمتها لاحقاً وهم يتسامرون في نادي المدينة.

كانت أختي، آن، محامية عامة في كاليفورنيا. أصرت آن على الدفاع عن موكليها، والحصول على محاكمة بواسطة هيئة محلفين لهم إذا كانوا يريدون ذلك. وبسبب ذلك تعرضت لمضايقات لا تصدق من قبل بقية المحامين العامين في المكتب. في العام 1998 سمح مكتب المحامي العام في مقاطعتها لموكل واحد فقط من بين تسعمائة متهم تقريباً بالحصول على محاكمة بواسطة هيئة محلفين.

من الواضح بأن ذلك لا يعني بأن كل شخص من بقية الـ 899 متهم كانوا مذنبين، فقد أُجبروا على القبول بتلك الطريقة، وانتهى الأمر بالعديد منهم في السجن، ربما لجرائم لم يرتكبوها. ولكننا لن نعرف ذلك، لأن حقهم المذكور في التعديل السادس عشر في الحصول على محاكمة بواسطة هيئة محلفين قد سُلب منهم.

مع هذه الأحكام بالسجن للفقراء التي تصدر بدون بيِّنة يومياً في كل مدينة من أميركا، يكون نظام العدل عندنا لا علاقة له بالعدالة لا من قريب ولا من بعيد. وقضاتنا ومحامونا ليسوا أكثر من عمال قمامة مبجّلون، يجمعون ويتخلصون من نفايات المجتمع – التنظيف العرقي، على الطريقة الأميركية.

ماذا يحدث عندما ترسل هذه الطريقة السريعة أناساً بريئين إلى الموت؟ تطلب الأمر صفاً جامعياً واحداً فقط مليئاً بالشباب في جامعة نورث ويسترن في إيفانستون، إيلينويز، لكشف الغطاء عن، وإثبات أن خمسة أشخاص على قائمة الإعدام في إيلينويز كانوا، في الواقع، بريئين. أنقذ أولئك الطلاب وأستاذهم حياة خمسة أشخاص.

إذا استطاع صف جامعي واحد فقط فعل ذلك، كم عدد الأبرياء الموجودين على قائمة الإعدام في طول البلاد وعرضها يجلسون هناك منتظرين التخلص منهم إلى الأبد؟

ثمانية وثلاثون ولاية يوجد فيها حكم الإعدام. وكذلك الأمر في الحكومة الفدرالية والجيش الأميركي. فيما لا يوجد ذلك الحكم في اثنتي عشرة ولاية، إضافة إلى مقاطعة كولومبيا (تلك القطعة الصغيرة من المستنقعات مع غالبية من الأميركيين الأفارقة).

منذ العام 1976، حصل ما يزيد عن 700 عملية إعدام في الولايات المتحدة.

أعلى الولايات الفرحة بالإعدام هي:

تكساس (248 إعدام – ما يقارب ثلث عمليات الإعدام في الولايات المتحدة منذ 1976).

فيرجينيا (82).

فلوريدا (51).

ميسوري (50).

أوكلاهوما (43).

لويزيانا (26).

كارولينا الجنوبية (25).

أركنساس (24).

ألاباما (23).

أريزونا (22).

كارولينا الشمالية (17).

ديلاوير (13).

إيلينويز (12).

كاليفورنيا (9).

نيفادا (9).

إنديانا (8).

يوتا (6).

استنتجت دراسة مقززة لـ 4,578 حالة إعدام في فترة ثلاث وعشرين سنة (1973–1995) بأن المحاكم وجدت خطأ خطيراً قابلاً للتغيير في حوالى 7 من كل 10 حالات حكم بالإعدام أُعيد النظر فيها بشكل كامل خلال تلك الفترة. كما وجدت أيضاً بأن الأحكام بالاعدام كانت قد أُسقطت في 2 من 3 استئنافات. بلغ معدل الخطأ الإجمالي المجحف 68 بالمائة.

منذ العام 1973، خمسة وتسعون نزيلاً على قائمة الإعدام كانوا قد بُرّئوا بشكل كامل بواسطة المحكمة – أي أنهم وُجدوا بريئين من جرائم حُكموا بالموت بسببها. وست وتسعون شخصاً أُطلق سراحهم بعد إجراء فحص الحمض النووي.

وماذا كانت معظم الأخطاء الشائعة؟

1. محامو دفاع غير أكفاء إلى درجة فظيعة لم يبحثوا عن، أو أهملوا دلائل مهمة كانت ستثبت أو تظهر بأن موكلهم لا يستحق الموت.

2. رجال شرطة أو نواب عامون اكتشفوا هذه الدلائل فعلاً ولكنهم طمسوها، مخرجين عملياً العملية القضائية عن مسارها.

في نصف السنوات التي دُرست، بما فيها السنوات الأكثر حداثة، فاق معدل الخطأ 60 بالمائة. وفي 85 بالمائة من حالات الحكم بالإعدام كانت معدلات الخطأ فيها 60 بالمائة أو أكثر.

يتطلب كشف تلك الأخطاء زمناً، ففي معظم الحالات، ينتظر نزلاء السجن الخاص بالمحكومين بالإعدام سنوات من الإجراءات الطويلة لإعادة النظر بالدعاوى حتى تُكشف كل تلك الأخطاء – والتي بسببها تتغير أحكام إعدامهم في أغلب الأحوال. وهذا يفرض ثمناً باهظاً على دافعي الضرائب، وعائلات الضحايا، والنظام القضائي، والمحكومين خطأ.

من بين النزلاء الذين تناولتهم الدراسة ممن تغيرت أحكام إعدامهم، 82 بالمائة منهم مُنحوا أحكاماً أقل من الموت، والعديد وُجدوا بريئين عند المحاكمة (7 بالمائة).

وازداد عدد الأخطاء منذ العام 1996، عندما صعَّب الرئيس كلينتون الأمور على المحكومين بالإعدام في إثبات براءتهم وذلك عن طريق توقيع قانون يحدد مدة سنة واحدة يتوجب عليهم خلالها الاستئناف إلى المحاكم الفدرالية بعد استنفاد استئنافاتهم في محاكم الولايات. في ضوء الدراسة التي أثبتت أن من بين المحكومين بالإعدام هناك عدد كبير الأبرياء أو الذين لا يستحقون قانونياً حكم الموت، كانت هذه المحاولة لكبح استئنافاتهم الشائنة.

نحن واحدة من الدول القليلة في العالم التي تحكم بعقوبة الموت للمتخلفين عقلياً والأحداث. الولايات المتحدة واحدة من بين ست دول فقط تفرض عقوبة الإعدام على الأحداث.

والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة إلى جانب الصومال اللتان لم توقعان على معاهدة الأمم المتحدة لحقوق الطفل. لماذا؟ لأنها تحوي فقرة تحرم إعدام الأطفال تحت سن الثامنة عشر، ونحن نريد أن نكون أحراراً في إعدام أطفالنا.

لا توجد أي أمة صناعية أخرى تعدم أطفالها.

حتى الصين تحظر عقوبة الموت لأولئك الذين لم يتخطوا الثامنة عشرة بعد – هذا من بلد أظهر قلة احترام لا تطاق لحقوق الإنسان.

حالياً يتجاوز عدد المحكومين بالإعدام في الولايات المتحدة 3,700. سبعون

بالمائة منهم قاصرون (أو كانوا كذلك عندما ارتكبوا جرائمهم).

ولكن محكمتنا العليا لا تجد في إعدام من كانوا في السادسة عشر من عمرهم عندما ارتكبوا جريمة تستحق عقوبة الموت أي عقوبة وحشية أو غير عادية (بحسب كلمات التعديل الثامن على الدستور الأميركي). بالرغم من الحقيقة التي تقول بأن نفس تلك المحكمة قد وجدت بأن الأشخاص في السادسة عشر لا يملكون "النضج أو الإدراك" لتوقيع العقود.

غريب، أليس كذلك، أن يُنظر إلى القدرة الضعيفة للطفل على توقيع العقود كعائق شرعي لتنفيذ عقد ما، ولكن عندما يتعلق الأمر بحق إعدامه، تصبح قدرة الطفل موازية لقدرة البالغ؟

ثمانية عشر ولاية تسمح بإعدام المجرمين من الأحداث الذي يبلغون السادسة عشرة. وخمس ولايات أخرى تسمح بإعدام أولئك الذين كانوا في السابعة عشرة أو أكبر عندما ارتكبوا جريمتهم. في العام 1999، أعدمت أوكلاهوما سين سيليرز، الذي كان في السادسة عشرة عند ارتكابه الجرائم التي وُجد مذنباً فيها. لم يكن الاضطراب الناتج عن انفصام الشخصية بادياً بالنسبة لهيئة المحلفين التي أدانته. وجدت محكمة الاستئناف الفدرالية بأن سيليرز قد يكون "بريئاً في الواقع" نظراً لاضطرابه العقلي، ولكن تلك "البراءة وحدها ليست كافية للموافقة على الإنصاف الفدرالي." غير معقول.

إن الشعب الأميركي ليس غبياً، والآن مع انتشار حقيقة الناس المحكومين بالإعدام، ستتمثل ردة فعله على الأقل بشعوره بالخزي والعار. منذ سنوات قليلة فقط أظهرت استطلاعات الرأي العام بأن نحو 80 بالمائة من الشعب الأميركي كان يؤيد عقوبة الإعدام. ولكن الآن، مع انكشاف الحقيقة، وجد استطلاع حديث أجرته واشنطن بوست/محطة أخبار ABC بأن القبول الشعبي لعقوبة الإعدام قد انحدر، بينما تزايدت نسبة الأميركيين الذين يفضلون استبدال عقوبة الموت بالسجن المؤبد. 51 بالمائة فضلوا إيقاف كل أحكام الإعدام حتى تُشكَّل لجنة

تقرر ما إذا كانت عقوبة الإعدام قد صدرت بشكل عادل.

68 بالمائة قالوا بأن عقوبة الإعدام غير عادلة لوجود أبرياء يُعدَمون أحياناً. أظهرت استطلاعات حديثة للرأي العام الأميركي بأن التأييد لعقوبة الإعدام يبدأ منذ عمر التاسعة عشر. 65 بالمائة وافقوا على أن الشخص الفقير أكثر عرضة لتلقي عقوبة الإعدام للجريمة ذاتها من الشخص الذي يملك دخلاً متوسطاً أو فوق المتوسط. 50 بالمائة وافقوا على أن الشخص الأسود أكثر عرضة لتلقي عقوبة الإعدام للجريمة ذاتها من الشخص الأبيض. حتى في آلة القتل، الاسم الذي تُعرف به ولاية تكساس، ذكرت صحيفة هيوستن كرونيكل بأن 59 بالمائة من التكساسيين يعتقدون بأن ولايتهم قد أعدمت شخصاً بريئاً!، فيما يفضل 72 بالمائة منهم تغيير قانون الولاية ليشتمل على خيار الحكم بالسجن المؤبد من دون إطلاق سراح مشروط، و60 بالمائة يعارضون الآن إعدام شخص معاق عقلياً.

ما فعلناه، في هذا البلد العظيم، هو شن حرب ليس على الجريمة وإنما على الفقراء الذين نشعر بالراحة لإدانتهم بها.

نحن نعيش في مجتمع يكافئ ويمجِّد رجال العصابات الشركاتيين – زعماء الشركات الذين ينهبون بشكل مباشر وغير مباشر موارد الأرض ويبحثون عن أرباح المساهمين فوق كل شيء– في الوقت الذي يُعرَّض فيه الفقراء لنظام عشوائي ووحشي من "العدالة."

ولكن الشعب بدأ يدرك بأن ذلك خطأ.

نحن بحاجة لإعادة تنظيم المجتمع بحيث يُنظر إلى كل شخص فيه على أنه شخص ثمين، ومحترم، وذو قيمة، ولا أحد فوق القانون، مهما كان عدد المرشحين الذين يستطيع شراؤهم. حتى يتغير هذا، يمكننا أن نلفظ هذه الكلمات "مع الحرية والعدالة للجميع" فقط مع الإحساس بالعار.

الفصل العاشر

الديمقراطيون

وقّع مشروع قانون يمنح الاعتمادات الفدرالية لكي توزّع على المنظمات الخيرية المستندة الى الدين.

وسّع عدد الجرائم الفدرالية التي يمكن الحكم عليها بالإعدام إلى ستين جريمة.

وقّع على مشروع قانون يحظر زيجات المثليين جنسياً ووضع إعلانات على محطات إذاعة مسيحية تكسب التأييد لمعارضته لأي شكل من أشكال الزواج القانوني لأشخاص من نفس الجنس.

في فترة زمنية قصيرة، استفاد فرد عشرة ملايين شخص من الرعاية الاجتماعية أي عشرة ملايين من متلقي المساعدة البالغ عددهم الإجمالي أربعة عشر مليوناً.

وعد الولايات باعتمادات إضافية إذا ما استطاعت تخفيض أعداد متلقي المساعدات الاجتماعية أكثر من ذلك، وجعل من الحصول على هذه الاعتمادات أكثر سهولة وذلك عن طريق عدم إلزام تلك الولايات مساعدة متلقي المساعدات السابقين على إيجاد وظائف لهم.

قد خطة ستمنع منح أي مساعدة إلى الآباء المراهقين إذا تركوا المدرسة أو تركوا منزل والديهم.

بالرغم من حرصه على عدم لفت النظر إلى العقد مع أميركا الخاص بالتقارب الجمهوري نيوت غينغريتش، إلا أنه يدعم العديد من أفكاره. بما فيها

تخفيض الضريبة على أرباح رأس المال.

بالرغم من دعوات حاكمين جمهوريين مثل جورج رايان من إيلينويز من أجل دعم إيقاف تنفيذ عقوبة الإعدام، إلا أنه رفض كل الجهود التي بُذلت لإبطاء عدد أحكام الإعدام حتى بعد ما تبين بأن العشرات من المحكومين بالإعدام كانوا أبرياء.

حرّر اعتمادات مالية من أجل استخدام ما يزيد عن مائة ألف شرطي جديد وأيد قوانين تزج بالناس وراء القضبان إلى الأبد بعد ارتكابهم ثلاثة جرائم – حتى لو كانت تلك الجرائم سرقة المعروضات في المحلات أو عدم دفع ثمن قطعة من البيتزا.

عدد الناس الذين لا يملكون ضماناً صحياً في أميركا الآن أكثر مما كانوا عندما تسلم منصبه.

وقّع أوامر تحظر أي نوع من الرعاية الصحية للفقراء الموجودين بشكل غير شرعي في الولايات المتحدة.

إنه يدعم الحظر على الإجهاض منذ المراحل الأولى ووعد بتوقيع أول مشروع قانون يخرج من مكتبه يشتمل على استثناء واحد فقط إذا كانت حياة الأم في خطر.

وقّع أمراً يمنع أي اعتمادات أميركية تذهب إلى أي بلد لكي تُستخدم في مساعدة النساء على الحصول على عملية إجهاض.

وقّع أمراً مضحكاً لمدة سنة واحدة يمنع استخدام أي اعتمادات فدرالية في بلدان أجنبية يكون فيها الإجهاض خياراً ممكناً بالنسبة للحوامل.

رفض توقيع المعاهدة الدولية لحظر الألغام الأرضية التي وقعها 137 بلداً.

انتهك بروتوكول كيوتو بإصراره على حساب "الأراضي الغائرة" (كالأراضي الزراعية والغابات) من ضمن النسبة المئوية الأميركية لتخفيضات

الانبعاثات، وبذلك يسخر من المعاهدة برمتها (التي صيغت أساساً لإنقاص التلوث بغاز ثاني أوكسيد الكربون المنبعث من السيارات والمصانع).

زاد من تسارع استخراج الغاز والنفط في الأراضي الفدرالية في سرعة تعادل، وفي بعض المناطق تفوق، مستوى الإنتاج خلال عهد إدارة ريغان.

وافق على بيع حقل النفط الوحيد في كاليفورنيا في أكبر صفقة خصخصة في التاريخ الأميركي، وفتح احتياطي البترول الوطني في ألاسكا (شيء حتى ريغان لم يكن قادراً على فعله).

وأصبح أول رئيس منذ ريتشارد نيكسون لم يرغم صانعي السيارات على تحسين نسبة الأميال المقطوعة في الغالون الواحد – الأمر الذي كان سيوفر الملايين من براميل النفط يومياً.

نعم، لابد أنك ستوافق، نظراً لكل الإنجازات المذكورة أعلاه، على أن بيل كلينتون كان واحداً من أفضل الرؤساء الجمهوريين الذين حصلنا عليهم.

لقد زاد شعور الناس الطيبين والأحرار في كل مكان بالقلق والهم منذ أن تسلم جورج دبليو بوش منصبه، مع الخوف من الدمار الذي يمكن أن يلحقه ابن بوش بالبيئة، والارتداد الذي قد يطرأ على حقوق المرأة، إضافة إلى حملنا على الصلاة في المدارس وعند إشارات المرور. لديهم الحق بأن يشعروا بالقلق.

ولكن بوش مجرد النسخة الأقبح وإلى حد ما الأشد لؤماً مما قد حصلنا عليه سابقاً في التسعينيات – باستثناء تلك النسخة التي كانت مزينة بابتسامة ساحرة لشخص عزف مقطوعات موسيقية خاصة بالسود على الساكسوفون وأخبرنا أي نوع من الألبسة الداخلية كان (ومتمرناته) يرتدونها. لقد أحببنا ذلك. أحسننا بأنه طبيعي. كان بإمكانه إنشاد الترنيمة الوطنية السوداء. مرح قليلاً مع غلوريا شتاينمن. لقد شاهد عرضي! لقد أحببت الرجل!

جميعنا تنفسنا الصعداء عندما ولت سنوات ريغان/بوش، وشعرنا بالارتياح

لكوننا حصلنا على رئيس دخن الماريجوانا وأطلق على نفسه "أول رئيس أسود للولايات المتحدة." كان لدينا ميل لأن نتجاهل أموراً معينة مثل تقويضه للفقرات الأساسية في اتفاق كيوتو قبل أسابيع فقط من انتخاب تشرين الثاني لعام 2000. لم نكن نريد معرفة أشياء كهذه؛ على أي حال، أي بديل آخر كنا نملك؟ بوش الصغير؟ بات بوكانان؟ رالف نادر؟

أوه، لا – ليس رالف نادر. لماذا بحق الله نريد أن ندعم شخصاً وافقنا على كل القضايا؟ هذا ليس سخرية!

يبدو الغضب الموجه الآن نحو رالف نادر شخصياً جداً، شديداً جداً من جيل نهاية الأربعينيات الذين يلومونه على خسارة آل غور للانتخاب (لم يخسر). أنظر إلى أولئك الأشخاص وهم في أربعينياتهم وخمسينياتهم وأتعجب لماذا يبدو نادر تهديداً شخصياً لهم.

أعتقد بأنني عرفت السبب: يمثل نادر الشخص الذي اعتادوا أن يكونوه في الماضي، الشخص الذي افتقدوه الآن. أما نادر فلم يتغير أبداً. لم يفقد الإيمان، لم يتعرض للإفساد، ولم يستسلم أبداً. لم يغير مزاجه، ولم ينتقل إلى الضواحي، ولم يبدأ إعادة هيكلة حياته حول "لنرى كيف أستطيع جني أكبر قدر ممكن من النقود لي!" لم يطع قانون جيل نهاية الحرب العالمية الثانية الجديد المتمثل ببيع الأخلاق والمبادئ لزيادة نفوذه. لا عجب أن الملايين من شباب المدارس الثانوية والجامعات يحبونه. لأنه نقيض آبائهم، الأناس الذين ربوهم بواسطة إعطائهم مفتاح الباب الخارجي للمنزل، ودواء ريتالين Ritalin (منبه خفيف يُعطى لمعالجة اضطرابات عصبية معينة عند الأطفال)، وجهاز التحكم عن بعد في التلفزيون كي يستخدموه في السرير. لقد بقي في ثيابه المجعدة نفسها. وأولئك الذين يهاجمونه الآن، كالبلطجيين في المدرسة، لن يكفوا عن مضايقاتهم حتى يتكيف ويبدأ بالنظر، والتفكير، والشم مثلهم.

حسناً، يا زملاء الجيل – هذا المدني المتأنق نادر لن يتغير أبداً. لذا، لم لا

توفرون عناءكم، وتزيدون من جرعة البروزاك (دواء لمعالجة الاكتئاب)، وتأتون بمعالج فيزيائي من الضواحي ليراكم مرة في الأسبوع؟ أو استرخوا وكونوا شاكرين لوجود أشخاص مثل رالف نادر، فهو سيقوم بكل الأعمال عنكم؛ ارتاحوا أنتم واطلبوا كأساً من المارغاريتا.

أعلم بأن الأمر سيكون مراً، أن تضطر للنهوض صباح كل يوم لكي تطعم ذلك الوحش الشركاتي، وأن تأخذ أجرك من السفلة وأن تحاول النظر إلى الجهة الأخرى بالرغم من كل الأقذار التي يقحمونها عنوة في حلقك.

ولكن في مكان ما في أعماق عقلك يوجد نهاية عصب ينبض بشكل ضعيف، كالضوء الخافت الوامض لهاتفك الخليوي قبل دقائق قليلة من انتهائه. إنه بنك الذاكرة في عقلك الذي يذكّرك بأيام خلت عندما كنت أصغر عمراً وكنت تؤمن بأنك أنت وأنت فقط من باستطاعته التغيير، قبل أن تحيطك قوى الراشدين وتأمرك بأن تفهم وتعي البرنامج - وإلا فستقضي حياتك الوحيدة مهملاً ومنبوذاً.

وهذا ما فعلته. تعلمت بأن تكيّف مبادئك في الوقت الذي تعتقد فيه بأنك مازلت محافظاً عليها ("نعم، أنا أقود سيارة SUV، ولكني أمنح مساعدات لنادي سييرا Sierra Club، منظمة للمحافظة على الموارد الطبيعية!"). لقد تعلمت أن تهدئ من ضميرك وأنت تمارس عملك القذر، خوفاً من الخيار الوحيد الذي تتخيله - التشرد والجوع! تعلمت أن لا تقول شيئاً عندما يقول أصدقاؤك وزملاؤك في العمل بطريقة مشفّرة عبارات عنصرية لأنك كنت تعرف بأنك لم تكن تكره السود وكنت متأكداً من أنهم هم أيضاً لا يكرهونك... ولكن، لماذا لا نعبر إلى الجانب الآخر من الطريق فقط لكي نكون آمنين؟

أفضل شيء هو استمرارك بالتصويت للديمقراطيين، كما كنت تفعل دائماً. يقولون بأنهم يضعون مصالحك العليا في قلوبهم - ولمجرد قولهم ذلك، أنت تصدقهم! أي نوع من المغفلين سيصوّت إلى مرشح الحزب الثالث، على أي

حال؟ ولماذا حتى تفكر في الذهاب إلى هناك – في إعادة زيارة النسخة الأصغر منك، نسخة الشخص الذي كان مستعداً لتعريض رأسه للشق أثناء دفاعه عما هو "حق" – هنا في عالم الراشدين، من الأفضل أن تنسى الحق – عليك أن تربح. الربح هو الشيء الوحيد الذي يهم، سواء كان يتعلق بحصة شركتك في التسويق، أو سندات أسهمك الشخصية، أو قدرة أطفالك على التفوق على كل الأطفال الآخرين في صف اللغة الفرنسية في الحضانة.

"افعل الشيء الصائب؟" ها! اذهب مع الرابح! حتى إذا كان الرابح (كلينتون) يؤيد إعدام الناس، ولا يحرّم الألغام الأرضية، ويوقّع على أوامر مضحكة، ويمنع تمويل الإجهاض، ويرمي الفقراء في الشوارع، ويضاعف عدد نزلاء السجون، ويمطر أربعة بلدان مختلفة بالقنابل ويقتل مدنيين أبرياء (السودان، أفغانستان، العراق، ويوغوسلافيا)، ويسمح لبضع شركات كبيرة بتملك معظم وسائل الإعلام (التي كانت ذات مرة موزعة بين ألف شركة تقريباً)، ويدعوا باستمرار لزيادة ميزانية البنتاغون، فذلك يبدو أفضل من، بالرغم من كل شيء،... أفضل من... حسناً، أفضل من شيء سيئ فعلاً.

أيها الأصدقاء، متى سنتوقف عن الضحك على أنفسنا؟ كلينتون، ومعظم الديمقراطيين الحاليين، لم ولن يقوم بما هو خير لنا وللعالم الذي نعيش فيه. نحن لا ندفع فاتورتهم – سيدفعها النخبة التي تشكل 10 بالمائة، وإرادتهم هم هي التي ستُنفَّذ دائماً. أعرف بأنك تعلم ذلك مسبقاً، ولكن يصعب قولها لأن البديل يبدو بأنه يشبه كثيراً... ديك تشيني.

اسمعوا، قبل أن يبدأ أي منكم أنتم الديمقراطيون الجيدون بالامتعاض مما قلت، دعوني أوضح لكم أمراً: جورج دبليو بوش أسوأ من آل غور أو بيل كلينتون. لا شك في ذلك.

ولكن ماذا يعني ذلك بالضبط؟ إذا وضعت أي كائنين بشريين وأرغمت شخصاً ما على اختيار "الأسوأ" بينهما، فسيختار عادة الأكثر حمقاً. هتلر كان

"أسوأ" من موسوليني، شيفروليه "أسوأ" من فورد، وأنا قطعاً "أسوأ" من زوجتي. في الحقيقة، إن الاختيار بين "المحافظة الرحيمة" لبوش والكلينتونية لا معنى له، كالاختيار بين زيت القندس وبين روبيتوسين (دواء) منكّه بطعم الكرز.

بدأت إدارة بوش الثاني بإسقاط عدد من الأوامر الإجرائية التي أُصدرت من قبل الرئيس كلينتون. وكانت تلك لحظة هامة – من الناحية الرمزية – بالنسبة للديمقراطيين. كانوا بحاجة إلى أن يؤمن الشعب بأن بوش يضع الزرنيخ في الماء ويحاول تسميمنا جميعاً. كانوا يريدون من الشعب الأميركي أن يعتقد بأن بوش سيؤذي الغابات الوطنية، ويلغي اعتماد الإجهاض، ويغتصب ألسكا لأنه مهتم فقط بإبطال وإفساد كل الأشياء الجيدة التي قام بها كلينتون.

ما لم يُذكر هو أن كلينتون فعل القليل أو لم يفعل شيئاً على الإطلاق بشأن هذه المشاكل خلال السنوات الثماني التي أمضاها في منصبه، إلا في الساعات القليلة الباقية من عمر إدارته، حين قرر محاولة مغادرة منصبه بحيث يبدو بمظهر جيد (هو دائماً كان يبدو بمظهر جيد) – أو تهيئة بوش بحيث يبدو كشخص شرير. في كلي الحالتين، نجحت المحاولة.

لأن الحقيقة تقول بأن جورج بوش فعل أكثر من الاستمرار في سياسات السنوات الثماني السابقة لإدارة كلينتون/غور. لمدة ثماني سنوات طويلة، قاوم كلينتون/غور كل الجهود والتوصيات الرامية لتخفيض ثاني أوكسيد الكربون في هوائنا والزرنيخ في مائنا. وقبل شهر واحد فقط من انتخابات العام 2000، قاد زعيم الديمقراطيين في مجلس الشيوخ توم داشل وستة عشر ديمقراطياً آخر بنجاح التوجه لإيقاف أي تخفيض للزرنيخ في الماء. لماذا؟ لأن كلينتون والديمقراطيين كانوا يُراقَبون من قبل السفلة الأثرياء الذين موّلوا حملاتهم الانتخابية – والذين لا يريدون لمستويات الزرنيخ في الماء أن تتغير.

كانت إدارة كلينتون/غور الإدارة الأولى، خلال خمسة وعشرين عاماً،

انتظر بيل كلينتون حتى الأيام الأخيرة من رئاسته ليوقع مجموعة كبيرة من القوانين والمراسيم الرئاسية، وعدت العديد منها بتحسين بيئتنا وإحداث ظروف عمل أكثر أمناً. لقد كانت تلك الخطوة الأكثر مدعاة للسخرية على الإطلاق. انتظر حتى آخر 48 ساعة من المدة المحددة له لكي يقوم بما هو صائب، حتى ينظر الجميع إلى الخلف ويقولون، كم كان رئيساً صالحاً. ولكن كلينتون كان يعرف بأن كل تلك الأوامر ستسقط على يد الإدارة الجديدة القادمة إلى السلطة. كان يعرف بأن أياً من تلك الأوامر لن تصمد.

الأمر كله كان يتعلق بالصورة.

كلينتون يحاول ترك وصية: أوامر وقوانين إجرائية في الدقيقة الأخيرة

انتظر كلينتون ثماني سنوات قبل أن يتمكن أخيراً من القيام بشيء صالح – الأيام الأخيرة من رئاسته. مع خروجه من الباب، أصدر تعليمات:

- حمت ستين مليون أكراً من الغابات الوطنية من التقطيع ومن إنشاء الطرق.
- أسست قواعد لمنع إصابات مكان العمل، من بينها قوانين خاصة "بالإجهاد المتكرر" وبالهندسة البشرية (علم يهتم بتصميم وترتيب الأدوات التي يستخدمها الإنسان من أجل زيادة الفعالية والأمان).
- رفعت المعايير المتعلقة بالرصاص في الدهان، والتربة والغبار، وديزل الشاحنات.
- أنتجت قوانين جديدة لهواء نظيف من وكالة الحماية البيئية بخصوص وقود الديزل للشاحنات الكبيرة أرغمت مستويات الكبريت في الوقود على الانخفاض بنسبة 95 بالمائة.
- استوجبت من صانعي النقانق والوجبات الجاهزة الأخرى إجراء اختبارات دورية على بكتريا الليستيريا.
- استوجبت حماية الطاقة في أجهزة التكييف الهوائية المركزية.
- أنتجت قوانين جديدة بخصوص فعالية الطاقة في الغسالات الأوتوماتيكية.

التي لم تطلب معايير كفاءة أعلى للوقود من ديترويت. بكلمات أخرى، ملايين البراميل من النفط كُرِّرت، تحت سمعهم وبصرهم، ونُفثت في الهواء بلا أية ضرورة. كان السجل البيئي لرونالد ريغان، رمز المحافظة، في هذه الناحية أفضل، فقد طلبت إدارته أن تزيد السيارات من نسبة الأميال المقطوعة في الغالون. وتحت إدارة خلفه، بوش الأول، كانت المعايير أكثر صرامة. وماذا حصل تحت إدارة كلينتون؟ لا شيء. كم من الناس سيموتون بسبب السرطان، وكم ستزداد سرعة ارتفاع درجة حرارة الأرض، بفضل الصداقة الحميمة التي تجمع بيل وآل مع واحد من أكبر الراعين لهما، أكبر مناصر في الكونغرس لأكبر ثلاث شركات لصناعة السيارات – ومن يكون سوى أندرو كارد، الذي يشغل حالياً، وهذا ليس مستغرباً، منصب مستشار البيت الأبيض للامتداد المنطقي لكلينتون، جورج دبليو بوش.

إذاً، هل هناك فرق بين الديمقراطيين والجمهوريين؟ بالتأكيد. الديمقراطيون يقولون شيئاً ("أنقذوا الأرض!") ويفعلون شيئاً آخر – وخلف الكواليس يقيمون علاقات وثيقة مع الأنذال الذين يجعلون من العالم مكاناً أكثر قذارة وخسة. أما الجمهوريون فيأتون مباشرة ويعلنون على الملأ بأنهم سيعطون الأنذال مكتباً في الجناح الغربي من البيت الأبيض. هذا هو الفرق.

من المؤكد بأن إخبار الناس بأنك ستحميهم ثم تسرقهم بدلاً من مساندتهم هو شر أشد ضرراً، فالشر الظاهر، وليس المتخفي في ثياب نعجة ليبرالية، ستكون مواجهته واستئصاله أكثر سهولة. أيهما تفضل صرصوراً تشاهده يمشي على الأرض، أو نملاً أبيضاً غير مرئي داخل الحائط؟ الصرصور قد يحمل مرضاً، ولكنك على الأقل تعلم بوجوده وبذلك يمكنك اتخاذ التصرف المناسب. بينما يجعلك النمل الأبيض تعتقد بأنك تملك غرفة الجلوس الأجمل – حتى يتداعى الأساس بمجمله وتستيقظ على كومة من نشارة الخشب، ثمرة جهد النمل الأبيض.

248

- أنشأت معايير أشد صرامة بالنسبة لفعالية الطاقة في سخانات المياه.
- وفّرت حماية إضافية لثعلب الماء على طول الساحل الغربي.
- زادت من شروط تخزين المواد الغذائية المستوردة.
- اقترحت إلغاء السماح باستخدام المضاد الحيوي إنروفلاكساسين في علف الدواجن، الذي أدى لنشوء جراثيم وبكتيريا مقاومة للدواء.
- حمت أسود البحر في ألاسكا.
- استوجبت من مرافق صهر الفولاذ، والرصاص والحديد إعلام الشعب بكل انبعاثات الرصاص التي تزيد عن 100 باوند في العام – انخفاض هائل من المستوى السابق، 25,000 باوند في السنة.
- أنشأت محمية بيئية للرصيف البحري المرجاني في جزر هاواي الجنوبية الغربية بمساحة 84 مليون أكر، محرّمة التنقيب عن البترول ومحددة سقف الصيد التجاري عند مستوياته الحالية.
- أسّست لقواعد أشد صرامة بخصوص كتابة المكونات الغذائية للحوم على ملصقات التعريف بالمنتج.
- حظّرت استخدام العربات الثلجية في الحدائق الوطنية.
- وضعت معايير أمان للحافلات التي تأخذ الأطفال إلى برامج رعاية الأطفال قبل الدخول إلى المدرسة.
- حدّدت المعلومات التي يمكن لمزودي الرعاية الصحية إفشاءها بدون إذن المريض.
- حمت الأرض الفدرالية من التنقيب عن المعادن في الحالات التي يسبب التنقيب فيها ضرراً لا يمكن إصلاحه بالأرض.
- سمحت للموظفين الفدراليين بعدم منح عقود للشركات التي تنتهك قوانين البيئة، والعمل، والمستهلك، والتوظيف.
- وضعت معايير لاستخدام التقييد والاحتجاز الجسدي لمن هم دون الواحد والعشرين في مرافق الطب النفسي والعقلي الداخلية.
- اقترحت وضع قوانين تنظم المبيدات الحشرية التي ترتكز إلى الهندسة الحيوية.

- منحت 320 مليون دولار إلى نظام النقل العام في شيكاغو.
- منحت 7.5 مليون دولار إلى الولايات من أجل تعليم أمان سفر الطفل.
- وضعت جانباً 18 مليون دولار لشراء أراضٍ مزروعة حساسة بيئياً من المزارعين في كاليفورنيا.

هل مازلت تعتقد بأن كلينتون أزال الزرنيخ من مائنا؟ هو ليس فقط لم يفعل شيئاً لحمايتنا من شرب مياه مخلوطة بالزرنيخ في السنوات الثماني السابقة، ولكن الأمر الذي وقّعه يتعهد بأن لا يُزال الزرنيخ من الماء حتى العام 2004. ضمنت لنا الإيماءة البيئية العظيمة لكلينتون في الدقائق الأخيرة من مدة رئاسته بأننا سنشرب نفس مستويات الزرنيخ التي كنا نشربها منذ العام 1942 – منذ آخر مرة ملك فيها ديمقراطي حقيقي الشجاعة للوقوف في وجه مصالح التنقيب عن المعادن وتخفيض مستويات هذا السم. لقد فعل الكنديون والأوروبيون ذلك منذ وقت طويل. ولكن كلينتون تجاهل القانون الذي يتطلب من وكالة الحماية البيئية (EPA) إنقاص مستويات الزرنيخ، الأمر الذي نتج عنه رفع دعوى قضائية ضد إدارة كلينتون من قبل مجلس الدفاع عن الموارد الطبيعية. وفي أسبوعه الأخير استسلم كلينتون – ولكن، فقط بعد إقحامه لغة ستؤجل التغيير إلى أربع سنوات أخرى، وبهذا جعل من شربنا لهذا السم خلال فترة إدارة بوش كلها أمراً رسمياً.

وماذا بشأن قوانين إطلاق ثاني أوكسيد الكربون التي أسقطها بوش الثاني؟ هل قلت "أسقطها"؟ أسقط ماذا؟ كل ما فعله بوش هو المحافظة على الوضع الذي خلّفه كلينتون، ولسان حاله يقول، "سألوث الهواء بنفس المستويات التي لوثها كلينتون أثناء سنواته الثماني كلها، كما ستشربون نفس الزرنيخ تحت إدارتي كما فعلتم تحت إدارة كلينتون."

وكما أخّر عملية تخفيض الزرنيخ مدة أربع سنوات، حددت أوامره بخصوص الانبعاثات السامة في أيامه الأخيرة بأنها لن تُخفّض على الفور هي

الأخرى. في منتصف تشرين الثاني، شاعراً بدنو أجل الانتخاب، دعا كلينتون من أجل إصدار قوانين تنظم انبعاث أربعة غازات صادرة من البيوت البلاستيكية الزراعية، بما فيها ثاني أوكسيد الكربون. مرة أخرى بدت كلماته لطيفة، ولكن إذا نظرت إلى ما بعدها فستجد بأن المستويات الجديدة لن تتثبت حتى العام 2010. بعدئذ، كأن ذلك لم يكن سيئاً بما يكفي، لن يكون بالإمكان إنجاز أي قوانين جديدة قبل عشر أو خمس عشرة سنة.

وتستمر القائمة وتطول. طوال ثماني سنوات لم يفعل كلينتون شيئاً بخصوص تناذر النفق الرسغي كما تشير إليه قوانين إدارة الصحة والسلامة المهنية (OSHA). وأخيراً، في ليلة 19 كانون الثاني، قرر القيام بشيء من أجل كل النساء اللواتي يجلسن على لوحة المفاتيح طوال اليوم، واللواتي ذهبن، مع أيديهن العاجزة، إلى صناديق الاقتراع مرتين لتنصيبه رئيساً.

أيها الأصدقاء، أنتم تُضلَّلون وتُخدَعون بواسطة مجموعة من "الليبراليين" المحترفين الذين لم يفعلوا شيئاً لتنظيف كل تلك الفوضى طوال ثماني سنوات – والذين لا يمنعون أنفسهم الآن عن مهاجمة أشخاص مثل رالف نادر الذي كرَّس حياته بأكملها لكل قضية من تلك القضايا. يا للوقاحة! إنهم يلومون نادر لحصولنا على بوش؟ أنا ألومهم لأنهم هم أنفسهم بوش! لقد رضعوا من نفس الحلمة الشركاتية، وساندوا اتفاقية التجارة الحرة الأميركية الشمالية (NAFTA) – التي ضاعفت من التلوث، وفقاً لنادي سييرا، على طول الحدود المكسيكية حيث انتقلت المصانع الأميركية.

لو قام كلينتون بالعمل الذي توقع منه الذين صوتوا له في العام 1992 القيام به، لما كنا في هذه الورطة الآن. تخيّل لو أن كلينتون أمر، في أول يوم له في منصبه منذ ثمانية أعوام، بتخفيض الزرنيخ في ماء الشرب، وشرب كل الأميركيين ماءاً نظيفاً وآمناً طوال الأعوام الثمانية السابقة، هل تعتقد بأن بوش الصغير سيكون قادراً على قول، "حسناً، يا أميركا، لقد مضى زمن طويل بما

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

يكفي على شربكم الماء بدون أي سم فيه، وحان الوقت للعودة إلى تلك الأيام القديمة الجميلة التي كنا نمص فيها ذلك الزرنيخ القديم"؟ بالتأكيد لا! لم يكن سيقف أحد لمساندته. وكان سيعرف هذا، حتى أنه لن يحاول تغيير الأمور. ولكن، لأن كلينتون لم يزلْ أياً من هذه العلل من الماء أو الهواء، كان من السهل على بوش أن يفعل ما فعله. قال لنفسه، أنتم لن تفتقدوا شيئاً لم تملكوه في الأساس.

ولكن، بالطبع، نسي بوش شيئاً واحداً – معظمنا لم نكن نعرف بأننا كنا نشرب الزرنيخ بالمستوى الذي كان عليه في العام 1942 تحت إدارة كلينتون. وبفضل دبليو الذي أراد أن يجعل من مسألة "معاكسة" كلينتون منذ اليوم الأول في منصبه، عرفنا، نحن الشعب، فجأة بأن ماءنا لم يكن آمناً. والآن اسأل نفسك هذا السؤال المؤلم: بما أنك لم تعرف أو تقم بأي عمل حيال مستويات الزرنيخ العالية في عهد كلينتون، هل تعتقد بأن غور كان سيزيل الزرنيخ من الماء؟ لماذا سيفعل ذلك؟ أنتم، الشعب، لم تعرفوا شيئاً عن هذا الموضوع، ولم تشتكوا مرة إلى البيت الأبيض بأنكم تكرهون شرب كل هذا الزرنيخ – والصناعات المسؤولة عن الكثير من هذا الزرنيخ ما هم إلا بعض من الأشخاص الذين موّلوا حملة غور. لقد بحثت في منشورات حملة غور وتصريحات المواقف، ولم أجد كلمة واحدة عن الزرنيخ في الماء.

لنكن صادقين هنا: لم نكن لنخفض الزرنيخ كما نفعل الآن لولا بوش وتصرفاته الغبية. إن الجلبة الكبيرة التي أُثيرت حول القضية وضعتها في أذهان الناس – ومازالت. وهكذا انضم تسعة عشر جمهورياً، شاعرين بالحرارة السياسية أو مستشعرين الفرصة السانحة لتحقيق تأييد شعبي، إلى الديمقراطيين في مكافحة الزرنيخ – ونحن، الشعب الأميركي، سنشرب في نهاية المطاف مياهاً أكثر نظافة. أقرّ هؤلاء الجمهوريون التسعة عشر، مع الديمقراطيين، مشروع قانون لا يمنع فقط بوش من تغيير الأمر الذي أصدره كلينتون في

اللحظة الأخيرة، بل يتجاوز ما أمر به كلينتون ويخفض الزرنيخ إلى مستويات أدنى. لم يحصل ذلك تحت إدارة كلينتون، وصدقني، لم يكن الرئيس غور سيفعل ذلك.

وُجّه نقد قاسٍ لبوش في أشهره الأولى تعلق بجهوده الرامية لإعطاء أموال ضرائبنا إلى الكنائس للقيام "بأعمال خيرية." أوه، أكاد أسمع الاحتجاج الشعبي العارم الآن! إذاً، إليك سؤالي: أين كان الناس لمساندة مجموعة الطريقة الأميركية (American Way) والمجموعات الليبرالية الأخرى في العام 1996، ومتى أُدخلت هذه اللغة نفسها في مشروع قانون كلينتون للرعاية الاجتماعية؟ لقد مضى الآن على تلقي المنظمات المرتكزة على الدين الاعتمادات الفدرالية ما يزيد عن خمس سنوات. لماذا تعالى الصراخ فجأة بشأن "فصل الكنيسة عن الدولة" عندما فعل كلينتون ما يتمنى بوش الآن فعل أكثر منه؟ هل لأننا كنا نحب "إيمان" كلينتون أكثر؟

بالنسبة للأمر الذي أصدره بوش لحظر منح المال من أجل عمليات الإجهاض في الخارج: خاطئ مرة أخرى. لقد وقّع كلينتون، كالرئيسين اللذين سبقاه، أمراً يحظر دفع أي اعتمادات أميركية من أجل الإجهاض في الدول الأجنبية. وما فعله بوش كان توسيع القرار وذلك بقطع تمويل جمعيات التحكم بالنسل الأجنبية التي تقدم الإجهاض كبديل. أسوأ، نعم – ولكنه أفلت بها لأن رئيسنا الديمقراطي كان قد وضع حجر الأساس له عن طريق وضع موفقته "الليبرالية" على جزء من برنامج عمل يميني.

لذا رجاءً اعفني من النواح وندب حظنا لحصولنا على بوش، فأولئك الذين يريدون أن يحوّلوا بوش إلى وحش كرتوني يهدفون إلى منعنا من رؤية الوحش الذين تحولوا هم أنفسهم إليه. بالتأكيد إنهم يكرهون رالف نادر. إنه مُذكّر مزعج بما كان سيحصل لو انتخبنا شخصاً سيمثل الـ 90 بالمائة ممن يشكلون القاع في بلدنا. صبوا اللوم على نادر، وصبوه كذلك على بوش، إنه ليس سوى جزء

من نفس الإلهاء – لمنعك من التركيز على حقيقة واحدة في غاية الأهمية: سواء كان زرنيخاً جمهورياً أم زرنيخاً ديمقراطياً، إنه في الواقع ليس سوى نفس القذارة التي يرغموك على وضعها في حلقك.

ولكن بوش لن يعرف أبداً كيف يفلت بهذه الأمور بالطريقة التي أفلت بها كلينتون. إنه بحاجة لانتزاع ورقة من كتاب السحر الضخم لكلينتون. إذاً، كان هناك شخص عرف كيف يكسب حب الناس. على أي حال، ومهما كان رأيك به، إلا أنه كان ذكياً جديراً بأن يُحَب، ومرحاً، وعملياً. كان يعرف بأن الشعب الأميركي يريد الوثوق برئيسه. لقد اكتشف بأن قول شيء ما كان يشبه القيام به، فإذا قلت بأنك ستعمل للحصول على بيئة أنظف، فذلك جيد بما يكفي – لم يكن واجباً عليك القيام بأي شيء لجعلها نظيفة فعلاً. اللعنة، كان بإمكانك الإفلات حتى بتلويثها أكثر من السابق، ولن يعرف معظم الناس الفرق أبداً. كان بإمكانك القول بأنك تساند تشريع الإجهاض ومن ثم تشرف على أوسع عملية إغلاق بالجملة لعيادات الإجهاض منذ أن أصبح هذا الإجراء قانونياً. (ما أهمية أن تكون مسانداً لتشريع الإجهاض، إذا كان في 86 بالمائة من المقاطعات في أميركا لا يوجد طبيب واحد سيجري عملية إجهاض واحدة ولا امرأة واحدة يمكنها الحصول على واحدة؟) تعلَّم كلينتون بأنه إذا تحدث بلغة مناصر نسائي جيد، فلن يستطيع أي زعيم نسائي أن يشجب الأمر الذي وقَّعه في العام 1999 بمنع منح أي اعتمادات فدرالية إلى أي مجموعة أجنبية تناقش مسألة الإجهاض خلال التشاور الطبي. الجميع يظن بأنها فكرة بوش! وهذا يبيِّن حدة ذكاء كلينتون. وهذا يفسر أيضاً لماذا جذب كل المجموعات النسائية إلى صفه – لأنه قال بأنه معهن.

إذاً هكذا تقوم بالأمر: قل شيئاً (قابلاً للتصديق ظاهرياً)، ثم افعل شيئاً آخر. أو لا تفعل شيئاً على الإطلاق.

الغاية من كل ما تقدم هو أن مشكلتنا، في نهاية المطاف، ليست بوش – بل

الديمقراطيين. سيكون بوش عاجزاً إذا ما بدأ الديمقراطيين بالتصرف كحزب معارض حقيقي. حتى إنه لم يكن ليوجد في منصبه الآن لو وقف أحد الديمقراطيين في الكونغرس وتحدى الهيئة الانتخابية التي تنتخب الرئيس ونائبه. ولكن، لم يتفوه أحد بكلمة.

وفي القسم الأعظم من السنة الأولى لبوش، كان الديمقراطيون هم شركاؤه الضروريون والطوعيون في الجنون.

ابدأ مع مرسوم إصلاح الافتقار، الذي يصعّب الأمور على الطبقة العاملة ممن يحتاجون لرفع دعوى قضائية بسبب الفقر. وهكذا، بدلاً من حذف ديونهم، سيرغم القانون الجديد، الذي أُقر بواسطة الكونغرس ووُقّع بواسطة بوش، هؤلاء الذين فقدوا كل شيء على البقاء مدينين للبنوك وشركات بطاقات الاعتماد – وإيجاد طرق تمكنهم من دفعها. بكلمات أخرى، لن يتمكن الملايين أبداً من الخروج من تحت صخرة الدَيْن الساحق.

أُقر مشروع القانون هذا بتأييد سبعة وثلاثين سيناتوراً ديمقراطياً – بما فيهم كل الإناث الديمقراطيات من أعضاء مجلس الشيوخ– وقفوا كلهم إلى جانب الصناعة المصرفية بدلاً من الوقوف بجانب العائلات الأميركية العاملة. وفي لفتة ساخرة، كان الديمقراطيون من أصحاب الملايين في مجلس الشيوخ – كينيدي، روكفلر، كروزاين، دايتون– هم الذين صوّتوا ضد هذا التشريع الظالم.

كل مشروع قانون أتى إلى الكونغرس من البيت الأبيض المُحتل بواسطة بوش، قابلته أعداد غفيرة من الديمقراطيين بأذرع مفتوحة. أُقر مشروع قانون التخفيض الضريبي بشكل ساحق مع تأييد ديمقراطي، رغم أن المشروع كان معداً لمساعدة أعلى 10 بالمائة من المجتمع.

كما ساند الديمقراطيون بوش في ضربه للعراق وفي تصرفاته العدائية ضد الصين. وفي آب من العام 2001، جاءت اللحظة الحاسمة لهذا التعاون عندما صوّت الكونغرس من أجل الموافقة على التنقيب عن النفط في قفار ألسكا. وكان

قد تخلى عن الحزب مسبقاً أربعة وثلاثون جمهورياً وأعلنوا بأنهم سيصوتون ضد حزبهم في هذه المسألة. كان خبراً مذهلاً بالنسبة لأولئك المهتمين ببيئتنا. ولكن سرعان ما انخسف الفرح عندما أُخذ التصويت، وصوّت ستة وثلاثون ديمقراطياً لصالح خطة بوش.

إن المشهد الأكثر مدعاة للحزن في هذه العربدة للديمقراطيين النائمين مع العدو هي الطريقة التي وافقوا فيها على كل ترشيح من ترشيحات بوش لمجلس الوزراء. حصل بعض المرشحين على مساندة الديمقراطيين بالإجماع في مجلس الشيوخ، حتى المشكوك فيهم، مثل جون آشكروفت الذي حصل على عدد من الأصوات الديمقراطية الحاسمة. ولم يكن هناك ديمقراطي واحد راغباً في تعطيل سير الإجراءات كما كان سيفعل أي جمهوري مسعور فيما لو اختار رئيس ديمقراطي متطرفاً مفرطاً في التطرف كجون آشكروفت إلى منصب النائب العام. كما أذكر، كانت جانيت رينو الاختيار الثالث بالنسبة لكلينتون بعد رفض الجمهوريين المرشحين الأوليين.

هذا هو الفرق – الديمقراطيون لا شخصية لهم. إنهم يتنازلون دائماً. لا يوجد واحد منهم في الكونغرس مستعد للدفاع عن مصالحنا كما سيفعل توم ديلاي أو ترينت لوت. أولئك الرجال لن يرتاحوا حتى يربحوا، مهما كان عدد الجثث التي ستُفرش الطريق بها.

لقد أصبح الديمقراطيون الآن مجرد أشخاص يحلمون بأن يكونوا كالجمهوريين. ولهذا أقترح ما يلي: يجب على الديمقراطيين الاندماج مع الحزب الجمهوري، فبهذه الطريقة، يمكنهم المحافظة على القيام بما يقومان به خير قيام – تمثيل الأغنياء– وتوفير الكثير من الأموال عن طريق توحيد الأعضاء الإداريين ومركز القيادة في آلة قوية جاهزة للدفاع عن أعلى 10 بالمائة.

ما هو الخبر الجيد في هذا الاندماج؟ ستتمكن الطبقة العاملة في هذا البلد أخيراً من الحصول على حزبها الخاص! وما الخطأ الفظيع في هذا؟ سيكون

قد تخلى عن الحزب مسبقاً أربعة وثلاثون جمهورياً وأعلنوا بأنهم سيصوتون ضد حزبهم في هذه المسألة. كان خبراً مذهلاً بالنسبة لأولئك المهتمين ببيئتنا. ولكن سرعان ما انخسف الفرح عندما أُخذ التصويت، وصوّت ستة وثلاثون ديمقراطياً لصالح خطة بوش.

إن المشهد الأكثر مدعاة للحزن في هذه العربدة للديمقراطيين النائمين مع العدو هي الطريقة التي وافقوا فيها على كل ترشيح من ترشيحات بوش لمجلس الوزراء. حصل بعض المرشحين على مساندة الديمقراطيين بالإجماع في مجلس الشيوخ، حتى المشكوك فيهم، مثل جون آشكروفت الذي حصل على عدد من الأصوات الديمقراطية الحاسمة. ولم يكن هناك ديمقراطي واحد راغباً في تعطيل سير الإجراءات كما كان سيفعل أي جمهوري مسعور فيما لو اختار رئيس ديمقراطي متطرفاً مفرطاً في التطرف كجون آشكروفت إلى منصب النائب العام. كما أذكر، كانت جانيت رينو الاختيار الثالث بالنسبة لكلينتون بعد رفض الجمهوريين المرشحين الأوليين.

هذا هو الفرق – الديمقراطيون لا شخصية لهم. إنهم يتنازلون دائماً. لا يوجد واحد منهم في الكونغرس مستعد للدفاع عن مصالحنا كما سيفعل توم ديلاي أو ترينت لوت. أولئك الرجال لن يرتاحوا حتى يربحوا، مهما كان عدد الجثث التي ستُفرش الطريق بها.

لقد أصبح الديمقراطيون الآن مجرد أشخاص يحلمون بأن يكونوا كالجمهوريين. ولهذا أقترح ما يلي: يجب على الديمقراطيين الاندماج مع الحزب الجمهوري، فبهذه الطريقة، يمكنهم المحافظة على القيام بما يقومان به خير قيام – تمثيل الأغنياء– وتوفير الكثير من الأموال عن طريق توحيد الأعضاء الإداريين ومركز القيادة في آلة قوية جاهزة للدفاع عن أعلى 10 بالمائة.

ما هو الخبر الجيد في هذا الاندماج؟ ستتمكن الطبقة العاملة في هذا البلد أخيراً من الحصول على حزبها الخاص! وما الخطأ الفظيع في هذا؟ سيكون

الحزب الثاني في نظام يحوي حزبين، باستثناء أنه سيمثل بقية الـ 90 بالمائة منا.

ولأسرّع الأمور قدماً، أقدم هذا العرض إلى الديمقراطيين والجمهوريين: أنا شخصياً سأدفع، من جيبي الخاص، الأتعاب القضائية وكل الأجور الأخرى من أجل التسجيل في لجنة الانتخابات الفدرالية لجعل هذا الاندماج رسمياً. الحزب الجمهوري – الديمقراطي الجديد! وكهدية، سأدعكم تحتفظون حتى بالحمار، شعار الديمقراطيين، حيث يمكنكم مزاوجته مع الفيل الجمهوري.

ولهذا، بحلول منتصف ليلة 31 كانون الأول 2001، أطلب من زعماء الحزب الديمقراطي أن يسلموا مفاتيح المركز الرئيسي للحزب الكائن في 430 شارع ساوث كابيتال في واشنطن العاصمة، إلي (أو إلى أي شخص آخر يريد أن يكون مسؤولاً عن المفاتيح، لأنني ربما سأضيعها). يوجد حوالى مليون ومائتي ألف شخص منا يودون رؤية نظام حقيقي بحزبين (أو ثلاثة أحزاب، أو أربعة – هاي، نحن بلد كبير!)، أحدهما يدافع عن حق شخص ما بتسجيل ثمن ملعب التنس في الفناء الخلفي لمنزله كجزء من مصروفات العمل والآخر يدافع عن الحق برؤية طبيب إذا ما مرض أحدنا. إنه حقاً بهذا البساطة.

إذا كانت القيادة الديمقراطية الحالية غير راغبة بإعطائي المفاتيح، فإني أنوي رفع دعوى قضائية باسم أي شخص منا صوّت مرة لديمقراطي، بتهمة الاحتيال وانتهاك العلامة التجارية، فهؤلاء الذين يُسمون "ديمقراطيين" هم في الحقيقة يمثلون الجمهوريين، ولهذا فهم يخدعون المواطنين الذين أعطوهم مالهم، ووقتهم، وأصواتهم. سأسعى لاستصدار إنذار قضائي يمنعهم من الاستمرار باستخدام كلمة "ديمقراطي" بدون كلمة "جمهوري" متصلة بها.

حينئذ، يمكننا أن نتحرك. يمكننا أن نسمي حزبنا الجديد الديمقراطيين الخضر، أو الديمقراطيين الأحرار، على أي حال، سنبت في الأمر لاحقاً في اللجنة.

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

(يمكن للقراء الذين يرغبون في توفير ثمن هذه الدعوى القضائية عليّ أن يصوّتوا من أجل إخراج كل الديمقراطيين المزيّفين والتصويت للمرشّحين الشرفاء التقدميين الذين يناضلون من أجل كل ما هو نقيض لما يدافع من أجله الجمهوريين.)

في هذه الأثناء، إلى أولئك الديمقراطيين الذين يريدون تجنب المذبحة السياسية القادمة، أقدم هذه النصيحة لكم: امتنعوا عن الاستعداد للمنافسة. إنها آخر نصيحة مجانية إلى الحزب الذي أرسل تسعة من مدرستي الثانوية إلى حتفهم في فيتنام. إذا كنتم لا تستطيعون تنظيف ما فعلتم، فاللعنة عليكم وعلى الحمار الذي ركبتموه حتى وصلتم إلى هنا.

حان الوقت للتخلص من هؤلاء "الديمقراطيين"

تبيّن هذه القائمة كم أن ممثليك الديمقراطيين في الكونغرس بعيدون عن برنامج العمل التقدمي. تمثل النسبة كم صوتوا ضد التشريعات الليبرالية لصالح الجمهوريين. (المصدر: منظمة الأميركيين من أجل الأداء الديمقراطي، وتستند إلى سجلات التصويت في العام 2000).

مجلس النواب الأميركي

رالف هول، تكساس (صوّت مع الجمهوريين 80 بالمائة من الوقت).

هارولد فورد، تينيسي، (40 %).

كين لوكاس، كنتاكي (75 %).

بارت غوردون، تينيسي، (40 %).

كريستوفر جون، لوس أنجلوس (70 %).

كولن بيترسون، ميتشيغان، (40 %).

تيم ترافيكانت، أوهايو، (70 %).

ماكس ساندلين، تكساس، (40 %).

ماريون بيري، أركنساس، (65 %).

شيلي بيركلي، نيفادا، (35 %).

باد كرامر، ألاباما، (65 %).

بيتر ديونش، فلوريدا، (35 %).

روني شوز، ميسيسيبي، (65 %).

مايك دويل، بنسلفانيا، (35 %).

جيم بارسيا، ميتشيغان، (60 %).

جون لاقالس، بنسلفانيا، (35 %).
آيك سكيلتون، ميسوري، (60 %).
فرانك ماسكارا، بنسلفانيا، (35 %).
ويليام ليبينسكي، إيلينويز، (55 %).
كارولين ماكارثي، نيويورك، (35 %).
تيم رومر، إنديانا، (55 %).
دينيس مور، كنساس، (35 %).
آدم سميث، واشنطن، (55 %).
سولومون أورتيز، تكساس، (35 %).
تشارلي ستينهولم، تكساس، (55 %).
لوريتا سانشيز، كاليفورنيا، (35 %).
جون تانر، تينيسي، (55 %).
بارت ستوباك، ميتشيغان، (35 %).
جين تايلور، ميسيسيبي، (55 %).
بريان بايرد، واشنطن، (30 %).
سانفورد بيشوب الابن، جورجيا، (50 %).
لويس كابس، كاليفورنيا، (30 %).
ألين بويد، فلوريدا، (50 %).
إيفا كلايتون، كارولينا الشمالية، (30 %).
غاري كونديت، كاليفورنيا، (50 %).
كال دولي، كارولينا، (30 %).
دافيد فيلبس، إيلينويز، (50 %).
باري هيل، إنديانا، (30 %).

ليونارد بوزويل، أيوا، (45 %).
دارلين هولي، أوريغون، (30 %).
جيري كوستيلو، إيلينويز، (45 %).
جاي إنسلي، واشنطن، (30 %).
تيم هولدن، بنسلفانيا، (45 %).
ويليام جيفرسون، لوس أنجلوس، (30 %).
بول كانجورسكي، بنسلفانيا، (45 %).
جيم موران، فيرجينيا، (30 %).
جايمس مالوني، كونيكتيكت، (45 %).
نيك راهال، فيرجينيا الغربية، (30 %).
مايكل ماكنولتي، نيويورك، (45 %).
فيك سيندر، أركنساس، (30 %).
بوب كليمينت، تينيسي، (40 %).
جون سبرات، كارولينا الجنوبية، (30 %).
بوب إتريدج، كارولينا الشمالية، (40 %).
إيلين توشر، كاليفورنيا، (30 %).

مجلس الشيوخ

زيل ميلر، جورجيا، (100 %).
ماكس كليلاند، جورجيا، (30 %).
جون بروكس، لوس أنجلوس، (50 %).
بلانش لنكولن، أركنساس، (30 %).
دانييل إينوي، هاواي، (40 %).

جمهوريون هشّون يمكن هزيمتهم

أعضاء الكونغرس التالية أسماؤهم هم الأكثر عرضة للهزيمة إذا ما ترشح

ديمقراطي حقيقي ضدهم.

مجلس الشيوخ

واين ألارد، كولورادو.
بوب سميث، نيو هامبشاير.
سوزان كولينز، ماين.
غوردون سميث، أوريغون.
بيت دومينيسي، نيو مكسيكو.
تيد ستيفينز، ألاسكا.
تيم هاتشينسون، أركنساس.
ستروم ثورموند، كارولينا الجنوبية.
ميتش ماكونيل، كينتاكي.

مجلس النواب

شيلي مور كابيتو، فيرجينيا الغربية.
تشارلز (تشيب) بيكيرينغ، ميسيسيبي.
مايك فيرغسون، نيو جيرسي.
مايك روجرز، ميتشيغان.
ميليسا هارت، بنسلفانيا.
روب سيمونز، كونيكتيكت.
ستيف هورن، كاليفورنيا.
هيذر ويلسون، نيو ميكسيكو.
مارك كينيدي، مينيسوتا.
دوغ أوس، كاليفورنيا.

الفصل الحادي عشر

صلاة الشعب

أعتقد بأن توماس أكويناس هو من قال ذات مرة، "لا يوجد شيء كقذارتكم ذاتها يمكن أن يجعلكم تدركون كم أنتم نتنين."

في تموز من العام 2001، أرسلت نانسي ريغان، التي كانت حينئذ تجلس على مدار الساعة بجانب سرير موت زوجها، تابعي ريغان الموثوقين السابقين مايكل ديفر وكينيث دوبرستين إلى العاصمة واشنطن مع رسالة إلى جورج دبليو بوش والقيادة الجمهورية. كان الحزب منقسماً حول مسألة البحث العلمي على الخلية المنشئة (الجنينية)، وهو علم متقدم يتعلق بأخذ خلايا منشئة من أجنة بشرية مسقطة واستخدامها في معالجة الناس المصابين بأمراض موهنة مثل الزهايمر (المرض الذي أصاب الرئيس السابق ريغان)، أو إيجاد علاجات شافية لأمراض أخرى تهدد الحياة. لقد طالب المتحمسون ضد الإجهاض (من بينهم عائلة ريغان وعائلة بوش) الذين سيطروا على الحزب لعقود بعدم إجراء بحوث على الأجنة، بغض النظر عن معتقدات الأحياء.

كان دبليو يميل إلى منع البحوث، بخبرة الجماعة، بما معناه، بأنه كان ينظر إلى تلك الأجنة الميتة وكأنها أطفال أحياء. أعتقد بأنه كان يخشى من لجوء النساء للتخصيب بويضاتهن فقط من أجل الحصول على أجنة، وإجهاض أنفسهن، ومن ثم بيع تلك الأجنة إلى البحوث العلمية. هذه هي الحياة الخيالية النشطة للأغبياء المحافظين الذين يحكمون هذا البلد.

ولكن مع إعطاء عدد من المحافظين، بدءاً من نومي توممسون إلى كوني

ماك، موافقتهم على البحوث المتعلقة بالخلية المنشئة مصرحين بأن ذلك لا علاقة له بسلب "حياة بشرية،" امتلأت وسائل الإعلام فجأة بقصص عن حدوث تمرد بين المحافظين على هذه المسألة. "الحق في الحياة" شن الحرب على النزوع إلى العقل.

على الرغم من ذلك، بدا بوش غير منزعج أو متأثر، فهو مهتم بمعركة معجون الأسنان الذي يستخدمه رئيس الوزراء البريطاني أكثر من اهتمامه بتغيير موقفه من الإجهاض.

ولكن بعد ذلك جاءت الكلمة من نانسي، التي توشك أن تصبح أرملة، إذ طلبت من بوش تغيير رأيه والموافقة، ودعم، وتمويل وتأييد البحوث على الخلية المنشئة. لقد نقلت إليه عبر شبانها الموكلين بالمهمة بأن البحث قد ينقذ روني أو أمثاله في المستقبل من الزهايمر، باركنسون، لو غيريغ، والأمراض الفتاكة الأخرى.

في تلك اللحظة بالذات، تبدل الملعب بالكامل. وصدر القرار من مكتب صنع القرار: فليذهب غير المولودين إلى الجحيم! أنقذوا رونالد ريغان!

وكما هو معروف، تبدلت مبادئ بوش الصغير بأسرع من لمح البصر، وصدر الأمر من البيت الأبيض بأن لا ضير بعد الآن من "بعض" البحوث على الخلية المنشئة. وظهر بوش على التلفزيون ولم يقل بأن الجنين البشري هو كائن بشري. وهكذا، بعد عقود من حشو أذهاننا عنوة بفكرة أن "الحياة البشرية تبدأ عند الحمل،" يقال لنا الآن من قبل نفس الأشخاص الذين اغتصبوا حق المرأة بالإجهاض بأن هؤلاء "الأطفال غير المولودين" في الواقع مجرد نسيج جنيني ميت – قد يبقي بعض الأشخاص الأثرياء المرضى على قيد الحياة بضع سنوات أخرى!

وانضم الزعماء الجمهوريون في مختلف أنحاء البلاد إلى المطالبة بالمزيد من البحوث على الخلية المنشئة. وقاد الحملة أورين هاتش، قائلاً، "هذه ليست

قضية تدمير للحياة البشرية، بل هي قضية تسهيل للحياة البشرية." حتى ستروم ثورموند وافق "فقط في حالة الاغتصاب أو زنا المحارم." "قد يؤدي البحث على الخلية المنشئة إلى علاج وشفاء أمراض مثل التصلب المضاعف، والزهايمر، وباركنسون، ومرض القلب، وأنواع مختلفة من السرطان، وداء السكر... لقد شجعني هذا العلم الرائد وأنا أؤيد التمويل الفدرالي للبحوث المتعلقة به،" قال الرجل العجوز، الذي تعاني ابنته، ليس على فترات كثيرة التباعد، من داء السكر الخاص باليافعين.

لا يوجد شيء محبب أكثر من النفاق غير المتحفظ من اليمين. إنهم ينفقون حياتهم بأكملها جاعلين من حياة كل شخص حياة بائسة، ولكن حالما تدخل تعاسة صغيرة إلى حياتهم، "ليذهب نظام الإيمان إلى الجحيم – أريد نتائج!" وهم يكرسون كل طاقاتهم لتصعيب الأمور على السود، أو النساء، أو الشاذين الذين يريدون أن يُعامَلوا بالقليل من الكرامة، ولكن في اللحظة التي يتعرض فيها شخص من عائلتهم إلى تقييد من نوع ما – هاي، من الأفضل لك أن تبتعد عن طريق ابني، أيها الحقير، إنه خاص!

ريغان، بوش، تشيني، والبقية كلهم مسؤولون عن عقود من التشريعات المجحفة المعدة لعقاب الفقراء، أو سجن الذين يعانون من مشاكل صحية (الإدمان على المخدرات)، أو تجريد حقوق الناس البائسين هنا في أميركا "بشكل غير شرعي." ولكن، عندما يجدون أنفسهم في حالة تعسة، تجدهم فجأة يمتلكون شفقة القديس فرانسيس ورحمة الأم تيريزا.

حسناً، أنا أقول بأن هذا شيء جيد! لنأمل بأن يحصلوا على كل ما يسعون إليه. وإذا كانت عودتهم إلى صوابهم تتطلب مأساة شخصية، ليكن، ففي النهاية، رغم منازلهم ذوات الحمامات السبع ومرائبهم المليئة بسيارات الرولز رويس، إلا أنهم بشر، مثلنا تماماً. وعندما يتمدد شخص عزيز منهم في السرير بشكل دائم ويلوث الحفاضات الخاصة بالبالغين، ويبول على ملاءاتهم حديثة الطراز

ويهذي كالأرواح العاجزة التي قطعوا إعانتهم واعتمادهم للتو من الميزانية الفدرالية – حسناً، في مثل هذه الظروف، غنياً كنت أم فقيراً، تبدو القروح الوجهية المتقيحة كلها سواء. وهكذا تتحقق المساواة – أمة واحدة، عاجزة، العدالة للجميع.

وهكذا، بفضل مصيبة رونالد ريغان، سنحصل الآن على القليل من التمويل الفدرالي من أجل البحث على الخلية المنشئة – قد نجد علاجاً للزهايمر ويعلم الله لأي شيء آخر. فكر في ذلك لدقيقة واحدة فقط. هذا كل ما يتطلبه اليوم الحصول على تمويل للبحوث العلمية المسؤولة. زعيمنا السابق المحبوب، الذي ساعد على تدمير حياة الملايين من النساء لأنه كان يعتقد بأن تلك الأجنة كانت أطفالاً صغاراً، يجد نفسه الآن في ورطة بشعة – ولمجرد أن مجموعة من المحافظين تعتقده قديساً، سيتمكن أخيراً الملايين من الأميركيين العاديين من تخفيف معاناتهم؟

تحدث هذه الظاهرة في كل مكان، ففي نيويورك مثلاً، قام رئيس البلدية الجمهوري رودولف غيلياني، الذي عارض سنين طويلة أن تدفع المدينة من أجل الرعاية الصحية للأطفال غير المؤمّنين، بتغيير كامل ومفاجئ في موقفه – بعد أن أُصيب بالسرطان. "يجب أن أعترف،" يفسر غيلياني المتواضع للصحافة، "ما إن أُصبت بالسرطان، حتى بدأت أرى الكثير من الأشياء بشكل مختلف."

أو خذ ديك تشيني العظيم. إنه يوقف بهدوء أي مبادرة مضادة للشاذين جنسياً يمكن أن تصدر من البيت الأبيض لعرضها على الكونغرس. لماذا؟ لأن ابنته سحاقية. أين يمكن أن يقف ديك تشيني بالنسبة لهذه المسألة لو لم يكن هناك أحد عزيز عليه شاذاً؟ ربما ليس بعيداً عن ذلك الطريق في ولاية وايومنغ حيث تُرك ماثيو شيبارد ليلقى حتفه على صليب من أوتاد السياج. هؤلاء الشاذون يتخذون بعداً آخر تماماً عندما يكونون متحدرين من صلبك. توقف ديك تشيني

عن كونه جمهورياً نافذاً واستجاب كإنسان بشري وكأب. عندما تصيب البلية منزلك، من الصعب أن تستمر بالتصرف كنذل.

ولهذا وصلت إلى قرار مفاده أن الأمل الوحيد الذي نملكه في هذه البلد لكي نأتي بالمساعدة إلى المرضى، والحماية إلى ضحايا التمييز العنصري، وحياة أفضل لأولئك الذين يعانون هو أن نصلي كالمجانين لكي يصاب أولئك الموجودون في السلطة بأسوأ الأمراض، والمصائب، والظروف في الحياة. لأنني أؤكد لكم بأنه حالما يصل الخطر إلى مؤخرتهم، فسنكون جميعنا في طريقنا إلى الإنقاذ.

الخاتمة

تالاهاسي

لدي اعتراف أدلي به:

أنا الشخص المسؤول عن تولي جورج دبليو بوش الرئاسة. أنا، مايكل مور، كان بإمكاني منع كل ذلك.

والآن لقد أغضبت الكثير من الناس، وأنا الآن كتبا في المرحاض.

ولهذا السبب أنا مختبئ.

أكتب هذه الخاتمة من غرفة تحت الأرض في غابة ميتشيغان الشمالية، في مكان ما على طول خط العرض خمسة وأربعين. يقول الناس المحليون بأنني أقيم بالضبط في منتصف المسافة بين خط الاستواء والقطب الشمالي. وتكون بالنسبة لي إنه يبدو مكاناً مجهولاً بعد مليون ميل.

لم أعد أفكر كيف سينقذ البلد أو كوكب الأرض. اهتمامي الوحيد الآن هو كيف أنقذ مؤخرتي البائسة.

بدأت القصة كلها في تالاهاسي، تالاهاسي، فلوريدا. نعم، تالاهاسي تلك بعينها.

لا علاقة لوجودي في عاصمة ولاية فلوريدا بأسبوع وثلاثين يوماً من السيرك الإعلامي الذي تلا انتخاب العام 2000، فقد كان ذلك معداً لأولئك الذين لم يشاهدوا ورطة مونيكا/عصير البرتقال منذ مدة، ولهذا السبب كانوا بأمس الحاجة لمشاهدة حدث آخر في مسلسل فضائح الأمة كزواج نيوت غينغريتش. لم يكن ذلك ما جلبني إلى تالاهاسي، وأنا كنت هناك لأسباب لا علاقة لها بالأيام

السبعة والثلاثين تلك.

لقد وضعت رحالي في تالاهاسي قبل 15 يوماً من الانتخاب. وما لم أحسب حسابه هو لقائي قبل الفجر مع حاكم ولاية فلوريدا، جيب بوش. أنا وهو فقط في شارع مظلم وسط مدينة تالاهاسي، وكان حراسه الشخصيين يتربصون في مكان قريب، في أتم الاستعداد للانقضاض عليّ من إشارة واحدة وتتناولي مع الإقطار.

لقد ذهبت إلى فلوريدا لكي أمنع أخاه من الفوز بالانتخاب. لأمنع وقود كارثة تلوح في الأفق. لأهزم العدو. عشرون ثانية فوق تالاهاسي!

كانت مهمة مقدر لها أن تفشل.

لا أعرف من يجب أن أخاف أكثر – رجال النفط الذين يديرون الآن الشركة التي تُعرف باسم "الولايات المتحدة الأميركية" من داخل المكتب البيضوي، أو من الليبراليين الفاسدين الذين يريدون رأسي لأنهم يعتقدون بأنني كنت بطريقة ما الرأس المدبر وراء حملة رالف نادر، ولأنني... ولأنني... ولأنني...

حسناً! حسناً! هذا صحيح!! إنه أنا – نعم أنا! أنا! كان كل ذلك بسببي!! بماذا كنت أفكر؟؟؟ هل كنت أريد حقاً مقابلة سوزان ساراندون بتلك الطريقة السيئة؟ أوه، يا إلهي، اغفر لي، لقد حطمت هذا البلد – هذه الأمة المعتوهة الرائعة من المثاليين والمحاسبين الذين لا يريدون سوى الحق بركوب سياراتهم الشيفروليه بلازر عبر سهل من البساتين المثمرة، والذين لا يطلبون سوى أن يُقال لهم الفرق بين "المشرق جزئياً" و"الغائم جزئياً"، والذين لا يسعون إلا إلى خطة خليوية مع ما يكفي من الدقائق المجانية في وقت الذروة حتى يكونوا جميعاً مستعدين إذا ما اتصل أحد أولادهم من داخل مدرسة يحدث فيها إطلاق نار، لأنهم بحاجة إلى البابا والماما كي يتصلوا بمحطة السي إن إن على الفور ويبدؤوا بالتفاوض على حقوق عملية تصويرهم الجميلة حقاً للمذبحة التي تحدث الآن في الكافيتيريا.

بطريقة ما أعتقد بأنني أشد ذكاء من القتلة في شركتي هاليبورتون وإنرون (يُشار إليهم الآن بـــ "المساعدين الخصوصيين لنائب الرئيس"). سوف يُحجزون ويُفرض عليهم الحجر ويُخلّصون من شقائهم في القريب العاجل.

ولكن مهما كان حجم الأسف أو الندم فإنه لن يرضي عصابة غور الغاضبين، عن حق، لحرمان رجلهم من المنصب الذي فاز به. إنهم يكادون ينفجرون من الغضب. يمكنني أن أقول لكم بأنني لم أشاهد في حياتي ليبراليين بمثل هذا الغضب منذ... منذ... حسناً، لا أعتقد بأنني رأيت حقاً ليبراليين متحمسين لأي لأمر! على أي حال، إنهم ليسوا كاليمين المسيحي الذين تدبروا أمرهم – مع وجود الله إلى جانبهم– دائماً في الوصول إلى غاياتهم.

باستثناء اتفاق كل هؤلاء الليبراليين الآن على أمر واحد: إلقاء اللوم على رالف نادر – وعليّ أنا! لماذا يلومونني؟ إنهم لا يعرفون كامل القصة! لقد طردني رالف نادر في العام 1988 – رمى بي في الشارع، مفلساً!

والآن، كي أبقى على قيد الحياة، وأحمي الناس الذين أحب، ولإيصال هذا الكتاب الذي كتبته إليكم رغم أنكم ستكونون محظوظين لإيجاده من بين المنشورات الأخيرة لأبطالنا الوطنيين في المصارعة، انسحبت إلى أعماق الغابة مع كمبيوتري الشخصي وبوصلتي، أقتات من الأرض بالطريقة التي تريدها الطبيعة، وأسجل أفكاري الأخيرة على أمل أن يُستفاد من بعض الدروس.

في الأسبوع الماضي، بينما كنت أبدّل بين الطائرات في ديترويت، اقترب شخص مع ابتسامة كبيرة تغطي وجهه ورفع يده وحياني، "الجميع يقولون بأنك أحمق، ولهذا أردت أن أقابلك!" واستدار وركض، دون أن يسمع جوابي: "الجميع على حق!"

تمتلئ ولاية ميتشيغان بأشخاص كهذا. صادقون ومهذبون. والأفضل منه ما تلقيته اليوم، رسالة مشابهة للعديد مما تلقيت مؤخراً:

"عزيزي المغفل،" تقول الرسالة. " أتمنى أن تكون راضياً بما فعلته. أنت

وذلك المهووس بنفسه رالف نادر ستجعلوننا جميعاً نشرب الزرنيخ في الماء دون أن ندري. اعمل معروفاً، واغرب عن وجهنا."

كان بإمكاني الرد عليه وإخباره بأن رالف نادر لم يفعل شيئاً سوى إلهام مليون ناخب جديد بالقدوم إلى صناديق الاقتراع، لأنه الشخص الوحيد الذي كان يقول الحقيقة بخصوص ما يجري في البلد. الأثرياء هم الذين تصرفوا كرجال العصابات أثناء السنوات الديمقراطية للتسعينيات. ولم يبدر أي فعل لتخفيف المشقات التي واجهها 45 مليون أميركي لا يملكون تأميناً صحياً. ومازال الأجر الأدنى كما هو من دون تغيير عند أجر العبيد، 5.15 دولاراً في الساعة.

كان بإمكاني إخباره بأن وجود رالف نادر على بطاقة الاقتراع في ولاية واشنطن هو السبب الذي دعا غالبية أولئك الـ 101,906 من الذين صوتوا إليه صوتوا أيضاً للديمقراطي المرشح لمجلس الشيوخ. بفضل هؤلاء المصوتين لنادر أصبحت ماريا كانتويل السيناتور الجديد لواشنطن بـ 2,229 صوتاً فقط. وإذا كنتم ستلومون نادر لأخذه الأصوات من غور في فلوريدا، فعليكم أن تشكروه لجلبه آلاف الناخبين الجدد إلى صناديق الاقتراع مسببين بذلك فوز كانتويل – وسمحوا للديمقراطيين بتحقيق التعادل عنوة 50–50 في مجلس الشيوخ. بعد ذلك، وعندما حصل التعادل، شعر أحد أعضاء مجلس الشيوخ من فيرمونت فجأة بأن لديه الكثير من النفوذ – واستخدمه لتسليم مجلس الشيوخ للديمقراطيين بتركه الحزب الجمهوري. لم يكن ليحدث أي شيء من هذا بدون نادر.

كان بإمكاني تذكير مراسلي بأن الأشخاص الوحيدين المسؤولين عن خسارة غور للانتخاب الذي فاز به بجدارة هم القضاء الخمسة في المحكمة العليا الذين لم يسمحوا بعد كل الأصوات. وكان بإمكاني الإشارة إلى أن غور لم يكن ليجد نفسه في الورطة التي علق فيها لو فاز في ولايته هو، أو ولاية موطن كلينتون، أو فاز، بشكل حاسم، في واحدة فقط من المناظرات الثلاث. غور لم يفعل أياً من ذلك، وهذا ما وضعه في الورطة التي وجد نفسه عالقاً فيها. وغور

لم يلقِ اللوم على رالف نادر، بل ألقاه على سحّاب بنطلون كلينتون.

كان بإمكاني الرد على مراسلي الودود وإخباره كل ذلك، ولكنني لم أفعل. بدلاً من ذلك أود أن أخبره (وأنتم) قصة لم أخبرها إلا للقليل من الأصدقاء المقربين – قصة عن أربعة عشر ساعة في الجحيم، في مكان يدعى تالاهاسي.

أنا أتجنب فلوريدا، فهي لزجة ورطبة جداً لدرجة أنك ستضطر إلى ملء لفافة كبيرة من المحارم الورقية فقط كي تبقى جافاً. الولاية مليئة بالبق والبعوض. لقد اختطفوا فتية كوبيين صغاراً ولا يريدون إرجاعهم إلى آبائهم. وهناك عالم والت ديزني. وآل كينيدي يركضون بثيابهم الداخلية النظيفة في ويست بالم بيتش. بدون ذكر الأعاصير، وبيب ريبوزو، وتيد بندي، وأنيتا براينت، والمستنقعات، والأسلحة الرخيصة، وصحيفة ناشيونال إنكوايرر. أنا أكره فلوريدا.

ومع ذلك كان هناك شيء ما يدفعني للذهاب إلى هناك مع اقتراب موعد انتخاب تشرين الثاني. ربما كان شيئاً أكلته، وربما لا.

لقد طُلب مني سابقاً المجيء والتكلم إلى هيئة الطلاب في جامعة ولاية فلوريدا. في البداية قلت نعم، ولكن لاحقاً اضطررت إلى إلغاء الموعد بسبب برنامج التصوير في فيلمي.

بعد ذلك، فشل آل غور في الفوز بالمناظرة الثالثة والأخيرة مع جورج دبليو بوش. في المكان الذي جئت منه يُقال بأن الذكي هو من يربح المناظرة، والغبي هو من يخسرها. إنها بهذه البساطة. ولكن ليس هذه المرة. لم أستطيع أن أصدق عيناي. كان واضحاً بأن آل غور يفعل ما بوسعه لكي يخسر الانتخاب.

اتصلت ثانية بجامعة ولاية فلوريدا في تالاهاسي لأرى إذا كنت مازلت مرحّبا بي، فكانوا أكثر من سعداء باستضافتي. حُدّد لي موعد لمخاطبة الطلاب في الأسبوع التالي، وكان الوقت حينئذ قبل أسبوعين من يوم الانتخاب. كما سأجري مؤتمراً صحافياً مع وسائل الإعلام في الولاية وأدلي بتصريح.

كان عندي شيء لأقوله بخصوص رالف نادر.

علاقتي مع رالف نادر علاقة معقدة ومتشابكة. لقد عملت مرة في مكتبه في الثمانينيات. لقد منحني عملاً عندما كنت عاطلاً، وذلك التصرف الكريم شيء صممت على ألا أنساه أبداً.

من طاولتي الصغيرة المجاورة لمكتب رالف في الطابق الثاني من المبنى الذي بناه أندرو كارنيجي، نشرت رسالة إخبارية أطلقت عليها في معظم الأحيان أسبوعية مور. كما بدأت بتصوير ما أصبح فيلم روجر وأنا.

كل شيء كان يسير على ما يرام إلى اليوم الذي وقّعت فيه عقداً مع دار نشر من أجل كتابة كتاب عن شركة جنرال موتورز.

"ما الذي يجعلك مؤهلاً لكتابة كتاب عن جنرال موتورز؟" سألني. كما أراد أيضاً أن يعرف بأي حق كنت أقوم بذلك الفيلم، ولماذا كنت أقضي من الوقت في فلينت أكثر مما كنت أفعل في العاصمة، ولماذا لم تكن تُنشر تلك الرسالة الإخبارية بشكل دوري؟

وأخيراً حدق فيّ وهز رأسه بأسف. "حسناً، يمكنك إخراج مايك من فلينت،" قال بسخرية، "ولكن لا يمكنك إخراج فلينت من مايك." ثم طلب مني أن أحزم أشيائي وأغادر.

لقد سُحقت. ثم عثرت على مكان لتحرير فيلمي وتمكنت من الاستمرار. وعندما ظهر فيلمي، وكنوع من إبداء التأييد وعدم الشعور بالضغينة، اتصلت برالف وعرضت عليه إعطاء مشاريعه عائدات عرضي الأول في واشنطن، فرفض العرض. بل وهاجمني هو وصديق له في صحيفة نيويورك تايمز. لقد سُحقت ثانية. بعد ضربتين ساحقتين فهمت الرسالة، ولم أتكلم معه لثماني سنوات لاحقة.

ومع أواخر التسعينيات، تصوَّرت بأنه قد حان الوقت للاتصال به. (لابد أنني لم أحصل على ما يكفيني من الرفض في حياتي.) دعوته هو ومساعديه

لحضور عرض افتتاح أحدث فيلم لي، "الشخص الهام". قبلوا الدعوة. وقفت في مؤخرة المسرح وراقبت رالف وهو يستمتع بوقته ويضحك من كل قلبه. بعد ذلك جعلته يقف ويحني رأسه للتحية، الأمر الذي قوبل بتصفيق حماسي مرتفع. وهو في طريقه للخروج عانقته. رالف لم يكن يحب العناق – في الواقع، وأنا كذلك. أعتقد بأنني شاهدت ذلك في فيلم ما وكان يبدو جيداً.

بعد سنتين، بينما كنت جالساً على الشرفة في ميتشيغان أفكر في أموري الخاصة وإذ رالف يتصل بي ويسألني إذا كنت أصادق عليه ليكون رئيساً للولايات المتحدة. في الواقع أنا أحاول ألا أصادق على السياسيين، لأنهم – حسناً، لنفس السبب الذي يمنعك أنت أيضاً– كلهم مبتذلون، وطبيعتهم سيئة، ولا يقولون جملتين بدون تمرير كذبة بينهما. رالف لم يكن واحداً منهم، ما هو إلا عبقري نزق. بكلمات أخرى، إنه لا يصلح للرئاسة. في العام 1996، وضع اسمه على بطاقة الاقتراع ولكنه عملياً لم يقم بأي حملة. وسبب ذلك خيبة أمل كبيرة لأولئك الذين ساندوه. هل كان جاداً هذه المرة؟ نعم، لقد أخبرني، هذه المرة إنه "شيء حقيقي." كان سيجمع كمية كبيرة من النقود، وكان ملتزماً بزيارة الولايات الخمسين كلها. وكان سيعد هيئة من المساعدين بدوام كامل. يالهم من محظوظين!

كنت أود لو أقطع المكالمة وأعود لما كنت عليه من عدم القيام بشيء. لم أكن أريد التورط في كل المشاكل التي كنت أعرف بأنها ستنتج عن مثل هذا الترشيح. ولكن ماذا كنت أملك من خيارات؟ هل أدعي بأن البلد كانت في حالة ممتازة؟ هل أضع ثقتي في واحد من مرشحي الحزب الرئيسي الذين كانوا يُموّلون من قبل نفس الأشخاص الذين أنفقت كل وقتي في محاربتهم وتصويرهم في أفلامي؟ هل أجلس في ميتشيغان وأطعم السناجب؟

لم أستطع أن أخذل رالف، فهو لم يخذلني منذ زمن طويل، ولم يخذل البلد أبداً. وإذا لم يُسمَع صوته في هذا الانتخاب، فلن تُذكر أبداً أي من المواضيع التي نهتم بها، دع أمر مناقشتها جانباً.

قبل قولي نعم، قررت أن أرسل رسالة إلى آل غور، مانحاً إياه فرصة ليوضح نفسه ويخبرني لماذا ينبغي عليّ حتى التفكير في التصويت له، نظراً لسجله مع كلينتون.

رد عليّ برسالة من أربع صفحات، من النوع التي يكون فيها المقطع الأول والأخر مقطعين شخصيين والبقية صادرة عن الكمبيوتر. شكرني لرسالتي "الاستفزازية،" ثم تابع تكراره لمواقفه، التي كنت أعرفها سلفاً. وعلى الرغم من أنني أبقيت ذهني منفتحاً، إلا أن كل ما قاله لم يقنعني بأننا سنشهد أي اختلاف منه إذا ما نجح في الوصول إلى المكتب البيضوي. اتصلت برالف وأخبرته بأنني إلى جانبه، طالما لست مضطراً إلى ارتداء الطقم الرمادي، أو أكل الحمّص، أو أنتزع أحشاء حوت ما.

كانت حملة رالف توزع مقالة بقلم مولي آيفينز تقدم نصيحة إلى أولئك الذين يودون التصويت لصالح رالف ولكنهم لا يريدون وضع جورج دبليو بوش في البيت الأبيض. اقترحت آيفينز بأنهم إذا كانوا يعيشون في ولاية يُتوقّع أن يفوز فيها غور أو بوش بفارق كبير، فعليهم أن يرسلوا صوتهم في رسالة ويسلمونها إلى رالف نادر. ولكن إذا كانوا يعيشون في ولاية الانتخاب فيها متقارب، فعليهم أن يصوتوا إلى غور لكي يعيقوا بوش. بالنسبة لي، أنا أصوت عادة لمن أعتقد بأنه الشخص الأفضل، كما تعلمت في علم التربية المدنية في الصف السابع – ولكني لم أكن أعلم شيئاً؟

بصورة شخصية أعتقد بأن معظم الناس في معسكر نادر كانوا يفكرون بما كنت أفكر أنا – ما أن يتمكن غور من مسح الأرض ببوش في مناظرة ما، فالانتخاب سيُحسَم. لذا فكرنا بأن نعطي ملايين الأصوات لنادر لكي نظهر للرئيس الجديد – آل غور – بأن هناك عدد كبير من الأميركيين لا يريدونه أن يدفع الحزب الديمقراطي إلى المزيد من اليمين. كنا نعتقد بأن إعطاء تصويت قوي لنادر قد يكبح غور ووعده بالقيام بأشياء مثل إنفاق المزيد على الجيش

وأقل على الوظائف.

نعم، لقد كنا عباقرة حقيقيين.

ثم أتت المناظرات، التي أُقصي عنها رالف، الأمر الذي ترك الأميركيين مع ثلاثة عروض مدة كل منها تسعين دقيقة اتفق فيها غور وبوش أكثر مما اختلفا. في المناظرة الثانية، قال الاثنان بأنهما اتفقا مع بعضهما البعض على سبعة وثلاثين مسألة. كان مشاهدة ذلك أمراً مذهلاً.

أفسد غور كل شيء. لقد فشل في كشف النقاب عن جهل وغباء بوش. فشل في الإظهار إلى الأمة بأن هناك اختلافاً جوهرياً بينهما. كان يملك ثلاث فرص للقضاء على ابن بوش المتكلّف، ولكنه لم يتمكن من فعل ذلك! وكانت الرسالة إلى الأمة تقول بأنه إذا استسلم مع بوش الصغير، فماذا سيحدث عندما يجتمع في غرفة واحدة مع الروس؟ أو مع الكنديين؟

لقد صُدمت بالمعاني التي تضمنتها تلك المناظرات، فقد بدأ الأمر يبدو وكأن غور سيخسر. إنه سيخسر ولايته، مسقط رأسه، وسيخسر ولاية كلينتون أيضاً. وهو لم يستطع إقناع العميد الديمقراطي لمجلس الشيوخ، روبيرت بيرد من فيرجينيا الغربية، بالمصادقة عليه حتى قبل خمسة أيام من الانتخاب (وبذلك سلّم فيرجينيا الغربية، الحصن الديمقراطي التقليدي، إلى بوش). أي واحدة من تلك الولايات كانت ستعطي غور كل الأصوات التي كان يحتاجها للفوز بالبيت الأبيض.

كان غور ينفجر ضمنياً – وكان ناخبو رالف في كل مكان كالفئران يقفزون من سفينة غارقة (فئران لطيفة، مع ذلك – النوع الأزغب المحبوب). شهد رالف أعداد ناخبيه تنخفض إلى النصف، وكان يبدو بأنه لن يحصل على نسبة الـ 5 بالمائة اللازمة لتلقي المخصصات الفدرالية في الانتخاب القادم.

جن جنون المركز الرئيسي لنادر، واتُخذ قرار بإهمال خطة آيفينز والمضي في جولة ثانية – لولايات قد يفوز فيها غور أو يخسر بنسبة ضئيلة، ووجود نادر سيحدث كل الفرق. (في بعض هذه الولايات بلغت أعداد ناخبي

نادر 12 بالمائة.) كانت استراتيجية جريئة وصريحة تقول للديمقراطيين، "لقد تخليتم عن قاعدتكم. أنتم لم تعودوا ديمقراطيين كما كنتم. وقد حان الوقت لتتعلموا درساً." ليس هناك أجمل من لسعة سوط جيدة من مدير مدرسة كرالف نادر!

كلنا نعلم بأن الشيء الوحيد الذي يخشاه السياسيون هو إزالتهم من ذلك المكتب الدافئ المريح الجميل مع المتمرنات وحساب المصاريف. (إضافة إلى التفكير في اضطرارهم للحصول على عمل حقيقي.) إذا لم تلوحوا لهم بذلك دائماً، فلن يحسنوا التصرف أبداً، ولن يستمعوا إلينا، ولن ينهضوا من أسرتهم باكراً لكي يأتوا إلى العمل. كان رالف نادر يمثل أمل البلاد الوحيد في دفع غور للقيام بما هو صائب.

الكل كان يعرف بأن هذه الجولة السياسية في الولايات المتأرجحة قد تكلف غور الانتخاب وتضع بوش في البيت الأبيض. ولكن، عندما ترى الإدارة التي انتخبتها تنحاز إلى جانب الجمهوريين أكثر من انحيازها إلى جانب الديمقراطيين التقليديين؛ وعندما تراقب هؤلاء الديمقراطيين يزيدون من صعوبة الحياة على الفقراء ويمهدون الطريق أمام الأغنياء للانغماس في عربدتهم كما لم يعرف التاريخ من قبل؛ وعندما تفقد مدينتي من الوظائف في شركة جنرال موتورز خلال السنوات الثماني لعهد كلينتون/غور أكثر مما فقدت خلال السنوات الاثنتا عشرة لفترة ريغان/بوش، فلن يكون أمامك سوى خيار واحد: هل تريد أن تُظلَم بواسطة شخص يقول لك بأنه سيظلمك، أم تُظلم بواسطة شخص يكذب عليك، ثم يظلمك؟

أنا أعرف الكثير من الناس الطيبين لن يجدون سبيلاً آخر سوى التصويت للديمقراطيين، فهم سيفضلون أن يقال لهم "أنا أحبكم" ثم يُخدَعون من أن ينظرون إلى وجه الوحش فوق رؤوسهم للسنوات الأربع القادمة. أعرف هذا الشعور. أخبرني بأنك تحبني ثم افعل بي ما يحلو لك – بما فيها التهجم عليّ في

نيويورك تايمز!

ولكن هؤلاء الديمقراطيين المكرهين الذين صوتوا لغور كانوا في الحقيقة حلفاءنا. كانوا يريدون الكثير من الأشياء نفسها التي كنا نريدها نحن، ولكن سلكوا طريقاً آخر وحسب. وكان موقفي، في حال فاز بوش، يتمثل في أننا سنضطر للعمل مع هؤلاء الليبراليين ذوي النوايا الحسنة من أجل إنقاذ العالم من الخسيس بوش، فليس من الصواب أن نقول لهم اذهبوا إلى الجحيم.

لذا، قلت إلى إداريي نادر: هاي، لا يوجد سبب يدعونا لإثارة غضب هؤلاء الناس – أصدقائنا، أصدقائنا المحتملين. إن معركتنا هي مع أولئك الذين سرقوا اسم "ديمقراطي" – مأجورو الحزب، عناصر الضغط الذين يعملون لمصالحهم الخاصة فقط، الخبثاء الذين لم يتمكنوا من الحصول على ما يريدون في الحزب الجمهوري لأنهم لا يملكون الشجاعة التي يتطلبها تدمير غابة وطنية، أو إغلاق الآلاف من المكاتب، أو سلب وجبات الإفطار المجانية من الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية في قلب المدينة. فإذا كنت لا تملك هذه الشجاعة، اعتد على الأعمال في الحزب الديمقراطي.

لم تكن معركتنا مع الناخبين الذين مازالوا يشعرون ببعض الحاجة الملحة للارتباط بما يُسمى "الحزب الديمقراطي." في الواقع، إن وجود ملايين الأميركيين الذين مازالوا يأملون بأن الحزب الديمقراطي سيمثل مصالحهم بشكل أفضل مما سيمثلها الجمهوريون ما هو إلا فشلنا في إظهار إلى أي حد هذان الحزبان متشابهان في الحقيقة – وكيف سيبيعهم الديمقراطيون تقريباً دائماً.

طلبت مني حملة نادر أن أرافقهم في تلك الجولة على الولايات المتأرجحة في الأسابيع الأخيرة التي سبقت الانتخاب، فرفضت. أخبرتهم بأنني أفضل أن أبذل قصارى جهدي في تلك الولايات التي قد يحصل فيها رالف على الكثير من الأصوات بدون أن يكون مسؤولاً عن فوز بوش بالانتخاب. لم لا نصرف طاقاتنا في نيويورك وتكساس حيث النتيجة معروفة بوضوح؟ أخبروا الناس في

www.liilas.com هدية لمشرفينا الأحبة

تلك الولايات بأن لا يضيّعوا أصواتهم على غور، فلن يحصل على أي نتيجة. ولكنهم سيبعثون برسالة قوية إذا ما تمكن رالف من الحصول على 10 بالمائة من مجموع الأصوات.

لم تكن هذه هي الاستراتيجية التي اتُبعت. لقد احترموا قراري وتمنوا لي الخير.

نزلت في تالاهاسي في بعض الظهر من يوم 23 تشرين الأول، 2000. جاء طالب من ولاية فلوريدا، وأخاه وزوجة أخيه ليقلوني من المطار، وبينما كنا نمشي باتجاه السيارة، بدؤوا يسألونني عن "الدعوة" التي سمعوا بأنني قدمتها إلى جيب بوش.

"الكل يتحدث عنها!" قالوا لي.

"أي دعوة تتحدثون عنها؟" سألتهم.

"تلك التي وجهتها في الصحيفة البارحة."

أعطوني نسخة من صحيفة تالاهاسي ديموكرات ليوم الأحد، الصحيفة اليومية في المدينة، وهناك على واجهة صفحة إحدى الأقسام كانت مقابلة أجريتها مع مراسل على الهاتف في الأسبوع الماضي من نيويورك. تصدرت المقابلة صورة كبيرة لي واقتباس مني يتحدى الحاكم بالنزول ومواجهتي على المنصة في تلك الليلة. من السهل رمي القفاز وأنت على بعد ألف ميل، أليس كذلك؟ بالطبع إنه شيء آخر تماماً أن تجد نفسك فجأة في ولاية مليئة بالناس الذين لا يروقون لهم كثيراً الشماليين المتحذلقين. ولكن، لم يبتعد تفكيري إلى ذلك الحد.

وصلت إلى الجامعة وبدأت المؤتمر الصحفي. كنت عصبياً. لم أكن أريد أي سوء فهم لما كنت سأقوله.

أخبرت وسائل الإعلام الموجودة بأن بوش يجب أن يوقف. ناشدت الناس

في فلوريدا بأنه إذا كان غور هو رجلهم المطلوب، فعليهم أن يصوتوا له بكل الوسائل الممكنة. ولكن إذا كنتم ستنتخبون نادر، فأنا أريدكم أن تفكروا ملياً وبشكل جدي في تصويتكم. شعرت بأن الرهانات كانت مختلفة في فلوريدا. كنت ألمح إلى أنكم إذا كنتم تريدون إيقاف بوش فعليكم التصويت لغور، وأنا سأتفهم وأحترم قراركم.

كان المراسلون مندهشين قليلاً. هل كنت أحوّل صوتي لصالح غور؟ أجبت بلا، أنا أصوّت لنادر. بالطبع، فذلك سهل عليّ قوله – أنا أعيش في ولاية سيفوز بها غور بشكل ساحق. ولكن إذا كنت تعيش في فلوريدا، فالأمر مختلف.

انتشرت القصة عبر الولاية بأن أحد "الأنصار المشاهير" لرالف نادر أعطى الضوء الأخضر للتصويت لغور في فلوريدا إذا كان ذلك ما يعتقد المنتخبون بأنه عين الصواب.

عندما انتهى المؤتمر الصحفي، أسرعت إلى الحمام وتقيأت. وكان الوقت قد حان للصعود على المنصة في قاعة الاجتماع التي غصت بحشد فائض يقدر بألفي شخص. طرقت المنظّمة على الباب وصرخت، "علينا أن نبدأ."

"امنحيني فقط بضع دقائق،" أجبت، وازداد شعوري بالغثيان. طرقة أخرى على الباب. "أريهم جزءاً من برنامجي التلفزيوني،" قلت لها. "سأكون على ما يرام في دقيقة."

لم أعرف إذا كنت أشعر بالغثيان بسبب الضغط الفظيع الذي كنت أشعر به أو لأنني أكلت ساندويتش برغر (النوع المفضل في تالاهاسي) وأنا في طريقي إلى المدينة.

صعدت على المنصة متأخراً عشرين دقيقة. كان الخضر يجلسون في الأمام وفي يدهم لافتات تحمل صور نادر. أخبرتهم، وبقية الحضور، عليكم أن تستخدموا أفضل محاكمة لديكم – اتبعوا ضمائركم. اعلموا بأنني لن أسيء في حكمي عليكم إذا كنتم تشعرون بأن عليكم التصويت لغور، فأنا سأصوّت لنادر

على أي حال. ثم تابعت قولي مستعرضاً جملة الأسباب التي تجعلني أحكّم الضمير في هذه المسألة (أنا لا أستطيع التصويت أبداً لمن يؤمن بإعدام كائنات بشرية أخرى، من يؤمن بأن علينا أن نستمر في إلقاء القنابل أسبوعياً على المدنيين في بلدان أخرى، من يعتقد بأن الحد الأدنى للأجر يجب أن يرتفع دولاراً واحداً فقط في الساعة، من يريد توقيع اتفاقيات تجارية إضافية مثل اتفاقية التجارة الحرة في الأميركية الشمالية (NAFTA) وذلك حتى يفقد المزيد من الأميركيين وظائفهم).

أخبرت الحشد بأنني لا أستطيع أن أمهّد الطريق لغور، الرجل الذي أراد إنفاق الأموال على الجيش أكثر مما فعل بوش، الرجل الذي لن يسعى لحصول كل مواطنينا على الرعاية الصحية المضمونة فوراً، الرجل الذي كان يعتقد بأن جانيت رينو كانت مخطئة بإعادة إيليان غونزاليس الصغير إلى كوبا. هذا هو آل غور.

ولكن، قلت لهم، أنا أتفهم مشكلتكم الفريدة هنا في فلوريدا. لذا لا تصغوا إلي، وافعلوا ما تعتقدون أنه الأفضل، وسنوضح كلنا الأمور لاحقاً. وليبارك الرب أولاد نادر الموجودين في المقدمة هنا لشجاعتهم وإخلاصهم، شيء افتقده العديد من آبائهم الذين يبلغون الستينيات من أعمارهم الآن.

تلا الخطاب الأسئلة والأجوبة، ومن ثم نقاش في اتحاد الطلاب مع مائتي طالب وناشطين اجتماعيين (بعضهم قاد سيارته مسافة ثلاث ساعات ليصل إلى هناك)، كان حواراً فعالاً بحثنا فيه كيفية التعامل مع الطوفان القادم. عندما انتهينا كانت الساعة الواحدة والنصف صباحاً، بعد خمس ساعات ونصف الساعة من مشكلتي مع البرغر. غادرت وأنا أشعر بأن عاصفة على وشك أن تهب هنا في فلوريدا، وقد يكون من الحكمة أن آخذ احتياطاتي.

أقلت إلى الفندق، وهو مكان صغير جميل يقع فوق مجمع تسوق للمشاة يؤدي إلى مبنى البرلمان في الولاية. شغّلت التلفزيون وتابعت أخبار الحادية

عشر. "تصير كبير لحملة نادر يقول بأن يجب أن يوقف، بأي طريقة كانت،" قال المعلق. أطفأت الأنوار وغفوت.

استيقظت في الساعة السادسة والنصف صباحاً لكي ألحق بطائرتي المغادرة إلى مدينتي، وكان يوجد بانتظاري في الأسفل طالب لكي يقلني إلى المطار. وبينما كنت أنهي أمور سفري عند الطاولة، وإذا بالشاب يصيح، "لقد مر بجانبنا الحاكم بوش!"

"أوقفه!" صرخت – بدون تفكير. (ربما كانت ردة فعل – سواء كنت في تكساس أو في فلوريدا، عندما أسمع كلمتي الحاكم بوش، فإنني أرد بشكل غريزي "أوقفه!") خرج الشاب ونادى، "أيها الحاكم بوش، هناك شخص يود مقابلتك!" وفي تلك الأثناء كنت قد خرجت من الباب. كان الحاكم جيب بوش وحراسه الشخصيون في طريقهم إلى العمل سيراً على الأقدام فوق مجمع التسوق هذا، الذي بدا كزقاق مظلم في الدقائق الأخيرة من بزوغ الفجر. وكانت تسير خلفه على مهل سيارة SUV سوداء تحمل المزيد من رجال الأمن في ذلك الشارع الخالي من السيارات.

استدار بوش ليرى من الذي يسأل عنه، فرآني واقفاً هناك. أظهر تلك الابتسامة المتكلفة الخاصة بآل بوش، وعاد أدراجه نحوي. اتجهت بدوري نحوه، واتخذ الحراس وضعية الاستعداد.

"سيد مور،" قال بوش، وهو يهز برأسه كمن أكل الطبق ذاته لليوم الثالث على التوالي. مددت يدي وتلقفها بوش.

"أردت فقط أن أصافحك وأقول مرحباً، أيها الحاكم،" قلت بتهذيب. شدّ على يدي بقوة، غير راغب بتركها حتى يقول ما يريد قوله. وكانت عيناه كالإبر مثبتة في عيني. اقترب الحراس أكثر.

"إذاً – هل دفعوا لك ما يكفي لكي تأتي إلى هنا؟" رد عليّ بحدة، وكان المعنى واضحاً: "أيها النذل، مور." جف حلقي، وكان قلبي يدق بشدة لدرجة

أنني خشيت من أن يسمعه.

"إنه دائماً لا يكفي، أيها الحاكم، كما تعلم،" أجبت بأول كلمات استطعت تجمعيها. لماذا يهتم بمن دفع لي أو كم؟ ثم لمعت بذهني فجأة – إنه هو من دفع! جامعة ولاية فلوريدا! لا عجب أنه كان مستاء، فهو قد نظم زيارتي لكي أخبر الآلاف من الفلوريديين – وخصوصاً أنصار نادر – بأن هزيمة بوش هي الشيء الأهم. وهذا ما لم يكن يريد معسكر بوش أن يفكر فيه أنصار نادر.

هل رأى الأخبار في الليلة السابقة؟ حدق بوش فيّ وسحب يده.

"هل كيفين معك؟" سألني فجأة. هه؟ كيفين؟ هل كان هذا الاسم رمزاً لتنبيه الحراس بأن قد حان الوقت لكسر رقبتي؟ ثم تذكرت فجأة، إنه يسأل عن ابن خالته كيفين رافرتي، صانع الأفلام الذي ساعدني في فيلم روجر وأنا. لم أعمل مع كيفين منذ اثني عشرة سنة. لماذا كان يسألني عنه؟ لم أعرف ماذا أقول.

"أوه، لا، إنه ليس هنا،" قلت متلعثماً.

"حسناً، أوصل له تحياتي الحارة،" قال.

"بالتأكيد،" أجبت.

"راحل، أليس كذلك؟" سألني.

"نعم،" أجبته. الآن فوراً."

"جيد."

أظهر تلك الابتسامة المتكلفة ثانية، واستدار ثم مضى في طريقه. فتحت سيارة SUV السوداء نافذتها، ورمقني الرجال في داخلها بنظرة فاحصة، ثم مرت بجانبي ورحلت. كانت أولى أنوار النهار قد بدأت تشرق من فوق قبة مبنى البرلمان. ولم أرى ذلك المكان ثانية حتى شاهدته في التلفزيون بعد أسبوعين.

في كل مرة أصادف فيها أحد فتيان بوش تكون تجربة موهنة محبطة.

282

لسبب ما إنهم يبدون دائماً بأن لهم اليد العليا. عندما صادفت جورج دبليو بوش في ولاية آيوا وحاولت أن أسأله سؤالاً من أجل برنامجي، صرخ في وجهي وقال "اذهب وجد عملاً حقيقياً." وزمجر الحشد بأكمله في ذلك المكان بالضحك. لم أعرف ماذا أقول – لقد كان محقاً! فهذا ليس عملاً حقيقياً. ولم أرجع.

وفي اليوم الذي التقيت فيه نيل بوش، المتآمر غير المتهم في فضيحة سيلفيرادو سافينغس آند لون، كنت في رواق شركة جنرال موتورز في ديترويت أقوم بمقابلة إذاعية. دخل من الباب مع الرجال الآسيويين الأربعة، "أصحاب مصارف من تايوان،" كما قال لي فيما بعد. عندما شاهدني انتابه الذهول، فقد كنت آخر شخص يتوقع رؤيته في شركة جنرال موتورز.

"أين كاميرتك؟" سألني وعيناه تتلفتان في أرجاء المكان.

"أوه، أنا لا أملك كاميرا اليوم،" أجبت بارتباك وأسف. أشرقت ابتسامة كبيرة على وجهه.

"أوه، مايكي لم يجلب كاميرته؟" مد يده وقرص وجنتي، ثم مشى وهو يضحك ويشرح للرجال الصينيين من كنت أنا وكيف وضع واحدة علي.

الشخص الوحيد من عائلة بوش الذي استطعت الانتقاص منه، وأقول بكل أسف، كانت الفتاة الوحيدة عندهم – أختهم، دوروثي. إنها لطيفة؛ إنها أم. وهي لم تكن تعرف ماذا تقول عندما سألتها من بين أخويها كانت تعتقد بأنه سيفوز بسباق "قتل المزيد من المحكومين بالإعدام،" جورج أم جيب.

لقد كانت مستاءة بشكل واضح. في الحقيقة، لقد بدت مجروحة تماماً من التلميح إلى أن أخويها قاتلان متوحشان. بدت وكأنها على وشك البكاء. لقد شعرت بأنني غبي أبله. حان الوقت للذهاب، مايك، أخيراً أوقعت بواحد من آل بوش.

بالتأكيد، يوجد أخ آخر لآل بوش، مارفين – رغم أنك لن تعرف ذلك من وسائل الإعلام. لم أقابل مارفين أبداً، وأنت لم تقابل مارفين أبداً. لم يقابل أحد

مارفين أبداً. الله وحده هو الذي يعلم أين يكون أو ماذا يفعل الآن – عدا التخطيط لوضع واحدة عليّ.

بعد اللقاء العابر البارد مع جيب، ركبت طائرتي المتجهة إلى لوس أنجلوس، غير قادر على انتزاع تلك الحادثة من رأسي. بعد ذلك، وأنا أحاول فتح كيس الفول السوداني المشوي، ضربتني صاعقة من نوع ما. تناولت واحداً من تلك الهواتف الغالية واتصلت برالف. تكلمت مع الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يديرون حملته، مدركاً بأن هناك فرصة في أن يكون الرجل نفسه يستمع أيضاً.

"يا شباب،" قلت. "هل خطر ببالكم أن أقوى رجل في أميركا الآن هو... رالف نادر؟"

صمت على الجانب الآخر من الخط.

"أنا جاد، فالخمسة بالمائة الخاصة به هي التي ستحدث الفرق. بوش سيحتاج، أكثر من أي شيء آخر في هذا الأسبوع، إلى رالف لكي يبلي بلاء حسناً من أجل أن يربح هو. وغور سيحتاج إلى أن يخرج رالف من طريقه كي يربح. لو كان رالف غير موجود في السباق، فإن غور سيربح. هناك رجل واحد فقط يملك زمام الأمور هنا، مرشح واحد فقط يملك الرأي الفصل اليوم، وهذا الرجل هو رالف نادر."

ثم تابعت قائلاً: "ولكن بعد السابع من تشرين الثاني، ستزول هذه السلطة. ولن تكون هذه السلطة مفيدة إلا لأسبوع واحد أو أكثر بقليل، عندما يرى بوش وغور خططهما متعلقة بأداء رجل واحد هو رالف نادر. لم لا نستخدم هذا الوضع للقيام بشيء مفيد؟"

"ماذا يدور بذهنك؟" سأل أحدهم.

"رالف يمسك مستقبل غور بيديه. ماذا لو اتصل بغور وقال له، "هاي، هل

تريد أن تكون رئيساً، إذاً هذا ما يتوجب عليك فعله قبل ظهر يوم غد...،' ثم يعطيه غور قائمة ليختار منها – عناية صحية عالمية، وضع حد للحرب الزائفة على المخدرات، لا حسومات على الضرائب للأثرياء– أي شيء. رالف لا يطلب شيئاً لنفسه – لا موقع في مجلس الوزراء ولا تمويل لمشاريعه. إنه فقط يطلب من غور القيام بما هو صائب، وإذا تعهد غور علناً بالقيام بذلك، يظهر رالف على التلفزيون ويقول، "لقد حققنا غايتنا. لقد ساعدما آل غور على رؤية الحاجة إلى كذا، وكذا، وكذا. وهو أخبر الأمة بأنه ملتزم بالقيام بذلك. لذا، الثلاثاء القادم، إذا كنتم تعيشون في واحدة من تلك الولايات المتأرجحة وكنتم تؤيدونني، فأنا أريد منكم أن تصوتوا لغور. أما البقية منكم، في الولايات الأربعين الباقية، فأنا مازلت بحاجة إلى أصواتكم لكي نبني حزباً ثالثاً قابلاً للحياة من أجل إلزام غور بوعده."

"بكلمات أخرى، أعلنوا النصر! ففي النهاية، إن السبب وراء خوض رالف للانتخاب في المقام الأول – دفع برنامج العمل السياسي أكثر للعمل وفق أسلوبنا نحن– سيكون قد تحقق.

"ما رأيك؟"

"لا يمكننا تحقيق الخمسة بالمائة ما لم نحصل على كل صوت يمكننا الحصول عليه في كل ولاية،" أجاب مدير الحملة. "لا يمكننا التخلي عن صوت واحد في هذه المرحلة."

"ولكن في اليوم الذي تحصل فيها على الخمسة بالمائة،" أجبت، "سيكون ذلك هو كل ما تحصل عليه – خمسة بالمائة من الأصوات، وصفر بالمائة من السلطة! ولكن اليوم، مع ذلك، أنت، – نحن – نملك السلطة كلها. أحد المرشحين يحتاج لدخول رالف في السباق، والآخر يحتاج لخروجه منه. هذا الانتخاب سيتحدد مصيره بنقطة أو نقطتين في المائة، ورالف يملك من اثنين إلى خمسة بالمائة. اليوم أنت ورالف ستحددان من سيكون الرئيس المقبل! ولن

تحصلا على هذه السلطة مرة أخرى طوال عمركما."

زميل قديم لنادر كان على الخط يبدو بأنه فهم ما كنت أقوله. "ولكنك لن تجعل رالف يتراجع الآن،" قال. "سيبدو الأمر وكأنه استسلم عندما أصبح الوضع صعباً. علاوة على ذلك، بعد أن عامله الديمقراطيون بمثل تلك الدناءة، لن يمكنك إقناعه بمساعدتهم في أي شيء."

"إضافة إلى ذلك،" تابع قائلاً، "ما الذي يجعلك تعتقد بأن غور سيفي بوعده؟ هؤلاء الأشخاص لا يفون بوعودهم."

"ماذا عن كل تلك الآلاف من الشباب في الجامعات الذين عملوا بكل جد؟" قاطعنا مدير الحملة. "ماذا عن عشرات الآلاف التي جاءت إلى المهرجانات التي خطبتما فيها أنت ورالف؟ ماذا عنهم؟ إنها أول تجربة لهم بالسياسة الانتخابية – والمرشح الذي تخلوا عن كل شيء من أجله يستسلم قبل النهاية بقليل. لا يمكنك أن تفعل ذلك بهم. إنك ستحولهم بفعلك هذا إلى بالغين ساخرين لا يأبهون للاشتراك في أي انتخاب مرة أخرى."

وكان ذلك منطقياً تماماً، فآخر شيء أريده هو إضافة المزيد من الساخرين الذين لا يكترثون للتصويت على الإطلاق.

"ولكن،" اقترحت، "أليس هناك من طريقة تمكننا من القيام بذلك بحيث يُقبل على أنه انتصار للخضر، وانتصار لرالف ولكل شخص عمل من أجله، لأننا بحمل غور على تغيير مواقفه، سنكون قد نجحنا بطريقة لم نكن نعتقدها ممكنة أبداً؟ كما تعلم، يشبه الأمر ذلك الحزب شديد التطرف في إسرائيل الذي لا يملك سوى خمسة مقاعد في الكنيست، ولكن أصواتهم الخمسة تلك دائماً يحتاجونها لتشكيل أغلبية في الحكومة. وأي حزب يمنحهم أغلب ما يريدونه من برنامجهم يحصل على أصواتهم. إذا اتحدوا مع الليبراليين لتشكيل الحكومة، فإن أنصارهم من المتشددين لن يغضبوا منهم ويتهمونهم ببيعهم. بل على العكس من ذلك تماماً – سيُعاملون كأبطال لأنهم، على الرغم من أنهم ليسو سوى خمسة أصوات، إلا

أنهم يفرضون ما يريدون في كل مرة."

واو، كان ذلك عميقاً، قلت لنفسي. أعلّم علم السياسة من على ارتفاع 30,000 قدم!

"مايك،" أجابني صوت على الهاتف. "هل أنت بخير؟ هذا ليس الكنيست الإسرائيلي، أنت في الولايات المتحدة، وهذه الطريقة لا تنجح هنا. سيُصلَب رالف إذا ما دعم غور، وغور سيُصلَب إذا غيّر مواقفه في مثل هذا الوقت المتأخر. هذا لن يحدث."

أخبرتهم بأنني فهمت. وذكّرتهم بأن رالف لن ينسحب، ولكنه سيرمي الأصوات إلى غور في بضع ولايات متأرجحة فقط. وسيكون غور مديناً له بالكثير من الوقت ما إن يصبح في البيت الأبيض. يمكننا الحصول على كعكتنا وأكلها، أيضاً.

لم يكن أحد مهتماً بأي كعكة على ما يبدو.

شكرتهم لحسن استماعهم وأقفلت الخط على 140 دولاراً ثمن المكالمة. ثم غصت في مقعدي وطلبت أول مشروب لي على طائرة. وفي مكان ما فوق تكساس، غفوت.

ما حدث في السابع من تشرين الثاني 2000، سيكون له ورقة خاصة في كتب التاريخ. كان نادر قد حصل على 6 بالمائة من الأصوات في فلوريدا قبل وصولي بيوم. وبعد مغادرتي بيوم، نزلت النسبة إلى 4 بالمائة. وبحلول يوم الانتخاب، سقطت إلى 1.6 بالمائة من الأصوات. ولكن ذلك يمثل 97,488 صوتاً في فلوريدا. هل كان سيغير 538 على الأقل من هؤلاء الناخبين تصويتهم إذا عرفوا في السابع من تشرين الثاني بأن أصواتهم بالذات هي التي كانت ستحدث التغيير؟ بالتأكيد كانوا سيفعلون.

ومع ذلك، ينتابني الفضول لمعرفة لماذا لم يوجه أولئك الغاضبون من نادر غضبهم إلى المرشحين الآخرين من اليسار الذي ظهروا أيضاً على ورقة

الاقتراع الرئاسية في فلوريدا – دافيد ماكرينولدس من الحزب الاشتراكي الذي حصل على 622 صوتاً، أو جايمس هاريس من حزب العمال الاشتراكي الذي حصل على 562 صوتاً، أو مونيكا مورهيد من حزب عمال العالم التي حصلت على 1,804 أصوات. م المؤكد بأن 538 ناخباً من بين تلك المجموعة كانت ستصوت لغور لو علموا بأن بوش وأصدقاءه سيفوزون بالانتخاب.

شخصياً، الشخص الذي ألومه هو مونيكا مورهيد. هذا هو الشيء الذي تعلمناه من التسعينيات. إنها دائماً مونيكا.

إذاً ألقوا اللوم على مونيكا! لا تلوموا رالف! ولا تلوموني أنا!

أو لوموني. نعم، في الحقيقة، إذا كان الديمقراطيون مصرين على إعطاء هذا القدر من النفوذ لأنصار نادر، فيجب أن نقبله. نعم نحن من قمنا بذلك! نحن القادرون على كل شيء والعالمون بكل شيء! سندمر كل شيء في طريقنا! إما أن تغيروا طريقكم أو سنحولكم إلى رماد! ليس نحن من تخلى عن الحزب الديمقراطي – إنه أنتم! أنتم من تخلى عنا وعن كل الذين آمنوا بأن الديمقراطيين يدافعون عن شيء ما، كالدفاع عن حقوق العمال مثلاً. ولكنكم رقصتم في السرير مع الجمهوريين، وليس هناك من خيار آخر لنا سوى اتباع ضميرنا والتصويت لرالف نادر.

نعم، نحن من حرمكم من البيت الأبيض. نحن من طردكم خارج واشنطن. ونحن سنفعل ذلك مرة أخرى. نحن نملك ما يزيد عن تسعة منظمات للخضر. نحن نملك قائمة تزيد عن 200,000 متطوع نشيط ومناضل ممن يراسلوننا. لقد ربحنا 22 سباقاً في انتخاب العام 2000 وهم انضموا إلى الخضر الآخرين المنتخبين البالغ عددهم 53 ممن كانوا يشغلون مناصب متنوعة في كل أنحاء البلاد. منذ تشرين الثاني الماضي، ربح الخضر 16 مقعداً آخر، مشكلين بالمحصلة 91 عضواً في الحزب الأخضر ممن يشغلون حالياً مناصب منتخبة في أميركا. تُدار خمسة مدن في كاليفورنيا الآن بواسطة رؤساء بلدية من

الحزب الأخضر. والأهم من ذلك كله هو ازدياد عدد الذين صوتوا لنادر في انتخاب العام 2000 بنسبة 500 بالمائة بالمقارنة مع من صوتوا له في العام 1996.

هذه حركة تنمو وتتطور. والأمر لا يتعلق بالحزب الأخضر فقط. اللعنة، حتى أنني لست عضواً فيه! هناك الملايين من الأشخاص الذين سئموا من الديمقراطيين والجمهوريين ويريدون خياراً حقيقياً. وهذا السبب وراء فوز مصارع محترف بمنصب حاكم ولاية مينيسوتا. وهذا هو سبب أن النائب الوحيد في البرلمان عن فيرمونت هو مستقل (وكذلك أحد أعضاء مجلس الشيوخ فيها). وسيكون هناك المزيد من المستقلين في السنوات القادمة، لا يمكن الحيلولة دون ذلك. في الواقع، لقد ساعد في تحقيق ذلك العمل/ اللا عمل للحزب الجمهوري – الديمقراطي.

لذا، اهربوا للحفاظ على حياتكم – أنا خارج من غرفتي الكامنة تحت الأرض! لقد سئمت من مجرد "البقاء على قيد الحياة،" سئمت من هراء المنتحبين الذين لن يكونوا هناك على الخطوط الأمامية للدفاع عن الفقراء، يعرضون أنفسهم للاعتقال، ويتلقون الهراوات على رؤوسهم، ويمنحون بضع ساعات من وقتهم كل أسبوع لكي يكون مواطنين، الشرف الأعظم الذي يمكن أن يحظى به المرء في الديمقراطية.

أريد منا جميعاً أن نواجه مخاوفنا ونتوقف عن التصرف وكأن هدفنا الوحيد في الحياة هو مجرد البقاء على قيد الحياة. "البقاء على قيد الحياة" هو للجبناء وللمتبارين في برامج الألعاب التائهين في غابة أو جزيرة صحراوية. أنتم لستم تائهون. أنتم تملكون المتجر، والأشرار ليسوا سوى زمرة من الرجال البيض الأغبياء السخيفين. وهناك عدد هائل منا وهو أكبر بكثير منهم. استخدموا قوتكم.

أنتم تستحقون أفضل من ذلك.